وزارة الثقافة والارشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

ثورة الشيخ صالح العلي

عبد اللطيف اليونس

سلسلة رواد التحرر العربي

١

هدية

وزارة الثقافة والارشاد القومي

مديرية التأليف والترجمة

ثورة الشيخ صالح العلي

تأليف

عبد اللطيف اليونس

ملتزم الطبع والنشر

دار اليقظة العربية

للتأليف والترجمة والنشر

سلسلة رواد التحرير العربي

١

الاهداء

الى ارواح الشهداء في كــل ارض عربيــة

والى

روح الشهيــد يوسف العظمــة

المؤلف



تعب الجهاد من الطواف فلم يجد
شرفـاً أعزّ ، ولا مقاما أكـرما

الشيخ صالح العلي

أول سوري أطلق الرصاص في وجه الفرنسيين

لمعالي المجاهد الكبير السيد احسان الجابري

انه لمن الصعب أن يعرف المرء أهمية الثورة التي قام بها الشيخ صالح العلي ـ من الوجهتين المادية والمعنوية ـ قبل ان يعلم نوايا الفرنسيين الحقيقية ومقاصدهم الاستعمارية التي دفعتهم الى دخول الحرب الكبرى بقصد الاستيلاء على ممتلكات في حوض البحر الابيض المتوسط ، وخاصة سورية ولبنان • حيث كانت تعتبرهما فرنسة مركز اشعاع لمدنيتها وثقافتها في سائر أنحاء المشرق •

ولما وقف الانكليز ـ أولا ـ في وجه مطامع الفرنسيين في جميع المؤتمرات والمفاوضات ـ تحقيقا لمطامعهم هم ـ كان الفرنسيون يزعمون أن السوريين واللبنانيين ينتظرون جيوشهم بفارغ الصبر ! ويدعون أنه لا يوجد في سورية ولبنان من يرفض انتدابهم واحتلالهم !

وقد أثبتت الاحداث فيما بعد بطلان هذه الادعاءات والافتراءات وبرهنت على ان الشعب السوري بأسره يرفض أي انتداب واحتلال •

لهذا كانت ثورة الشيخ صالح العلي صدمة عنيفة لادعاء الفرنسيين، وتبجحهم ، وغرورهم • وكان لها ـ بالنسبةللفرنسيين ـ صدى سيء في المحافل الاوربية جمعاء • وقد مني دعاتهم بخيبة مريرة ، واخفاق شديد •

ولقد كنا في جنيف نجابه الفرنسيين بذكرالثورةالعلوية ، حينما كان دعاتهم المغرضون يزعمون بأن العلويين لا يرغبون في الوحدة، ويريدون الانفصال • والذي يقيض له الاطلاع على سجلاتجامعة الامم يرى أننا كثيرا ما استشهدنا بثورة الشيخ صالح العلي لدحض افتراءات الفرنسيين ، ومزاعمهم ، ضد العلويين خاصة ، والسوريين عامة •

من هذا ، وهذا وحده ، يدرك القارىء مدى انتفاعنا من تلك الثورة العنيفة ، التي دامت ما ينوف على ثلاث سنوات •

وان من أعظم مزايا ثورة الشيخ صالح العلي انها استمرت ما يقارب السنة ، بعد خروج الملك فيصل من الشام ، وانقطاع المساعدات المنظمة عن الثورة • ولم يكن لها ما يغذيها في فترة تلك السنة الاخيرة ، الا ايمان الشيخ صالح ، وثباته ، ومتانة عقيدته • وما أزال أحتفظ بين مذكراتي ببعض الرسائل التي كانت تردنا من دمشق ، وهي مملوءة بالعزيمة الصادقة ، والاخلاص الشديد •

وثمة منافع أخرى كثيرة أتت عن طريق تلك الثورة ودلت على أن فائدتها لم تنحصر ضمن نطاق معين • ومن ذلك الثورات التي

قامت بعدها في جبل الدروز ، وجبل الزاوية ، وجبل عامل ، والغوطة ، وبقية المناطق الاخرى • والتي لم تكن الا بمثابة تموجات طبيعية للثورة الاولى التي أطلق الشيخ صالح العلي رصاصتها الاولى • ولو كانت اليقظة العربية مثلها اليوم لما تخلل تلك الثورات ما تخللها من فترات الهدوء والسكينة • ولكان مصير فرنسة في هذه البلاد ــ الذي تقرر منذ عامين ، قد تقرر منذ عشرين عاما •

والذي يبعث على تقدير الشيخ واحترامه أن سورية كانت بعيدة عن الاستثمار • وان شخصه كان ارفع وامنع من ان تؤثر فيه المغريات المادية والمؤثرات السياسية •• أو ان تخرجه من عزلته للاستفادة التي كانت تعرض عليه بكل مناسبة ويعرض عنها بكل شرف واباء •

ولم يتلكأ الشيخ عن القيام بواجباته الوطنية حينما كانت المصلحة العامة تدعوه الى ذلك • بل كان يقوم بها خير قيام ، ويؤديها خير اداء • وقد لقيت منه يوم كنت محافظا للاذقية في أقسى الظروف والاحوال ، أصدق معونة ، وأنبل اخلاص •

مدّ الله في عمر الشيخ صالح العلي ، وعمر رفاقه المجاهدين الميامين • وحفظهم ، وحفظ البلاد العربية من كل أذى ومكروه • والله جل جلاله لايضيع أجر من أحسن عملا •

حلب في ١ ــ ١٥ ــ ١٩٤٧

احسان الجابري

الشيخ صالح العلي
قائد الثورة العلوية

طلبنا من السيد جميل راميش ـ الضابط الذي أرسله الملك فيصل للانخراط في الفوج الملكي الذي نظمه المرحوم عزيز هارون ـ ان يكتب لنا وصفا موجزا عن حياة الشيخ ، وظروف الثورة .

وبما أن السيد ماميش كان احد أركان الشيخ صالح ، وكان يرافقه في آكثر العمليات الحربية ، فان باستطاعته ان يعطينا صورة واضحة عن حياة المجاهد الكبير .

لقد تأكد لي بعد الاطلاع والتجربة والبرهان ، انالشيخ صالح العلي ، قائد الثورة العلوية ، رجل عظيم ، وعظيم جدا . وان قيادته الحكيمة للثورة كانت مستوحاة من ايمانه ، ومن خبرته العسكرية التي كانت تدهشنا نحن الضباط النظاميين .

وقد أظهر في جميع المواقع تفهما صحيحا لوضعية المعارك الفنية ، واستنتاجاتها . وانه خبير بالوقت الذي يجب فيه الكر والفر ، والتقدم والتأخر ، والالتفاف والهجوم .

وكان يرسم لنا الخطط الحربية ، ثم يدعونا للتناقش فيها ، واقرارها . ويرسم لكل منا الخطة التي يجب عليه اتباعها وقت

الهجوم ، وقبله وبعده • واذا صدف واختلفنا معا في تخطيط بعض المعارك ، فانه كان يصر على رأيه ـ ثم تأتي النتائج فتثبت انه كان على صواب ، واننا على خطأ •

وكان كثير الحذر ، فلا يطلعنا على خططه الحربية أمام احد ، حتى حرسه الخاص • وانما كان يتكتم بها ، ويتستر • فلا يعرف احد من امرها شيئا حتى نبدأ بالتنفيذ •

وكان يحسن الرماية واصابة الهدف • واذا نصبت مباراة بين الجنود ، فانه دائما يكون الاول • ولم يتغلب أحد عليه ، حتى ولا مرة واحدة • وكان يصرح لنا قبيل المعركة انه سيقتل مائة جندي فنعرف بداهة انه يحمل مائة طلقة •

رجل حديدي الارادة ، شديد المراس • لا يعرف الخوف سبيلا الى قلبه • وكان أجرأ الناس على اقتحام المصاعب ، وتحمل المشاق • ولم يصدف مرة أن دارت معركة الا وكان في طليعة المهاجمين أو المدافعين •

ولم يكن ينفر من الخشونة ، ولا يهرب من الصعوبات • وسيان عنده أبات ليلة على الارض في ظل شجرة ، او الى جانب صخرة ، أم بات على فراشه ، أم قضى ليله كله يراقب ويفكر ••

واذا جاءت أخبار من خفراء الحدود فانه كان يستيقظ عند اقتراب وقع الاقدام ، وقبل ان ينتبه حراسه انفسهم •

وصدف مرة أن بقينا في احدى المعارك ثلاثة أيام دون طعام •

فلم يشك من ذلك ، ولم يتألم • وكان يؤثر الجنود على نصيبه من الزاد حتى لا يتسرب الاعياء الى نفوسهم •

عظيم الثقة والايمان بالله • كنا نستيقظ مبكرين كل يوم فنجده وقد استقبل الكعبة الشريفة ، وشرع بالصلاة •

وكان يدفع الى المعركة ما تحتاجه من الرجال ، ويحتفظ وراء الجبهة بجنود كثيرين بمثابة احتياط • وهي نفس الخطة العسكرية الصائبة التي يتبعها القواد العظام •

وكان يستعرض الجنود ، ويتفقد احوال ضباطه قبل الهجوم ــ كما يفعل القادة الماهرون المحنكون • وكثيرا ما كان يغيب عنا فننتظر مجيئه من جهة ، واذا به يجيء من جهة اخرى • وكثيرا ما كان يفارقنا عند احتدام المعركة ، ثم يقول سنلتقي هناك • وفعلا كنا نلتقي في المكان الخطير الذي كان يشير اليه •

وكان في المعارك التي يزداد علينا الضغط فيها ينتهرنا بشدة ، ويأمرنا بالثبات • ويظل يحارب معنا حتى آخر لحظة • فقد كان دائما اول من يهجم وآخر من يتراجع • واشهد اننا كنا نقتدي به • وان المجاهدين كانوا يخجلون في المواقع العسيرة ان يتراجعوا وقائدهم لا يزال في الميدان • وكثيرا ما كان يعود الفضل في ربحنا المعركة الى ثباته ونضاله العجيبين •

وكان مهيمنا على جميع مرافق الثورة • فكان يعزل الضباط ، ويعين آخرين ممن يجدهم موافقين • وينقلهم من هنا الى هناك ،

ويستبدل بأحدهم آخر • ولم يكن يستمع الى نصيحة أحد ، ولا يصغي الى ملاحظة انسان في القضايا التي قد كوّن فكرة عنها • اذ كان يحتفظ لنفسه بجميع السلطات والصلاحيات • فلا سلطة الا سلطته ، ولا ارادة الا ارادته • ولم نكن نتبرم من ذلك نحن الضباط النظاميين • اذ كنا على ثقة ويقين انه لا يقصد الا حفظ الثورة من الفوضى والبلبلة • ولولا صرامته وقساوته ، واحتفاظه لنفسه بجميع الصلاحيات لما بقيت الثورة كل ذلك الوقت الطويل •

واما عدد المجاهدين فاننا لا نستطيع الجزم به • اذ انهم كانوا يتزايدون ويتناقصون حسب الحاجة وحسب الطلب • وقدّرنا مرة عدد المجاهدين بعشرة آلاف في جميع الجبهات ، من الشمال الى الجنوب •

وكنا حينما نحتاج الى الذخيرة نستوردها من تجار حماه ، وندفع لهم ثمنها بعد انتهاء المعركة ، اذ ان موعدالدفع بيننا وبينهم كان هجومنا على الحملة او هجوم الحملة علينا •

والاغرب من ذلك ان الاهلين أنفسهم كانوا يستدينون حوائجهم حتى تطلع الحملة ، فيدفعونها منها •

واما عدد الجيش الفرنسي المحارب والاحتياطي فقد كان يزيد في بعض الاوقات عن الخمسين ألفا مجهزة بأحدث أنواع السلاح •

وقد لعبت النساء العلويات دورا هاما في الثورة • اذ كن يحمسن الجنود ، ويحملن الطعام الى الجبهة • وكثيرا ما كانت تجلس المرأة وراء زوجها تجهز له البندقية ، وتعبئها بالطلقات •

وكانت الثورة العلوية أشبه بحرب نظامية منها بثورة عادية • ولولا الظروف السياسية التي رافقتها وخيانة بعض المارقين الذين كانوا يشكلون طابورا خامسا داخل الثورة وخارجها ، لكنا نأمل أن تكون الاداة الوحيدة لتخليص البلاد من ربقة الانتداب •

وسوف يتحدث التاريخ المنصف عن هذه الثورة بكثير من الفخر ، وعن قائدها البطل الشيخ صالح بكثيرمن الاعتزاز والشكر • ويتحدث عنها وعن صحائفه الذهبية بأحرف من نور •

ولو ألفت بالشيخ صالح عدة كتب كبيرة ، لما وفيته حقه من الاطراء والاطناب •

الرئيس
جميل ماميش

المقـــدمة

الطبعـة الاولى

فكرة كتابة هذا التاريخ تساورني منذ أكثر من خمس عشرة سنة • بل انها الفكرة الاولى ، التي راودتني منـذ عرفت كيف أمسك القلم ، واكتب للنشر ، أو منذ بدأت أقرأ التاريخ ،وأتفهمه•

وقد قويت هذه الرغبة في نفسي ، بعد الحفلة التكريمية الكبرى التي اقيمت في اللاذقية للمجاهد الكبير الشيخ صالح العلي ـ قائد ثورته المعروفة باسمه في الشرق والغرب ، والتي هرعت جميع الفئات القومية الواعية للمشاركة فيها •

وثمة سبب آخر•• لعله أقوى من هذا السبب ، وأدعى الى التأثير • وهو اهمال أكثر المؤلفين والمدرسين أمر التحدث عن تلك الثورة رغم جبروتها الذي لم يضاه ، وعنفها الذي لم يجـار • حتى أن اكثر الطلاب السوريين يعرفون عن بعض المجاهدين ، في بعض البلدان الاخرى ، اكثر مما يعرفون عن جهاد مواطنهم الشيخ صالح العلي • وانه لاهمال يحز في نفس الرجل المؤمن بقضيته ،

المتمسك بعقيدته ، عندما يرى الفضل ينكر ذووه ، ويحاربه حاسدوه[1] .

ثم ان المطالبة بهذا التاريخ ، من هنا وهناك ، لاتقف عند حد، ولا تقع تحت حصر . فهي مطالبة مستمرة صارخة ، وانه لجوع قومي لا يشبعه الا كرم التاريخ الامين ، الطيب المذاق .

والامة التي بدأت تتنفس الصعداء بعد جهادها الدامي ،طوال ربع القرن الاخير ، أحوج ما تكون الى هذه الاسفار التاريخية ، تضم بعضها الى بعض ، وتشكل منها سفرا واحدا ، يكون خميرة المستقبل ، وذخر الغد ، والتراث الذي يورثه الآباء للابناء والاجداد للاحفاد . ولا يمكن ان تكتمل هذه الاسفار الا اذا سجلت جميعا ، وتوحدت جميعا ، واما ان تظل متفرقة متشعبة ضائعة ، فمعنى ذلك أن جزءا من جهادنا القومي قد ضاع وتبدد ، وان ثغرة كبيرة تظهر في بنائه العتيد .

---

(١) ما تزال الكتب المدرسية تقف بضعة أسطر — فقط — للتحدث عن ثورة الشيخ صالح العلي ...! فلا تعطيها من الاهمية الا جزءا يسيرا ضئيلا — رغم أن هذه الثورة تشكل سفرا نفيسا من أسفار الجهاد المقدس . حتى أن بعض الكتب المدرسية تذكر عن الشيخ صالح العلي أنه كان « اميا » ! مع انه كان من العلماء في فقه الشريعة الاسلامية . وكان مشهورا بحسن خطه وجمال حرفه . وتنسب اليه قصائد رائعة فيها تصوير جميل ودقيق ، لبعض المعارك التي خاضها . وقد نشرنا بعضها على هامش الفصول التي عرضنا فيها لتلك المعارك . وكانت وزارة الارشاد والثقافة — مشكورة — قد جمعت قصائد الشيخ المنسوبة كلها في ملازم طبعتها على الآلة الكاتبة . وأعدتها للنشر .

ومما يؤسف له حقا ألا يكون في متناول اليد « مستندات » يوثق بصحتها ، لتلك الثورة الكبرى ـ في الوقت الذي توجدفيه « مستندات » كثيرة لثورات ـ ولا نقول لحركات ـ قليلة الاهمية • محصورة في نطاق سياسي ضيق ، ونطاق عملي أضيق •

ولكن الصعوبات التي حالت بالامس دون هذا التأليف ، أكثر من ان تعد وان تحصى • وهي نفس الصعوبات التي تحول اليوم، وتكاد تحول بين الفكر ومجراه ، وترد القلم عن القرطاس في غير رفق أو لين •

غير ان الضرورة القصوى لوجود هذا التاريخ ، وتسجيل هذه الاحداث ، قد تغلبت على جميع الصعوبات ، وانتصرت على سائر الموانع والعقبات • واما هذه الضرورة فانها مستمدة من حاجة الامة الى تاريخ جهود ابنائها في هذه الثورة الدامية التي استمرت ثلاث سنوات ونصف ، دون توقف ولا هوادة ، والتي استنزفت قوى الفرنسيين وأرغمتهم على تعديل الكثير من خططهم في الشرق، ومن هذه الخطط الانسحاب من كيليكيا ـ كما سيجيء •

بلى •• توجد ثمة « مستندات » لمعارك محدودة في ذلك الاتون الملتهب • ولكنها لا تروي ظمأ ، ولا تنقع غلة ، ولا بد لمن يعمد الى كتابة مثل هذا التاريخ ان يجد حتى تتوفر لديه أسباب الكتابة ، وتكتمل عنده المعلومات الكفيلة بابراز التأليف وقد استوفى جميع شرائطه من : احصاء للحوادث ، الى تنقيب عن

مصادرها ، الى دقة في روايتها ، الى غير ذلك من الواجبات والمتطلبات ... وهو ما عملت له جاهدا في كثير من السهر والحذر . فاتصلت بسماحة الشيخ قائد الثورة وكبير المجاهدين ، واتصلت برفاق الشيخ ، ومعاصري ثورته ، ومساعديه وضباطه وجنوده. كما انني استحصلت على بعض الكتب الاجنبية والعربية ، التي كتبت عن الثورة بايجاز أو اسهاب ، وراجعت حتى الروايات المحلية ــ العامية ــ علّي أستطيع الحصول على أشياء مجدية منها .

ولم أكتف بذلك كله ، بل أذعت بيانات عامة في مختلف الصحف السورية واللبنانية ، وطلبت من كل من له اطلاع على تلك الثورة ، أو بعض أقسامها ، وعنده بعض المعلومات والوثائق عنها ، أن يبعث بها الي ، حرصا على أمانة التاريخ وسلامته . وقد وردتني رسائل كثيرة قابلت بينها وبين ما لديّ من معلومات ، ثم تبنّيت كل ما رأيته منها معقولا ومقبولا ، وموافقا للحق والمنطق ، وأهملت ما عداه .

وبعد أن انتهيت من تأليف هذا الكتاب ، طفت على بعض المجاهدين في المدن والقرى ، وقرأت عليهم هذا التاريخ ، وأصغيت بكل اهتمام الى ملاحظاتهم ومقترحاتهم ، وناقشتهم بها ــ على ضوء ما عندي من معلومات ــ في كثير من الدقة والصراحة والامانة . وتبنيت كل ما رأيته منها معقولا ومقبولا ، وموافقا للحق والمنطق ، وأهملت ما عداه .

وما أزعم ان هذا التاريخ قد بلغ الكمال ـ من حيث الدقة ، والتحديد والاتقان ـ ولكنني أجزم بأنه قد بلغ الكمال من حيث الامانة برواية الحوادث التي وصلت الي ، وتوفرت لدي .

وأكثر ما آسف له أن يكون ثمة مجاهدون وشهداء ، أبلوا في معارك الثورة خير البلاء .. ثـم ضاعت أخبارهم ، وطمست آثارهم ، فخسر التاريخ هذه الاسماء الكريمة ، وخسرت أسماؤهم هذا الذكر الخالد العبق .

ولكنني غير مسؤول عن هذا الاهمال ولا مطالب بهذا التقصير. فالمسؤول عنه ، والمطالب به هو نفس المصدر الذي استقيت منه هذه الفصول . وأصرح علنا أنني لم أهمل اسم مجاهد واحـد بلغت عنه ، وتيقنت أنه كان من اللامعين في صفوف المجاهدين .

ومن يدري ؟ فقد يقدر لهذا الكتاب أن يطبع مرة ثانية ، ثـم يقدر لنا أن تتلافى بعض ما حصل فيه من نقص ، فتجيء الطبعـة الجديدة ، وقد بلغت الكمال أو قاربته .

وما أكتم القارىء انني قد تصرفت ـ بعض التصـرف ـ في رواية هذه الوقائع ، وسرد تلك الحوادث . وهو تصرف في سياق الرواية ، وتسلسل الاحداث ، وليس في الفكرة والموضوع . فأما الفكرة فقد بقيت سليمة نقية ، دون أن تمس في زيادة أو نقصان.

بلى ... انني أشفقت على بعض « المسيئين » فلم أذع أسماءهم،

ولم أتحدث صراحة عنهم ، وذلك صونا لهم من شتائم الاحفاد والتاريخ ٠

فأما الاحياء منهم ٠٠ فهم أعرف بأنفسهم من الناس ، ويكفيهم عذاب الفكر ، وتأنيب الضمير ٠ وأما الاموات ٠٠ فقد أصبحوا في ذمة الله و ٠٠ الذكريات ٠

وصدق الله العظيم : « من عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد » ٠

عبد اللطيف اليونس

مقدمة

الطبعة الثانية

منذ أن أنشئت وزارة الارشاد والثقافة ، وهي تدأب على نشر الملاحم من تاريخ جهادنا القومي • وتبحث وتنقب عن الاحداث الهامة ، في تاريخ هذه الامة ، لتعمل على جمعها ، ونشرها،وتعميمها بين المواطنين كافة •

ووافقت على نشر كتاب « الثورة العلوية » وقائدها الشيخ صالح العلي ــ بعد أن فقد من المكتبات العامة ، وبعد أن كثرت المطالبة به ، والسؤال عنه •

وهذه الثورة نسيج وحدها ، بالنظر لطول مدتها ، وعنفها ، والظروف القاسية التي مرت بها • وبالنظر لصوفية قائدها ، ومثاليته، وترفعه عن المغريات • ولان هذه الثورة كانت أمّ الثورات السورية جميعا ، وملهمة قادتها ، واللبنة الاولى في تاريخ كفاحنا ونضالنا ، منذ الحرب العالمية الكبرى •

ولقد كتب هذا التاريخ في عهد صالح العلي ، واستقيت أكثر

فصوله ، ومعلوماته ، منـــه ومن المجاهدين الذين كانـــوا أحياء يرزقون •

وقرىء هذا التاريخ على الشيخ قبل ان يطبع للمرة الاولى •

فالمعلومات التي وردت فيه مستقاة من المصدر الوثيق ، الذي لا يتطرق اليه الشك ، ومن مصادر اخرى كـــانت عميقـــة الصلة بالثورة وبقائدها •

وبالنظر لكثرة المعارك وتعددها ، وكثرة الاحداث التي مرت خلالها وتشعبها ، فقد كان يجب أن تضاعف هذه الصفحات ، وأن نطيل الوقوف في أمكنة كان يجب أن نقف عندها طويلا •

ولكننا آثرنا الاختصار والاقتضاب • لان قارىء هذه الايام مرهق الاعصاب ، يكره الاطالة ، ويحب الايجاز ، ويؤثر القراءة التي لا تكلفه وقتا طويلا ، ولا جهدا عميقا •

ويجب أن تراعى رغبة القارىء ، مثلما تراعى الحقيقة حـــين تسرد ، والواقعة حين تلخص وتنشر •

كلاهما واجب : مراعاة وقت القارىء ونزعاته ، والامانـــة في سرد الحقائق ، ونشر الوقائع •

وخلال هذه البضعة عشر عاما ـ بين الطبعتين الاولى والثانية ـ قدر لنا ان نطلع على وقائع جديدة ، وان نحصل على معلومـــات مفيدة • وقد أضفنا ذلك الى الطبعة الثانية ، مثلما حذفنا كثـــيرا من الصفحات في الطبعـــة الاولى ، وعدّلنـــا كثيرا في الاسلوب والسياق •

ومما حذفناه تلك النبذة عن تاريخ العلويين ـ بعد أن غيرنا عنوان الكتاب ... فجعلنا الثورة باسم قائدها ، حتى لا تفسح مجالا للطائفية أن تبرز في واجهة التاريخ .

وقد كان لهذه التسمية الطائفية ، في ذلك الوقت ، ما يسوّغها ويوجبها ، فقد كانت الدسائس الفرنسية ما تزال تسعى لايهام الناس بأن العلويين كانوا من مؤيديها ومناصريها ! فكان اسم « الثورة العلوية » وحده كافيا لدحض مفترياتها وادعاءاتها .

ورأينا ان نؤرخ تلك الفترة الرهيبة بين انتهاء الحرب العالمية الاولى ، واحتلال الفرنسيين البلاد وتقسيمها الى دويلات ، حتى يكون القارىء على صلة وثيقة بالاحداث التي رافقت الثورة ، ومرت بها ، أو مرت من حولها .

وكانت هذه الدراسة ، على ايجازها ، شاملة ومستوفية جميع شروط الدقة والواقعية والنزاهة .

وبعد : فلولا غيرة وزارة الارشاد والثقافة ، وعنايتها لما قدر لهذا الكتاب ان تعاد طباعته ـ الآن ـ وان ينشر ويوزع .

فلها شكرنا ، وشكر التاريخ .

المؤلف

عبد اللطيف اليونس

ياصالح بن علي

للشاعر الكبير : ((بشارة الخوري))

مـن شاعـر نسـق الرياض ونظمـا
أكبـرت فيـه العبقـري المُـلهمَا
قالوا : الربيع • فقلت : ما أنكرتـه
رشـف الدمـوع وردهنَّ تبسـما
حمَـل المشاعـلَ لا يمـرُّ بربـوة
الا وخضَّبَ بـاللهيب وضَـرَّمـا
فـاذا الاريـجُ سحـائبٌ ورديَّـةٌ
خـاض الهـزار عُبابَهـا وتحمَّـا
ثـم اسـتقر عـلى مخبَّـأٍ وردة
فشـكا وداعب لحظـة وترنَّمـا
واذا الفـَراشُ رسـولُ كل عشيقة
لعشيقهـا بأبي الرسـول الابكمـا

★ ★ ★

يا صالحَ بنَ عليّ هل لـك في يـد
فلقـد وُجِدتَ لكي تغيث وترحما

هــذا الربيــعُ عشــيةً وصباحُهــا
وافى ربيعــك لائــذاً متذمِمــا
حتى يظــلَّ عــلى الزمان مُخلَّــداً
وتظــلَّ تذكره القصــائد كلما ...
صــرحُ العروبــةِ أين كان مقــرُّه
أومــا اليــك ، وقد تهللَ واتتمى
انــي لمحتُ لِــواك فــوق قبــابه
مترنحــا ، ولمحت روحــك حَــوَّما
لو أنصفــوا كتبــوا على شُرُفاتِــه
هــذا الذي نَقَحَ الحُسام المرقمــا
ليس الــذي صقــل البنــاء وزانَــه
مثــل الذي رفــع البنــاء وأحكمــا
زرع المهنــدَ واليــراعَ ليعــرب
وجنى الذي جهلت يــداه كليهمــا

★ ★ ★

تعب الجهــاد من الطــواف فلم يجد
شرفــاً أعزَّ ، ولا مقامــا أكرمــا
فرمــى الاكاليــل التي ضُفرت لــه
لمــا رآك معمَّمــاً ، وتعمَّمــا

قل للمعـري ان ظـَفِرتَ بروحـه
أو قف علـى مثـواه نـاج الاعظمـا
وانقـل اليـه الضجـة الكبرى التي
غمرت بهـذا النـور هـذا الموسـما
أنى التفتّ ، وكيف طـُفت ترى بـه
حبـًّا تنصـَّر أو اخـاءً أسـلما
ان كنتُ أجهـل أرضهـا وسماءهـا
ما كان يمنعـُني الهـوى أن أحلمـا
وأنـا الذي غـذى الجمـال بشعره
وحنـا عليـه سـافراً ومـُلـَثـَّمـا
طالعت وجهـك والصبـاح فلم أكـد
أتبينُ الصبـحَ المنـوّرَ منهمـا
وذكرت في الجلى شبابك والفِـدا
فعرفت كيف تصـان بالمهج الحِمى
وكأنمـا الاخـَوَانِ خلقـك والندى
ولدتهمـا أم المـكارمِ توأمـا

★ ★ ★

خذهـا اليـك أبـا الجهـاد فانهـا
لولاك مـا طبعت عـلى فمهـا فمـا
صَغـُرَت فهبهـا في اللآلىءِ حبـةً
أو لا .. فهبهـا في الازاهـر برعمـا

تمهيد

من عام ١٩١٦ ـ ١٩٢٤

كانت الامة العربية في حال تحفز وتوثب عند قيام الحرب العالمية الاولى • وكان الحكم التركي قد وصل من الظلم الفادح ، والضغط المتمادي ، الى أبعد مداهما •

وكانت سياسة الاتراك تهدف الى تتريك العرب ، وصهر القومية العربية في بوتقة القومية التركية ، وذلك بالقضاء على اللغة العربية ، وعلى كل حركة تحررية وتقدمية تصدر من الشعوب العربية •

وكان أحرار العرب قد أسسوا جمعيات كثيرة ، بعضها سري : كجمعية « العربية الفتاة »(١)، و « الجمعية القحطانية » ، وجمعية « العهد » ، و « حلقة دمشق الكبرى » ، وبعضها علني كـ « المنتدى الادبي »(٢) ، و « حزب اللامركزية » •

---

(١) أسست الجمعية « العربية الفتاة » سنة ١٩٠٩ في باريس .
(٢) أسس « المنتدى الادبي » سنة ١٩٠٩ في الاستانة .

ومع ان « حزب اللامركزية » الذي أسس في القاهرة سنة ١٩١٣ كان يعمل علنا ، ويطالب باعطاء البلاد العربية استقلالا ذاتيا ضمن اطار الدولة العثمانية ، فقد رأى فيه الوالي التركي جمال باشا خطرا على الخلافة العثمانية ، وتهديما لكيان الدولة التركية . فألف في « عالية » محكمة عسكرية سنة ١٩١٥ لمحاكمة أحرار العرب بتهمة اشتراكهم في «حزب اللامركزية»[1] ، وكانت أحكامها صارمة وموجهة من السفاح التركي جمال . فقد حكمت على جمهرة كبيرة من احرار العرب بالاعدام ، وعلى فريق كبير بالسجن والنفي .

وفي ٢١ آب سنة ١٩١٥ أعدمت القافلة الاولى من الشهداء في بيروت ، و في طليعتها : صالح حيدر ، ومحمد المحمصاني ، ومحمود المحمصاني ، ومسلم عابدين ، ونايف تللو ، وعبد القادر الخرسا ، وعلي الارمنازي ، ومحمود العجم ، وسليم عبد الهادي ، ونوري القاضي .

وفي ٦ أيار سنة ١٩١٦ أعدمت القافلة الثانية من الشهداء

---

(١) أصدر السفاح جمال باشا « كتيبا » بعد اعدام الشهداء سماه «ايضاحات» حاول فيه تبرير جريمته الوحشية باعدام الاحرار العرب ، متهما اياهم بأنهم اشتركوا في تأسيس جمعية غايتها سلخ سورية وفلسطين والعراق من السلطنة العثمانية ! مع أن هذه الجمعية كانت علنية ، وكانت مطالبتها تقتصر على اعطاء العرب حقوقهم بالحكم الذاتي ضمن كيان الدولة العثمانية .

في دمشق ، وهم : شكري العسلي ، وعبد الوهاب الانكليزي ، وعبد الغني العريسي ، والامير عارف الشهابي ، وسليم الجزائري، وأمين لطفي الحافظ ، وعمر حمد ، وتوفيق البساط ، ورفيق رزق سلوم ، وسيف الدين الخطيب ، ورشدي الشمعة ، وعبد الحميد الزهراوي ، وأحمد طبارة ، وجلال البخاري ، وجرجي الحداد ، وسعيد عقل ، ومحمد الشنطي ، والامير عمر الجزائري ، وشفيق العظم ، وباترو باولي ، وعلي الحاج عمر[١] .

وذهب السفاح جمال باشا الى أبعد من ذلك ، فاحتكر الحبوب باسم الجيش بغية تجويع العرب ، وابادة قسم كبير منهم . وقد تم له ما اراد . وحصلت مجاعة رهيبة ستظل حديثا مرعبا يتناقله الناس عبر الاجيال[٢] .

وكان لا بد من أن تثور النفوس لهذا الظلم الفادح ، والسياسة الخبيثة الرامية الى شل كل نشاط فكري وقومي عند العرب .

وجاء فيصل ابن الملك حسين الى دمشق للاتصال بأحرار العرب . وانتسب الى جمعية « العربية الفتاة » سنة ١٩١٥ ولما

---

(١) تحتفل الدولة بعيد الشهداء في ٦ أيار كل عام .

(٢) كانت تنكة القمح ــ ١٦ كيلو غراما ــ تباع في دمشق بليرتين ذهبيتين .. فتأمل ! وأما لبنان فقد هلك ثلث سكانه من الجوع .. كما هلك في سورية قسم كبير من السكان بتأثير الجوع والمرض والتشريد . وكان تجويع لبنان وسورية خطةمقصودة يريد الاتراك بواسطتها اهلاك عدد كبير من العرب .

علم السفاح جمال باشا بنشاطه وضعه تحت المراقبة ، وكاد أن يفتك به ، لولا أن فيصل أوهمه بأنه عائد الى الحجاز لينظم أمر المتطوعين العرب في الجيش العثماني . وهكذا استطاع أن ينجو بنفسه ، ويفلت من شباك السفاح .

ولما وصل فيصل الى الحجاز في ١٦ أيار سنة ١٩١٦ ، وجد الاتراك يحشدون جيوشا جرارة حول (المدينة) للفتك بوالده الحسين ، وبالقبائل التي تسانده ، فبادرهم واخوه الاكبر علي ببضعة آلاف من رجال القبائل في ٨ حزيران من السنة نفسها . وكان ذلك اول صدام مسلح مع الاتراك .

وفي العاشر من حزيران سنة ١٩١٦ الموافق ٩ شعبان سنة ١٣٣٣ أعلن الملك حسين الثورة العربية في مكة المكرمة ، حيث التحق بها عدد كبير من المجاهدين العرب في سورية والعراق .

وتتالت بعد ذلك الاحداث .

واستطاع العرب ان يجمدوا اربعين الف جندي من الاتراك في البلاد العربية لمواجهة الثورة . وكان مفروضا بهذه القوة أن توجه الى اوروبا لمساندة حلفائهم الالمان . وهكذا يكون العرب قد قدموا الى الحلفاء خدمة كبرى ، لم يقدروها حق قدرها في نهاية الحرب .

وتبادل الملك حسين المراسلات مع الحكومة البريطانية بواسطة ممثلها مكماهون ، وكانت تدور كلها حول مستقبل البلاد العربية ووحدتها ، واستقلالها .

وأقرّت بريطانيا في رسائلها حق العرب في الوحدةوالاستقلال، وموافقتها على تشكيل حكومة عربية تضم الحجـاز ، والعراق ، وسورية ، ولبنان ، وفلسطين • مع احتراسات قدمتها انكلترابشأن سورية الغربية وحقوق فرانسا المزعومة ، وكان مقدرا لتلك الثورة ان تصل الى أهدافها القومية ، وتظفر بالاماني الوطنية وتحقق الآمال المعقودة عليها ، والمرجوة منها ، ولكن مكائد الاستعمـــار كانت لها ولاهدافها القومية بالمرصاد • ففي الوقت الذي كانت تبذل فيه الحكومة البريطانية وعودها للعرب بسخاء ، وتبعث برسائلها الى الملك حسين ــ بواسطة ممثلهــا مكماهون ــ تتعهد فيهــا بمساندة الامة العربية في كفاحها لتحقيق وحدتها ، وعدم المساس بأي جزء من أقاليمها ، أو التعرض لها من قبل الحكومة البريطانية، أو احدى حليفاتها بطمع أو سوء ــ في ذلك الوقت الذي كانت تناضل فيه الامة العربية الى جانب الحلفاء ، ضد الاتراك ، كان وزير خارجية بريطانيا « بلفور » يمنح اليهود وعــدا بفلسطين ! وكان الحلفاء قد عقدوا اتفاقية « سايكس ــ بيكو » التي تقسم الاقطار العربية فيما بينهم ، وتجعلها تحت حمايتهم أو وصايتهم••! وقد عقدت هذه الاتفاقية في شهر ايار سنة ١٩١٦ وهو نفس الشهر الذي قضى فيه الاتراك على القافلة الثانية من الشهداء العرب ••!

وتكشفت الاحداث بعد ذلك عن أعظم خيانة تاريخية ،وجريمة

انسانية كان أبطالها الانكليز والفرنسيون ، وضحاياها العرب[1].

(١) تتلخص اتفاقية « سايكس – بيكو » وهي مؤلفة من اسمي المندوبين البريطاني والفرنسي بما يلي :

أولا : اقامة دولة عربية مستقلة ، أو عصبة دول عربية في منطقتين : أولاهما – تكون تحت النفوذ الفرنسي ، وتشمل سورية الداخلية – أي دمشق ، وحمص ، وحماه ، وحلب ، ودير الزور ، والجزيرة ، وولاية الموصل . والثانية : تكون تحت النفوذ الانكليزي – وتشمل العقبة ، وشرق الاردن ، والقسم الجنوبي من بادية الشام ، والاراضي الواقعة بين بغداد والموصل – مثل كركوك واطرافها . وهذه الدولة ، أو الدول ، يرأسها رؤساء من العرب ويكون لكل من فرنسة وانكلترة حق الرجحان في منح القروض المالية ، وتعهد المشروعات الاقتصادية ، وتقديم المستشارين، والموظفين الاجانب الذين تطلبهم الدولة العربية ، أو عصبة الدول العربية .

ثانيا – اطلاق يد فرنسة في لبنان ، وسواحل الشام ، ويد انكلترة في ولايتي بغداد والبصرة . فيكون للدولتين حق جعل الحكم في تلك الاماكن حكما مباشرا ، أو غير مباشر ، أو ايجاد المراقبة التي تجدها كل منهما موافقة ، وذلك بالاتفاق معالدولة العربية ، أو عصبة الدول العربية .

ثالثا – تقام في فلسطين ادارة دولية يعين شكلها بعد الاتفاق مع الحلفاء الآخرين، وممثلي شريف مكة « الحسين » .

رابعا – تمنح انكلترة مينائي حيفا وعكا .

وجاء في الاتفاق المذكور فقرات تتعلق بالامور الاقتصادية ، والجمركية ، والمائية، والامتيازات الممنوحة ، وغيرها : كضمانة مقدار من ماء دجلة والفرات للمنطقة التي هي تحت نفوذ انكلترة ، وكجعل مرفأ الاسكندرونة حرا ، ومفتوحا لتجارة انكلترة ، ومرفأ حيفا مفتوحا لتجارة فرنسة ، وكاحترام الامتيازات والحقوق التي منحتها الدول العثمانية الى انكلترة في منطقة النفوذ الفرنسي ، أو الى فرنسة في منطقة النفوذ الانكليزي .. الخ وهذا الشرط الاخير ضمن للشركة الانكليزية بقاء الامتياز الذي كانت حصلت عليه من الدولة العثمانيــة في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤ في استنباط نفط الموصل . وكان هذا الشرط فيما بعد أي سنة ١٩١٨ سببا لتخلي فرنسة عن نفوذها في الموصل لقاء أخذ حصة من النفط . فتبعت ولاية الموصلالعراق وأصبحت جزءا منه .

وكان في الحجاز يومئذ المرحوم خالد الحكيم ، والفريق عزيز المصري . فحذرا الملك حسين من ألاعيب الانكليز وخداعهم ، ومن عبثهم بالوعود ، ونكثهم بالعهود ، ولكن الملك حسين كان مدفوعا برغبة صادقة ، ونية سليمة ، فاعتقد أن خطابات « مكماهون » مستندا تقوية ، ووثائق دولية لا تستطيع بريطانيا التراجع عنها ، ولا التنصل منها . فلم يحتط للامر كما حذره ذلك الناصحان المخلصان ، بل أعرض عنهما ، ونفاهما من الحجاز !

وقد تجلت بعدئذ خدع بريطانيا ، وأكاذيبها وألاعيبها ، وظهرت نتائج تلك المؤامرات الدنيئة التي قامت بها مع حليفتها فرنسة دون وازع من ضمير ، أو رادع من وجدان ، أو مانع من أعراف دولية يفترض أن لها بعض الحرمات والتقدير . وكان الملك حسين يسعى الى ايجاد جيش عربي قوي ، مزود بالاسلحة والمعدات ، يحتل الاقطار العربية ، ويدافع عنها في أوجه الغاصبين والمعتدين ، اذا وجد من تسوّل له نفسه الاعتداء على بعض الاقاليم العربية ، ومحاولة الانتقاص من وحدتها مع اخواتها ، أو النيل من استقلالها وحريتها .

ولكن الحلفاء بما فطروا عليه من خبث دحذر حالوا دون توسع الجيش العربي وزيادة عدده الى أكثر من عشرة آلاف جندي نظامي[1] معظمهم ، ومعظم ضباطهم من الشام والعراق ، عدا ألوف من افراد القبائل في الحجاز ، وقد ابلوا في المعارك التي دارت رحاها بينهم وبين الجنود الاتراك ، أحسن البلاء .

(١) كتاب القومية العربية للامير مصطفى الشهابي .

وكان الملك حسين يتطلع الى ايجاد ثورات محلية في المناطق العربية التي يحتلها الجيش التركي • وقد أوفد الرسل الى الاقاليم العربية يستحث المواطنين ، ويستثير غيرتهم وحميتهم • ولبى الشيخ صالح العلي نداء الملك حسين فقطع على الاتراك الطريق التي تصل طرطوس بحماه ـ عن طريق مصياف • وكان مقره في « ناحية الشيخ بدر » التي تمر بها هذه الطريق •

واصطدم لاول مرة مع الجنود التركية قرب قرية « النيحا » واستولى على معدات وذخائر عديدة بعد أن شتت جنود الحملة ، وقتل عددا كبيرا منهم • وكان ذلك في ربيع سنة ١٩١٨ فاضطر الاتراك الى ان يلتمسوا لنقل معداتهم وذخائرهم طريقا اخرى • ولم يكونوا في حال تمكنهم من تعقب الثائرين ، وشن حملة قوية عليهم •

وهكذا ظل الشيخ صالح في مكمنه يترصد الجنود الاتراك ، فيهاجمهم ويكبدهم الخسائر الفادحة ، ويوقع بينهم الاصابات ، الى أن انسحبت الجيوش التركية من سورية •

وكان قد تجمع لدى الشيخ صالح العلي خلال هذه الفترة عدد من الثائرين تدربوا على حمل السلاح واستعماله ، وكانوا نواة صالحة للقوى التي وقفت في وجه الفرنسيين طوال ثلاث سنوات ونصف ، كما سيجيء •

* * *

في أواخر ايلول سنة ١٩١٨ تقدمت كتائب الثورة العربية بقيادة

الامير فيصل بن الحسين الى دمشق فاحتلتها ، ورفعت أعلامها فوق أسوار المدينة ، ومباني الحكومة فيها • ودخلت الكتائب العربية قبل جيوش الحلفاء التي كان يقودها المارشال « ألنّبي » وكانت تحتل المدن الداخلية في سورية واحدة بعد اخرى ، وتأتي بعدها جيوش الحلفاء •

وفي ٥ تشرين الاول سنة ١٩١٨ اذاع فيصل بيانا على الشعب السوري يشكره فيه على معاونته الحلفاء في مهمتهم التحريرية • ويطلب من الشعب الاسراع بالبيعة لوالده الشريف حسين ، ويعلن أنه سيؤلف حكومة عربية مستقلة تشمل كل أجزاء الوطن السوري •

وغمرت الافراح قلوب الناس ، واستقبلوا هذا النبأ سعداء مغتبطين • وكانوا على أثره يهنىء بعضهم بعضا في البيوت والطرقات •

وكانت سورية ، وبقية المناطق العربية التي تحررت من سيطرة العثمانيين ، يطلق عليها الحلفاء اسم « بلاد العدو المحتلة » • ولا يخفى ما وراء هذه التسمية من قصد سيء لتغطية اسم البلاد المتحررة من ربقة الاستعمار ، وما يكمن وراءه من خطط وترتيبات تتنافى مع شرف الوعد ، وصدق العهد •

ورغم مؤامرات الحلفاء الخفية والعلنية ، وتركيز جهودهم

لخنق سورية ، بعد احتلالهم كل شواطئها وشواطىءلبنان وفلسطين، وعدم اعطائها ممراً على البحر الابيض المتوسط ، فقد أرست فيها قواعد حكم عربي ديموقراطي سليم • وأمَّها خيرة رجال العرب من عراقيين وفلسطينيين ولبنانيين وحجازيين • واشتركوا جميعهم بعدئذ في مجالسها التشريعية والتنفيذية ، والتحق بها كل الضباط الذين كانوا في الجيش العربي ، وحتى الجيش العثماني • وخيل للعرب ان سورية ستكون نواة لوحدة عربية ، أو لاتحـاد عربي يشمل الاقطار العربية كلها •

وكانت الادارة عسكرية في بادىء الامر ــ اذ كان الى جانب الامير فيصل « حاكم عسكري عام » يعاونـه في تسيير شؤون الدولة ، ورئيس « ديوان الشورى الحربي » الذي كان مرجـع الجيش • وظلت هذه الادارة الحربية حتى منتصف شهر آب١٩١٩ حيث شكل بعد ذلك « مجلس مديرين » كان يجتمع برئاسـة الامير فيصل • وكان الحاكم العسكري ينوب عنه في حال غيابه • ثم ألغي منصب « الحاكـم العسكري » ومنصب رئيس « ديوان الشورى » • وعين الامير زيد شقيق فيصـل الاصغر ، رئيسـا لمجلس المديرين •

وبدأت الحكومة منذ اضطلاعها بالاعباء تعمل على تنظيـم

الادارة الحكومية على أسس ديموقراطية صحيحة ، وتعنى عناية تامة بالتشريع والقضاء ، فأنشأت لذلك « مجلس شورى » ينظر بالقوانين والانظمة والقرارات الادارية[1] ومحكمة تمييز تنتهي اليها درجات المحاكم .

وفي هذه الفترة بدأ أحرار البلاد بتشكيل « حزب الاستقلال » وكان « حزب الاستقلال » فتحا جديدا في تنسيق العمل السياسي وتنظيمه ، وحشد القوى الشعبية استعدادا لكل طارىء ، وتهيئة لكل احتمال .

ولشكري القوتلي [2] يد طولى ، بل يد أولى في تشكيل هذه المنظمة القومية وتمويلها ، وتعميمها بين أوساط الشعب . وكان لها فضل كبير في مساندة الحركات الوطنية وتبنيها ، وحشد القوى والامكانيات في سبيلها .

---

(١) بعد انتهاء العهد الفيصلي اقتصرت صلاحية « مجلس الشورى » على الطعن بالقرارات الادارية . وظل يمارس صلاحيات شكلية في عهد الاحتلال الاجنبي. وفي سنة ١٩٥٠ أنشئت لاول مرة « محكمة عليا » بموجب الدستور كان أعضاؤها ينتخبون من مجلس النواب . وكان من صلاحياتها ابطال القرارات الادارية ، والنظر في صحة انتخاب النواب ، وجميع الهيئات التمثيلية . ومن صلاحياتها أيضامحاكمة رئيس الجمهورية والوزراء وابطال القوانين التي يصدرها مجلس النواب . وبعد قيام الجمهورية العربية المتحدة حل محل « المحكمة العليا » في ابطال القرارات الادارية « مجلس دولة » يعينه رئيس الجمهورية وفق الاسلوب المتبع في مصر .

(٢) كتاب « شكري القوتلي » ـ للمؤلف .

وكان « حزب الاستقلال » ــ في الواقع ــ اسما جديدا لجمعية « العربية الفتاة » وعنوانا لها ، واستمرارا لنشاطها ونفوذها بين الاوساط الشعبية . وقد حل محلها ، وأدّى دورها على نطاق أوسع وأشمل ــ تساعده العلنية ، ويدعمه اجماع المواطنين .

وأسس بعد ذلك « حزب العهد » و « النادي العربي » الذي كانت تعقد فيه المؤتمرات القومية . وهو نفس « النادي » الذي ما يزال يحمل هذا الاسم ، ويقوم بنشاط مُجِدّ في جميع المجالات القومية ، والادبية ، والاجتماعية .

وبعد أن استمر « مجلس المديرين » في اعماله بضعة أشهر ، اتجهت انظار البلاد الى اعطاء الحكم صبغة نيابية تمثيلية . فجرت الانتخابات في شهر حزيران سنة ١٨١٩ لانتخاب «مجلس تمثيلي» اطلق عليه اسم « المؤتمر السوري العام » . وقد جرت في المناطق التي يسيطر عليها الجيش العربي على اسس سليمة ، ووفق الاساليب الديموقراطية المعروفة . واما في المناطق التي يسيطر عليها الجيش الفرنسي فقد جرى اختيار أعضاء المؤتمر بواسطة عرائض من المواطنين ، بترشيح أشخاص معينين . وقد روعي باختيار هؤلاء أن يكونوا ممثلين للمناطق والطوائف والاحزاب كافة . وقد اجتمع المؤتمر في ١١ شباط سنة ١٩١٩ عندما قدمت البلاد لجنة « الاستفتاء الامريكية » ليعرب عن ارادة الشعب أمامها . ثم اجتمع ثانية حين استبدال الجيوش الفرنسية بالجيوش البريطانية .

للاحتجاج على ذلك الاتفاق الجائر بين الدولتين الاستعماريتين وبدأ بعد ذلك يعقد جلساته باستمرار منذ مطلع شهر شباط سنة ١٩٢٠



حينما انتهت الحرب العالمية الاولى في ١١ تشرين الثاني سنة ١٩١٨ عقد الحلفاء المنتصرون مؤتمرا للصلح في ١٨ كانون الثاني سنة ١٩١٩ في مدينة باريس • وكانت بريطانيا وفرنسا تحاولان أن تبعدا القضية العربية عن المؤتمر حتى تستطيعا تنفيذ مؤامرتهما ــ مؤامرة سايكس بيكو ــ واقتسام الممتلكات العثمانية، وفرض الانتداب على الاقطار العربية ، وقد حضر الامير فيصل مؤتمر الصلح بصفته ممثل دولة الحجاز • وكانت الحجاز قد اعتبرت احدى الدول المتحالفة المؤسسة لعصبة الامم • واصطدمت الدولتان الاستعماريتان بالمبادىء الانسانية التي كانت تغمر المؤتمر، وتسيطر على أفكار أعضائه ــ مبادىء « ولسن » رئيس الولايات المتحدة الامريكية التي تقضي باستفتاء الشعوب في حق تقرير مصيرها • وطغت الحماسة على محاولات بريطانيا وفرنسة ومساعيهما لعزل موضوع الامة العربية عن المؤتمر الذي اتخذ قرارا في ٣٠ كانون الثاني سنة ١٩١٩ بفصل سورية ولبنان كان يعتبر جزءا منها ــ والعراق وفلسطين وارمينية عن تركيا ، واستفتاء سكانها في تقرير مصيرهم •

ولكن الدول الاستعمارية استطاعت ان تضمن هـذا القرار نصا يقضي بأن يشرف على البلدان المنفصلة عن تركيا « وصي » يعمل باسم « عصبة الامم » ! ! وكان هذا « النص » أساسا لما سمي بعدئذ انتدابا من الحرف «آ» [1] .

وقد دونت مواد القرار الخمسة في دستور « عصبة الامم » الذي وافق عليه « مجلس الحلفاء » في شهر شباط سنة ١٩١٩ ، وأقره « مؤتمر الصلح » في ٢٨ نيسان . وفي ٢١ آذار اتخذ « مؤتمر الصلح » قرارا بارسال لجنة للتحقيق . وشكلت اللجنة من أعضاء أمريكيين فقط بعد ان تمنعت فرنسا وبريطانيا عن الاشتراك فيها . ولم تسمح بريطانيا لاعضاء اللجنة بدخول العراق . وهكذا اقتصر عملها على سورية وحدها ، بما فيها لبنان وفلسطين .

وفي شهر تموز من السنة نفسها عقد « المؤتمر السوري العام » في مدينة دمشق بمناسبة قدوم « لجنة الاستفتاء الامريكية » .

---

(١) عندما أبرمت معاهدة « فرساي » في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٩ أدمج في مطلعها ميثاق « عصبة الامم » الموضوع في نيسان من تلك السنة . وقد جاء في المادة ٢٢ من الميثاق المذكور ان البلاد التابعة للانتداب « آ » هي التي سلخت عن الامبراطورية العثمانية ، والتي يقطنها جماعات من الناس بلغوا من التقدم مبلغا يجوز معه الاعتراف موقتا بأنهم دولة مستقلة ـ على ان يقود خطاهم « منتدب » ينصحهم ويعينهم في الادارة الى ان يصبحوا قادرين على السير وحدهم . ويجب ان يعتد برغبات هذه الجماعات في اختيار الدولة « المنتدبة » ! !

ورفضت امريكا فكرة الوصاية على سورية وأرمينيا ـ بعد ان ثار مصطفى كمال في الاناضول ، وبعد ما رأته من أطماع انكلترة وفرنسة ، وسياستهما الاستعمارية الواضحة . وساعد على اصرار امريكا رفض « الوصاية » على سورية خذلان الشعب الامريكي الرئيس « ولسن »[٢] في انتخابات الرئاسة سنة ١٩٢٠ ، وتقرير خلفه العودة الى عزلة امريكا التقليدية ، وانسحابها من « عصبة الامم » ، مما فسح المجال واسعا رحبا امام دسائس بريطانيا وفرنسة ، بعد أن زالت من طريقهما منافسة امريكا ، ومعارضتها اياهما ، وسعيها لتقاسم النفوذ معهما .

وطوى تقرير « لجنة كرين » وأهمل ، بمساعي الصهيونية العالمية ونفوذها في الدوائر الامريكية حتى استطاعت بعض الهيئات العربية ان تعثر عليه وتنشره كوثيقة تاريخية هامة[٣] .

---

(١) يقول مؤرخ امريكي : ان امريكا لو قبلت فكرة « الوصاية » على سورية وأرمينيا فان فرنسا وبريطانيا لم تكونا لتقبلا بها . « وهل يتنازل الذئب عن النعجة الضعيفة بعد أن أصبحت الفريسة بين براثنه لقمة سائغة » ؟ !

(٢) يروى عن الرئيس « ولسن » انه سئل وهو على فراش الموت ماذا يريده . فأجاب : كنت أريد ان أعيش حتى ارى الالمان يدخلون باريس مرة ثانية . وكان الالمان قد دخلوها سنة ١٨٧٠ محتلين ـ كما هو معروف .

(٣) اخرج التقرير من زوايا الاهمال بعد ٢٥ سنة من تقديمه . وقد نشر في ملاحق كتاب « اليقظة العربية » بالانكليزية وأذاعته اللجنة التنفيذية سنة ١٩٣٧ كما نشر في كتاب « الثورة العربية الكبرى » .

وبعد ان رفضت امريكا فكرة « الوصاية » على سورية ، وذلك تنفيذا لاتفاقها مع فرنسة وارضاء لها . ثم اتفقت مع فرنسة في الخامس عشر من ايلول سنة ١٩١٩ على سحب الجيوش الانكليزية من سورية وكيليكيا ، واطلاق يد فرنسة فيها .

واجتمع بعد ذلك في « سان ريمو » « مجلس الصلح الاعلى » وأبرم بين ١٩ و ٢٦ نيسان سنة ١٩٢٠ اتفاقات بين انكلترة وفرنسة، تقاسمت فيها الدولتان مناطق النفوذ في الشرق الاوسط . فكانت سورية ولبنان وكيليكيا من نصيب فرنسة ، وفلسطين والاردن والعراق من نصيب بريطانيا . وتنازلت بعدئذ فرنسة لانكلترة عن ولاية الموصل التي الحقت بالعراق ، لقاء حصة من النفط المستخرج منه تعادل ٧٥/٣٣ في المائة لفرنسة .

وفي مطلع ايلول سنة ١٩١٩ استدعى لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية الامير فيصل لمقابلته في لندن حيث سلمه مذكرة تتضمن قرار احتلال سورية وفلسطين والعراق « موقتا » ! ريثما تبرم « عصبة الامم » قرار الانتداب على هذه البلاد . وضمن تلك « المذكرة » الخطوط العريضة لاتفاقية « سايكس ــ بيكو » الجائرة التي عقدت دون أن توافق البلادالعربية عليها ، بل دون ان يكون لها علم بها .

واجاب فيصل على هذه « المذكرة » بمذكرة ضافية في٢١ايلول من السنة نفسها ، وقد وافق فيها على بعض المطالب ، ورفض الكثير منها .

ولكن الدولتين كانتا قد رسمتا خطتهما منذزمن طويل وشرعتا تنفذانها •

وطال الاخذ والرد بين فيصل والحكومة البريطانية ، وتوالت المذكرات والاجتماعات ، وكانت كلها تدور في حلقة مفرغة ، فبريطانيا تصر على تنفيذ اتفاقية « سايكس ـ بيكو » ،واعتبارها أساسا لكل مفاوضة وبحث ! وفيصل يحاول ان يحمل بريطانيا على التقيد بعهودها ، وتنفيذ وعودها •

واضطر فيصل تحت ضغط الحكومة البريطانية ان يسافر الى باريس لمقابلة كليمنصو رئيس الوزارة الفرنسية • وكان برفقته محمد رستم حيدر ، والدكتور احمد قدري ، وكان باتنظارهم فيها عوني عبد الهادي ، وجميل مردم •

وكانت الاحداث تتوالى في سورية فقد احتلت الجيوش الفرنسية البقاع في ١٩ كانون الاول سنة ١٩١٩ بحجة اعتداء الاهلين على ضابط الارتباط الفرنسي ، وجرح جاويشه ! ثم احتلت بعلبك بحجة تأمين النظام والامن ! وهكذا كانت تتذرع فرنسة بأسباب واهية ومصطنعة لتوسيع رقعة احتلالها بعض المناطق التي كان ضمن الدولة العربية •

ووجد فيصل نفسه وسط مؤامرة استعمارية ، وعزم أكيد على تنفيذها بالقوة[1] ! مفاوضات بينه وبين الحكومة الفرنسية

---

(١) من جملة الحجج الواهية التي تذرع بها كليمنصو في محادثاته مع فيصل ، وتبرير طلب احتلاله لبعض المناطق السورية ، واشراف القوات الفرنسية على بعض

انتهت بوضع « مشروع معاهدة فيصل ــ كليمنصو » في ٦ كانون الثاني سنة ١٩٢٠ وهذا المشروع هو أقرب الى « الحماية » منه الى « الوصاية » ــ اذ انه يسلب الحكومة السورية كل خصائص السيادة ، وحتى مظاهرها ! فهو لم يعترف بوجود شعب سوري ، بل بوجود « جماعات تتكلم بالعربية » ! وأحل المستشارين الفرنسيين من الخضوع لرأي الوزير او مجلس الوزراء ! ورغم معارضة فيصل لهذه الناحية واصراره على ان يكون المستشارون خاضعين لتوجيهات الحكومة السورية ، فقد رفضت الحكومة الفرنسية ذلك ــ وجاء النص مائعا يحتمل التأويل للفريقين ! كما ان المشروع لم يعترف لسورية بحق التمثيل الخارجي ! واصرت الحكومة الفرنسية على مشاركة الحكومة السورية في حكم جبل الدروز ! كما رفضت حتى مجرد البحث في ضم ساحل سورية ــ اللاذقية ــ الى الوطن الام[1] ! وهكذا خرجت سورية من هذه الاتفاقية المفروضة مجزأة ، وتحت حماية فرنسة ، حيث تجعل

طرق المواصلات ، ان فيصلا يغذي ثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين . وانه بهذه التغذية قد حال دون تمكن الجيش الفرنسي من اخماد الثورة والقضاء عليها . وان هذه الثورة قد أثرت في موقف الجيش الفرنسي في كيليكيا ، بعد أن اضطربت خطوط مواصلاته الخلفية .

(1) راجع نصوص « معاهدة فيصل كليمنصو » والمراسلات بين الملك حسين وادوارد مكماهون في الجزء الاول من كتاب « الثورة العربية » .

للمستشارين ــ وخصوصــا مستشار المالية ــ الكلمــة الاولى فيها ! ! [1] .



ما أن وصل فيصل الى سوريــة حتى دعي المؤتمر السوري للاجتماع ، واعطاء ، قراره بمشروع المعاهدة التي أرادت فرنسة وحليفتها بريطانيا ، ان تفرضاها بالقوةعلىسورية ! وسادتالمؤتمر فكرة المجابهة ، وعدم التفريط بأي حق من حقوق البلاد[2] .

وكان من غير المعقول ان يقبل اعضاء المؤتمر بالمعاهدة وان يتنكروا على آمالهم وحقهم في الحياة . وان تذهب الدماء التي أريقت من أجل حريتهم واستقلالهم هدرا .

والشعب لم يكافح للخلاص من تركيا ، ويقــدم الاضاحي على مذابح الجهاد ليستبدل استعمارا باستعمار ، ونفوذا بنفوذ .

وليس في الكرامة والسيادة والعزة حد وسط ، وكل تسليم بمطالب فرنسة ، وتساهل معها ، سيسير بالبلاد فيطريقالانتداب، ويفضي بها الى العبودية والاحتلال .

ورفض مشروع المعاهدة .

---

(١) يذكر الامير مصطفى الشهابي في كتابه القيم عن « القومية العربيــة » ان فيصلا أبلغ كليمنصو ان موافقته النهائية على هــذا المشروع معلقــة على قبــول الشعب السوري ، وموافقته عليه .

(٢) كتاب شكري القوتلي ــ للمؤلف .

وكان ذلك الموقف دستورا للجهاد الوطني طوال السنوات التي تلتــه ، وكانت هذه الصلابة قاعدة لرفض « معاهــدة دي جوفنيل » سنة ١٩٢٦ ، و « معاهدة الشعباني » سنة ١٩٣٣ ، و « مقترحات ديغول » وممثليه سنة ١٩٤١ وما بعدها ، وعروض الاحلاف العسكرية المختلفة في السنوات الاخيرة •

ان الوطنية لا تعرف حدا وسطا • واذا كان لا مندوحة عــن سلب الحرية فلتسلب رغما عن ارادة الشعب ــ لا برضاه واختياره• ولا تسوغ المبادىء القومية ان يسجل الشعب على نفسه قبــول العبودية ، واقراره اياها •

يجب أن يحتفظ الشعب للاجيال القادمة بوطنية سليمة، وتاريخ نقي ، ومواقف مشرفة في الجهاد • وهذه هي الروح الصالحة لبناء القومية على ركائز متينة من الاعتداد والاعتزاز •

وقرر المؤتمر اعلان استقلال سورية ، ووضع الحلفاء وهيئة الامم تجاه الامر الواقع ، وعقد في السادس والسابع من آذار سنة ١٩٢٠ جلسات في « النادي العربي » اتخذ فيهــا قرارات خلاصتهــا : استقلال سورية بحدودها الطبيعية ، ومنها فلسطين ، استقلالا تاما ــ على ان تكون الحكومة مدنية نيابية لا مركزية ضامنــة لحقوق الاقليات ، وان ينادى بفيصل بن الحسين ملكا دستوريا على سورية ، وان تراعى أماني اللبنانيين الوطنية في ادارة شؤون لبنان ضمن حدوده المعروفة قبل الحرب العالمية الاولى ــ على أن

يكون بمعزل عن كل تأثير أجنبي فيه ، ورفض مطالب الصهيونيين في جعل فلسطين وطنا قوميا لليهود ، او مكان هجرة لهم ، والمطالبة باستقلال العراق استقلالا تاما على ان يكون بين القطرين الشقيقين اتحاد سياسي واقتصادي[1] .

وفي الثامن من آذار سنة ١٩٢٠ اعلن في بلدية دمشق استقلال سورية ، وتنصيب فيصل بن الحسين ملكا عليها .

وفي نفس اليوم اعلن مؤتمر عراقي في دار بلدية دمشق استقلال العراق ، مما أثار حفيظة بريطانيا ، وحقدها الدفين ، فأصدر وزير خارجيتها « كيرزون » بيانا يعلن فيه ان حكومته لا تتقيد بأي قرار يتعلق بالعراق وفلسطين .

ورفضت بريطانيا وفرنسة قرار « المؤتمر السوري » ، وابلغتا الملك فيصل قرار الرفض بواسطة قنصليهما في دمشق .

ولم تأبه الحكومة السورية لقرار الدولتين الاستعماريتين ، وانصرفت الى متابعة تنظيم البلاد ، وتهيئتها للمستقبل . ورغم ان الدولة العربية في سورية لم تعش الا اقل من سنتين فقد قامت خلال هذه الفترة الوجيزة بأعمال جليلة هامة منها[2] :

نقل الكثير من سجلات الحكومة وقوانينها وانظمتها من

---

(١) راجع صورة قرار المؤتمر منشورة بالزنكوغراف مع تواقيع الاعضاء في كتاب ذكرى « استقلال سورية » ــ طبعه سيوفي واخوانه الدمشقيون .

(٢) كتاب القومية العربية ــ للامير مصطفى الشهابي .

التركية الى العربية • واذا علمنا ان اللغة الرسمية في البلاد كانت اللغة التركية ادركنا صعوبة تنفيذ هذا العمل خلال هذه الفترة الوجيزة • ومنها جعل اللغة العربية لغة الحكومة ، ولغة التدريس في المدارس العادية ، وفي الجامعة السورية ، وتعيين « لجنة للترجمة » وضعت للجيش ولدوائر الحكومة مصطلحات عربية كثيرة ، ثم انقلبت بعد ذلك الى « المجمع العلمي العربي » الحالي ، وفتح مدارس ابتدائية وثانوية ومدرسة زراعية ، وتعبيد بعض الطرق ، وتنظيم المستشفى الوطني ، وفسح المجال للاعراب عن الآراء الشخصية بمنتهى الحرية ، في الاندية والصحافة والمجتمعات العامة • وبث الدعايات الواسعة للفكرة القومية ، وافهام الشعب حقيقتها ومعانيها •

وشكل الوزارة في عهد الاستقلال : رضا الركابي من ٨ آذار سنة ١٩٢٠ ــ ٣ أيار سنة ١٩٢٠ • ثم هاشم الاتاسي من ٣ أيار سنة ١٩٢٠ ــ ٢٥ تموز سنة ١٩٢٠ • ثم علاء الدين الدروبي في ٢٥ تموز وقد استمر في الحكم بعد احتلال الشام كما سيجيء حتى قضى نحبه في حادث « خربة الغزالة » في حوران في ٢١ آب سنة ١٩٢٠ •

وكما انصرفت الحكومة للتنظيم والاصلاح انصرف « المؤتمر السوري » لوضع دستور للبلاد • واتم القراءة الاولى ، وحالت الاحداث بعد ذلك دون تتمة القراءة الثانية • وكان رياض الصلح

قد اقترح الاكتفاء بالقراءة الاولى ، والالتفات الى مجابهة الاحداث ، ولكن « المؤتمر » رفض هذا الاقتراح • وكان عدد مواد الدستور ١٤٨ مادة •

كان « المؤتمر العام » مجلسا تأسيسيا ، ومجلسا نيابيا يراقب أعمال الحكومة ، ويناقشها • وكانت الحكومة تطلب الثقة منه • وحدد « المؤتمر » عدد أعضائه بتسعين عضوا •

وتألف في « المؤتمر » حزبان : « حزب التقدم » ، و « الحزب الحر المعتدل » • وكانت الاحزاب السياسية ، واللجان الوطنية تقوم بنشاط كبير ، وتؤثر الى حد بعيد في مساعي الحكومة وخططها ، وفي مقدمة هذه الاحزاب واللجان : « العربية الفتاة » و « الاستقلال » و « العهد » و « النادي العربي » و « لجنة الدفاع عن فلسطين » • وقد تعاقب على رئاسة المؤتمر : محمد فوزي العظم ، وهاشم الاتاسي ، ورشيد رضا •



في ٢٦ نيسان سنة ١٩٢٠ عقدت انكلترة وفرنسة وايطاليا

(١) قبل ان يكلف فيصل احدا بتشكيل الوزارة استشار بعض قادة الرأي في « حزب الاستقلال » و « العربية الفتاة » ، فاجتمع هؤلاء في بيت شكري القوتلي ، واستدعوا رضا الركابي ، وأخذوا عليه عهد ان يعمل وفق برنامج « العربية الفتاة » وحزب الاستقلال . ولما عاهدهم ، واقسم لهم اليمين أبلغوا الملك فيصل ترشيحهم رضا الركابي لتشكيل الوزارة ــ فكلفه الملك بذلك .

واليابان مؤتمرا في « سان ريمو » ، لم تشترك فيه الولايات المتحدة الامريكية لانها كانت قد عادت الى عزلتها ــ كما أسلفنا ــ بعد انتهاء مدة الرئيس « ولسن » ، ولم تشترك فيه الحكومةالروسية أيضا بعد ان زال عنها الحكم القيصري ، وساد فيها النظام الشيوعي • وكانت روسيا القيصرية احدى الدول التي اشتركت في اتفاقية « سايكس ــ بيكو » وفي مؤتمر « سان ريمو » تم الاتفاق النهائي على تقسيم مناطق النفوذ بين الدول الاستعمارية الكبرى ، ووضعت موضع التنفيذ اتفاقية « سايكس ــ بيكو » التي تقضي بجعل سورية ولبنان منطقة نفوذ فرنسية ، وفلسطين والاردن والعراق منطقة نفوذ بريطانية • وابلغ المارشال « ألنبي » قائد الجيوش البريطانية قرار « المؤتمر » الى الملك فيصل •وطلب منه الذهاب الى باريس ومعالجة الموقف مع الحكومة الفرنسية ، وضمن له موافقة بريطانيا على الاعتراف به رئيسا لدولة سورية ــ اذا وافق مؤتمر الصلح على ذلك ــ ومعنى هذا ان يصبح فيصل رئيسا لدولة وهمية ، في اقليم تحكمه فرنسة حكما مباشرا •• بالحديد والنار •

ومع ذلك فقد قرر فيصل ان يستجيب لطلب بريطانيا • وحزم أمره على السفر مرة ثالثة الى باريس ، لكي يبذل آخر محاولة لانقاذ الوضع الذي كان يتدهور بسرعة •

ولكن المؤامرة التي حيكت خيوطها باحكام ودقة كان قد

بدىء بتنفيذها ، وشرع الجنرال غورو بحشد جيشـــه استعدادا للهجوم على سورية • بعد ان اندحر امام الضربات العنيفة التي كالها له مصطفى كمال وفيالقه القوية ، في كيليكيا ، واجبره على الانسحاب منها ، وهو يجر وراءه اذيال الخزي والعار •

وهكذا تجمع لديه في لبنان والاسكندرونة جيش لا يقل عن سبعين الف مقاتل ، بينما كان الجيش السوري النظامي لا يزيد عن تسعة آلاف ، ليس لديهم الا النذر اليسير من السلاح والعتاد • فأراد ان يستر هزيمته في كيليكيا ، وفشله في القضاء على ثورة العلويين ، وان يهجم على سورية ، مصدر امدادات تلك الثورة بكل ما يتجمع لديه من قوى •

وفي ١٤ تموز سنة ١٩٢٠ وجه الجنرال غورو انذارا الى الملك فيصل يتضمن المطالب الآتية :

١ — جعله الخط الحديـــدي من رياق الى حلب تحت ســيطرة الفرنسيين ،واحتلال قوات عسكرية فرنسية المحطــات في رياق وبعلبك وحمص وحماه ، واحتلال مدينة حلب بكاملها، ووضعها تحت الادارة العسكرية الفرنسية •

٢ — تسريح الجيش العربي ، والغاء التجنيد الغاء تاما •

٣ — قبول الانتداب الفرنسي •

٤ — التعامل بالنقد السوري الذي أصدره الفرنسيون في بيروت ورفضت السلطات السورية التعامل به •

٥ — انزال القصاص بالمسيئين الى فرنسة ، وقصاص الذين يشتبه بعدائهم لها •

واجتمع « المؤتمر السوري » في ١٥ تموز واتخذ قرارا اجماعيا برفض الانذار رفضا باتا •

ولكن الحكومة السورية اتخذت في ١٧ آذار قرارا بقبول الانذار الفرنسي ، وابرقت بذلك الى الجنرال غورو ضمن المدة المحددة بعد ان ثبت لها تحرك الجيوش الفرنسية باتجاه الحدود السورية •

واجتمع « المؤتمر السوري » في جلسة صاخبة عنيفة طلب بعض الاعضاء فيها احالة الحكومة الى « الديوان العالي » لمحاكمتها • وفي هذا الجو المضطرب المكفهر جاء يوسف العظمة يتلو قرار تعطيل « المؤتمر » ، مشيرا الى ان العدو على الابواب •

وبادرت الحكومة الى تنفيذ شروط الانذار ، فسرحت الجيش السوري ، وخرج الضباط والجنود من ثكناتهم وهم هائجون •

وسرت اشاعة اطلقها بعض المغرضين ، كالنار في الهشيم ، وهي ان الحكومة قد اعتقلت الشيخ كامل القصاب ــ وكانت اشاعة مغرضة لا أساس لها من الصحة !

وحاول شكري القوتلي واخوانه[1] ان يستفيدوا من هذه الحماسة العارمة ، ويوجهوها ضد الغزاة المهاجمين • ولكنهم لم يفلحوا لان السهم كان قد طاش والزمام قد أفلت من ايدي القادة،

---

(١) مذكرات اسعد داغر •

واصبح في ايدي الغوغاء ـ وهو اخطر ما يمكن ان تصل اليه حال •

وبلغ الفرنسيين نبأ الثورة في دمشق فشجعهم ذلك على الاستمرار في الزحف ورفض عرض الحكومة الوطنية بقبول الانذار [1] محتجين بأن جوابها قد وصل متأخرا عن الوقت المحدد ساعتين ! ووجهوا الى فيصل « شروطا » اخرى ، تجرد سورية الداخلية من كل وسيلة دفاعية ! حيث يتحكم فيها الفرنسيون على هواهم •

وكان من البديهي أن ترفض الحكومة السورية هذا العرض الجديد ـ الذي يسلب سورية كل حق لها بالحرية والاستقلال • وحاولت أن تجمع أفراد الجيش ، وتوجههم في حملة نظامية لمقابلة الغزاة • وقام القادة الوطنيون ، بجهود جبارة ، في ليلة مظلمة قاتمة ، ووسط عواصف من هياج الشعب واضطرابه ، بالبحث عن الجنود المسرحين الناقمين ، فلم يتجمع منهم الا بضع

---

(١) يروي المرحوم اسعد داغر في مذكراته انه كان برفقة رسول فيصل الى قائد الحملة الفرنسية في ميسلون يعرض عليه قبول الانذار الفرنسي ، ويطلب منه حقن الدماء . وكان الى جانب القائد صحفي اجنبي قال له بالفرنسية : « أليس الافضل هذا الحل وتحقنون الدماء لان الشعب سيقابلكم بكل امكانياته » . فأجابه القائد بالفرنسية وهو لا يحسب أن احدا من العرب يحسنها : « كيف تطلب مني وقف الزحف خوفا من اراقة الدماء ، والثورة قد اشتعلت في دمشق على نطاق واسع .. وهي تأييد لنا ! هذا غير معقول .. » .. فتأمل ..!

مئات زحفوا مع الفي متطوع من الشعب الى« ميسلون »يقودهم يوسف العظمة وزير الدفاع[1] .

وفي ٢٤ تموز سنة ١٩٢٠ حصلت المعركة الحاسمة في«ميسلون» بين فلول من أفراد الشعب ، سلاحهم العقيدة والايمان ، وبين جيش كبير قوي مجهز بأحدث الاسلحة ، وأفتكها وأمضاها[2] . وكان التكافؤ بين الجيشين مفقودا .

ولم يتراجع المقاومون السوريون الا بعد أن نفدت ذخيرتهم ، وصمتت أفواه بنادقهم القديمة ، وذخائرهم المحدودة .



في ٢٩ تموز سنة ١٩٢٠ غادر فيصل دمشق عن طريق عمان متوجها الى بلاد الغرب ــ بعد أن وجه اليه غورو انذارا بمغادرة

---

(١) راجع كتاب « يوم ميسلون » للاستاذ ساطع الحصري ـ ففيه تفصيل دقيق للمباحثات والمذكرات والمفاوضات والنتائج الاليمة التي أسفرت عنها .

(٢) جاء في « الكتاب الذهبي » الذي أصدره الفرنسيون عن انتصاراتهم العسكرية في الشرق أن الحملة التي وجهها الجنرال غورو من بيروت الى دمشق ، واشتركت في معركة « ميسلون » كانت تتألف من : لوائين من جنود السنغال ، وأربعة أفواج من المشاة ، ولواء من الخيالة ، وسبع بطاريات من المدافع المختلفة ، وسرية من المصفحات وعدة أسراب من الطائرات ... » ـ بينما كان الجيش السوري ، أو المدافعون السوريون ، بضع مئات من الجنود النظاميين ، أو الذين كانوا نظاميين ، والفين من أفراد الشعب المتطوعين يحملون سلاحا عتيقا ، وذخيرة قليلة . فقابل ... بين هذه القوة البسيطة وبين القوات الفرنسية التي تحميها الطائرات والمصفحات ، والمدافع

سورية ، وقد عينته الحكومة البريطانية . بعدذلك ملكا على العراق مستعينة به لتهدئـة الثورة التي نشبت هنـاك ، وهددت الحكم البريطاني بالزوال ، ثم عينت أخاه عبد الله « اميرا » على شـرق الاردن ـ حيث كانت قد أقتطعت بالاتفاق مع فرنسة بقعة مـن الارض جنوبي سورية أقامت فيها « دولة » جعلت عاصمتها مدينة عمان ـ وهي دولة تائهة في الصحراء اراد تشرشـل ـ صاحب الفكرة ـ ان تكون في المستقبل سندا لاسرائيل ، وشوكة فـي جنب سورية ، والسعودية ، والعراق ـ عند اللزوم .



حينما دخلت الجيوش الفرنسية دمشق واحتلتها ، كان مفروضا في الحكومة السورية ، التي كان يرأسها علاء الدين الدروبي ، ان تستقيل من الحكم ، وتعمل على توسيع نطاق الثورة التي كانت قد امتدت من جبال العلويين الى محافظة حلب ، والتهبت فجأة في محافظة حوران .

وبدلا من أن يستقيل علاء الدين الدروبي فقد أذاع في ٥ آب بيانا ينذر فيه الاهلين والموظفين ، ويبرر اعمـال الجنرال غورو ، ويخلق له الاعذار « لازاحة العراقيل التي كانت توضع في سبيل جنوده ، الذين يقاتلون عدو الحلفاء جميعهم ...!! » ثم أقـام للقائد الفرنسي مأدبة تكريمية القى فيها خطابا أثنى فيها على .. « تقاليد فرنسة المجيدة في تحرير الشعوب ... الخ » !!

وقد أثار موقف رئيس الحكومة السورية واعضائهـا نقمـة

الاوساط الشعبية وازدرائها • وبينما كان رئيس تلك الحكومة في طريقه الى حوران لاخماد نار الثورة ، التي اشتعلت فيها على أثر احتلال الفرنسيين ، قضى عليه المجاهدون في قرية «خربة الغزالة» في ٢١ آب سنة ١٩٢٠ • وحل محله جميل الالشي في ٦ ايلول ، ثم أقيل في مطلع كانون الاول من السنة نفسها ، وخلفه حقي العظم الذي عين حاكما لمدينة دمشق •

وقبل نشوب الثورة السورية سنة ١٩٢٥ تعاقب على حكم سورية عدة مفوضين سامين • فقدبقي الجنرال غورو الى سنة ١٩٢٣ والجنرال ويغان الى تشرين الثاني سنة ١٩٢٤ والجنرال سراي الى سنة ١٩٢٥ • وكان هؤلاء الثلاثة من القواد اللامعين في الحرب العالمية الاولى • وكان الاولان من الاحزاب اليمينية ، والاخير يساريا متطرفا •

وتفنن الفرنسيون في تمزيق شمل البلاد السورية ، واقامة دويلات متعددة تقوم على أسس طائفية ، وعنصرية ، واقليمية ! •

وقد قسموا سورية أول احتلالهم الى خمس دويلات : دمشق، وحلب ، والاسكندرونة ، وجبل العلويين[1] ، وجبل الدروز • ثم

---

(١) من الامور المضحكة حقا ان محافظة اللاذقية قد اطلق عليها خلال ربع قرن أسماء متعددة : نمن دولة العلويين ، الى دولة العلويين المستقلة ، الى حكومة العلويين، الى محافظة جبل العلويين ، الى محافظة اللاذقية . ومن اختلاف هذه الاسماء وتعددها ، يستدل القارىء على نوع الحكم ، والفوضى « المنظمة » المرسومة ، والموجهة أيضا ، التي كانت تنتشر فيه .

اختصروها بعد ذلك تحت ضغط الثورات المتعاقبة الى ثلاث : دمشق ، واللاذقية ، وجبل الدروز ..!

وحكمت فرنسة البلاد حكما رهيبا استهانت فيه بالقيم ، واستخفت بالاعراف والاصول ـ حكما استعماريا لا يعرف غير ابتزاز المال ، وخنق الحريات ، وغير البطش والتنكيل ، والتفريق والتمزيق !! وسلخت الاقضية العربية عن سورية ، وضمتها الى لبنان ، الذي سمته لبنان الكبير !
وكان الى جانب كل وزير ، أو مدير ، أو محافظ ، أو قائممقام ، مستشار فرنسي في يده السلطة كلها .. يأمر وينهي ، ويرفض ويوافق ولا يثبت في أمر من الامور قبل استشارته ، والرجوع اليه ! وكلمته دائما هي القول الفصل .

وكان الموظفون الفرنسيون ذوي طبائع متناقضة ، وأطوار غريبة [1] ، وكان الخلف يهدم ما بناه السلف ، ويتنكر على قراراته

---

(١) يقول الدكتور نجيب الارمنازي في كتابه القيم « من الاحتلال حتى الجلاء » : « ان المسيو جونار الذي كان حاكما في الجزائر قدم تقرير اللجنة الامور الخارجية (الجريدة الرسمية سنة ١٩٢٢) في مجلس الشيوخ الفرنسي قال فيه : ان الموظفين الفرنسيين الذين تنبذهم حكومة الجزائر ومراكش ترسلهم الحكومة الفرنسية الى سورية ! وانتقد كثرة عدد الموظفين . كما انتقد الشيخ فيكتور برار الاسراف والتبذير ، وسياسة التفرقة والتجزئة في انشاء « دويلات » لا مبرر لوجودها ، ونفث العداوة والبغضاء بين شعوبها ، وتجديد المنازعات الدينية بينها الى درجة لم تكن تعرفها

وخططه • ولكنهم كانوا جميعا متفقين على سياسة واحدة :اضطهاد الشعب ، وتفريق كلمته ، وابتزاز ثروته •

واجتمع أحرار سورية الذين اضطروا للنزوح عنها الى مصر في مقر اللجنة المركزية لحزب الاتحاد السوري في القاهرة ، واتفقوا على عقد مؤتمر في جنيف الى جانب « عصبة الامم » يعمل على اعادة وحدة سورية واستقلالها • ويهاجم سياسة فرنسة الغاشمة ، ويندد بها وبمساوئها • وفي ٩ نيسان سنة ١٩٢١ اذاعت اللجنة المركزية بيانا دعت فيه جميع الاحزاب والجمعيات للاشتراك في المؤتمر الذي اجتمع في أواخر سنة ١٩٢١ في جنيف • واشترك فيه ممثلو الاتحاد السوري ، والمؤتمر الفلسطيني ، ومجلس الادارة اللبناني ، والاستقلال العربي ، واللجنة الفلسطينية بمصر ، وجمعيات عديدة في الولايات المتحدة الامريكية ، والارجنتين ، والبرازيل ، وشيلي •

وقدم « المؤتمر » بيانا رسميا الى « عصبة الامم » ضمنه المطالب الآتية :

من قبل ! كما انتقد مسيو دومرغ – رئيس لجنة الامور الخارجية يومئذ ، ورئيس الجمهورية فيما بعد – السياسة العقيمة التي تتبعها فرنسة في سورية » .

ملاحظة : ولكن دومرغ هذا قد تبنى هذه السياسة بعد أن صار رئيسا للجمهورية ، وهذه هي سياسة بريطانيا الخارجية ينتقد الحزب المعارض سياسة الحكومة ، ثم يسير عليها وينفذها بدقة تامة بعد أن يستولي على الحكم .

١ ــ الاعتراف بالاستقلال والسلطان القومي لسورية ، ولبنان، ولفلسطين .

٢ ــ الاعتراف بحق هذه البلاد في أن تتحد معا ، بحكومة مدنية مسؤولة أمام مجلس نيابي ينتخبه الشعب . وان تتحد مع باقي البلاد العربية المستقلة في شكل ولايات متحدة «فدراسيون» .

٣ ــ اعلان الغاء الانتداب حالا .

٤ ــ جلاء الجيوش الفرنسية والانكليزية عن سورية ولبنان وفلسطين .

٥ ــ الغاء تصريح بلفور المتعلق بوطن قومي لليهود في فلسطين .

واستمر وفد اللجنة التنفيذية يعمل في أوروبا ، متنقلا بين عواصمها ، ومتابعا اتصالاته ونشاطه في « عصبة الامم »[1] . وظلت اللجنة تتابع جهودها في القاهرة حتى نهاية الثورة سنة ١٩٢٧، وحتى دب الخلاف والشقاق بين أعضائها ، فتفرق جمعهم ، وتمزق شملهم ، وعادوا كما كانوا شيعا وفرقا وأحزابا !

واستطاعت فرنسة أن تحمل « عصبة الامم » على اصدار « صك الانتداب » في ٢٤ تموز سنة ١٩٢٢ ، واصبح مبرما بعد موافقة الحكومة الايطالية عليه في ٢٩ ايلول سنة ١٩٢٣ . وقد سلب هذا « الصك » كل أثر من آثار السيادة لسورية ، وقضى

---

(١) راجع كتاب الدكتور سامي الدهان عن الامير شكيب ارسلان .

على مفهوم المادة ٢٢ من ميثاق « عصبة الامم » ، وعلى ماهية الانتداب من حرف « آ » . وبذلك انقلب الانتداب من حرف «آ»، وهو نصح وارشاد ، الى ما هو أفظع من حماية سافرة ـ مما أباح للحكومة الفرنسية أن تمارس في سورية جميع أساليب التسلط الاستعماري .

ولا شك أن فرنسة قد مارست هذه الصلاحيات التعسفية قبل أن يصدر صك الانتداب ، ومنذ أن احتلت جيوشها الاراضي السورية ، وقضت على الاستقلال ، وحتى على الحكم الذاتي للبلاد [1] .

ووقف الجنرال غورو امام قبر صلاح الدين في دمشق وقال مخاطبا الضريح : « أي صلاح الدين .. ها قد عدنا .. » !
ويقصد بذلك أن الجيوش الاجنبية التي اندحرت امام الجيوش العربية التي كان يقودها صلاح الدين في حرب الصليبيين ، قد عاد أحفادها لاستعمار الشرق .. من جديد .

وهزأ التاريخ من غورو ، واستخف به وازدراه . فليس في معركة ميسلون مجال للمقارنة بينها وبين معركة حطين . فأين

---

(١) ذكر الامير مصطفى الشهابي في كتابه « القومية العربية » أن احد كبار الفرنسيين قال له مرة : « ان المفوض السامي في بلادكم يتمتع بسلطة لا يتمتع رئيس الجمهورية الفرنسية في بلادنا بجزء منها . وان المفوضية العليا عندكم معمل للقوانين يحرك بالكهرباء » ! !

الثورات الوطنية ضد الفرنسيين

ثورة حوران :

دعت حكومة علاء الدين الدروبي شيوخ حوران وزعماءها للاجتماع بهم في دمشق ، والبحث في الغرامات الحربية التي فرضتها القوات الفرنسية على سورية ، وتخصيص المبالـغ التي يجب أن تدفعها حوران • ولما امتنع شيوخ حوران عن تلبية الدعوة قرر رئيس الوزارة السفر الى درعا • وفي ٢١ آب سنة ١٩٢٠ غـادر دمشق يرافقه وفد من المسؤولين الى حوران • وكان الوفد مؤلفا من علاء الدين الدروبي رئيس الوزارة ، وعطـا الايوبي وزيـر الداخلية ، وعبد الرحمن اليوسف رئيس مجلس الشورى ، والشيخ عبد القادر الخطيب عضو المؤتمر السوري ، والشيخ عبد الجليل الدرا • وفي محطة « خربة الغزالة » تجمهر الحوارنة وقتلوا رئيس الوزراء ، وعبد الرحمن اليوسف ، وبضعة جنود فرنسيين كانوا في القطار • ونجا الباقون بعد أن اختلطوا بالركاب واختفوا بينهم •

وكان ذلك ايذانا ببدء الثورة في حوران •

وجهـز الفرنسيون حملة قويـة لاحتلال درعـا فاصطدمت

بالمجاهدين في « الكسوة » ثم في « المسمية » ، ثم في « غباغب »، وقد دارت رحى معارك عنيفة في المواقع الثلاثة كانت فيها الغلبة للجيش المحتل المجهز بأحدث الاسلحة والمعدات •

وفي أول تشرين الاول احتل الفرنسيون درعا بعد أن قتل منهم عدد كبير • واستشهد من المجاهدين عدد غير قليل • وهدم الفرنسيون القرى ، ونكلوا بالنساء والاطفال والشيوخ • وفرضوا غرامات كبيرة على الأهلين ، كما فرضوا عليهم دفع دية الوزراء والجنود المقتولين •

ثورة الاسكندرونة :

شن ، صبحي بركات ، وشقيقه ثريا ، وعاصم وحقي بن داده بك ، ثورة عنيفة في الاسكندرونة بعد أن انضم اليهم عدد كبير من السكان العرب في اللواء • وقد اصطدموا — لاول مرة خلال شهر أيار سنة ١٩١٩ — بالقوات الفرنسية التي كانت تعسكر في لواء الاسكندرونة منذ نهاية الحرب ، وغنموا منها معدات وذخائر كثيرة، كما أوقعوا فيها عددا كبيرا من الاصابات • وشملت الثورة منطقة انطاكية، وقرقخان، والحمامات ، والعمق، وباب الهواء، ثم امتدت الى نواح اخرى ، واصبحت تشكل حجر الزاوية لثورة الشيخ صالح العلي ، وابراهيم هنانو • وكان من المنتظر أن تصبح هذه الثورة سندا قويا لهما لولا ان الفرنسيين توسطوا عميلا وكان صديقا حميما لصبحي بركات الذي قبل الوساطة وجاء معه متخفيا الى

حلب ، حيث اجتمع بالمندوب الفرنسي في اواخر سنة ١٩٢٠ وعقد اتفاقية خاصة معه أنهى بموجبهـا ثورة الاسكندرونة ، وألقـى السلاح [1] . وقد أتلف المجاهدون بعد ذلك قرية هذا العميـل الذي كان يتنقل هو وأتباعه مع القوات الفرنسية لمحاربة الثائرين والتجسس عليهم .

ثورة ابراهيم هنانو :

ولد ابراهيم هنانو في قرية كفر تخاريم التي تبعد حوالي ٨٠ كيلو متر غربي حلب[2] . وانتخب عضوا في المؤتمر السوري .

---

(١) لقد ثبت فيما بعد ان الثورة التي شنها صبحي بركات ضد الفرنسيين كانت لخدمة قومه الاتراك في حروبهم ضد القوات الفرنسية في كيليكيا . وبعد أن اتفقت فرنسا ومصطفى كمال وانسحبت جيوشها من كيليكيا أصبحت ثورة صبحي بركات ــ في نظره هو ــ غير ذات موضوع . وقد قلده الفرنسيون بعدئذ أرفع المناصب في البلاد السورية . ثم اختلف معهم بعد انتخاب محمد العابد رئيسا للجمهورية سنة ١٩٣٢ وفشله هو . وسار مع الكتلة الوطنية الى سنة ١٩٣٦ حيث قاد المعارضة ضدها بعد ذهاب الوفد المفاوض الى باريس ورفض الكتلة اشراكه بعضوية الوفد . وحينما نشبت معركة لواء الاسكندرونة بين سورية وتركيا انحاز الى جانب تركيا ثم التحق بها نهائيا . وقطع صلته بسورية التي لعب أدوارا هامة ورئيسية فيها . وقد مات في لواء الاسكندرونة في الحرب العالمية الاخيرة مغمورا وشبه مجهول .

(٢) توفي ابراهيم هنانو في أواخر سنة ١٩٣٥ . ومن حفلة أربعينه انبعثت فكرة المقاومة السلبية . ونتج عنها اضراب البلاد كلها ستين يوما مما لم يحصل له مثيل في التاريخ . وقد اضطرت فرنسة الى عقد معاهدة مع سورية سنة ١٩٣٦ اعترفت فيها باستقلال سورية . ثم نكلت عنها سنة ١٩٣٩ .

وقد تخلى عن « المؤتمر » وعاد الى الشمال ليدعم ثورة الشيخ صالح العلي في جبال العلويين ، وثورة صبحي بركات في الاسكندرونة. وبعد أن اجتاحت الجيوش الفرنسية سورية الداخلية صمم العزم على مقاومة العدو . فعقد اجتماعا في مدينة ادلب حضره عدد كبير من الوجهاء في أقضية حلب ، ومندوبون عن الشيخ صالح العلي ، وصبحي بركات من الاسكندرونة ، وعمر البيطار من الحفة . وقد تم الاتفاق في هذا الاجتماع على تنسيق الجهود وتنظيمها ، والقيام بعمل موحد ضد القوى الغاشمة التي تحتل البلاد .

وقبل أن يبدأ ابراهيم هنانو ثورته العنيفة ، عمد الى أثاث بيته فأتلفه ، والى مطحنته فأحرقها حتى لا يترك للفرنسيين مجالا للتشفي والانتقام ، اذا كانت الغلبة لهم ــ مستشهدا بالقول المأثور: « بيدي لا بيد عمرو » . واتسعت الثورة حتى شملت مناطق ادلب، وحارم ، وجسر الشغور ، وسائر المناطق الغربية المطلة على « العاصي » في محافظة حلب .

وسافر ابراهيم هنانو الى تركيا للاتفاق مع مصطفى كمال على تزويد الثورة بالسلاح والمعدات . ورحب القائد التركي بالفكرة. وشجع ابراهيم هنانو ، كما شجع من قبله الشيخ صالح العلي ، على المضي قدما بالثورة ، وتعهد له بتقديم السلاح اللازم لها . وكان القائد التركي يسعى لايجاد المتاعب في وجه القوات الفرنسية التي كانت تخوض غمار حرب عنيفة في تركيا .

وعقد ابراهيم هنانو مع مصطفى كمال اتفاقية ــ في ٧ ايلول سنة ١٩٢٠ ــ لتزويده بالسلاح دون مقابل • ولما تم التفاهم بين هذا الاخير والحكومة الفرنسية ، وجلت جيوشها مرغمة عن الاناضول ، نكث مصطفى كمال بعهوده ، ورفض التقيد بها ! بل ذهب الى أبعد من ذلك ــ فقد اضطر المجاهدين السوريين الى الابتعاد عن الحدود التركية ! وتجلت نوايا الاتراك ضد العرب ، ورغبتهم في أن تكون سورية مستعمرة لفرنسة ، لا أن تصبح مستقلة ذات سيادة وكيان [1] •

وجرت معارك عنيفة بين المجاهدين والقوى الفرنسية في مواقع متعددة كان أهمها تلك التي جرت عند قرية « أوروم الصغرى » قرب مفرق حلب ــ دمشق ــ أنطاكية ، وفي قرية « اسقاط » ، و « جسر الشغور » ، و « كفر تخاريم » ، و « جبل الزاوية » ــ حيث دارت فيه رحى معارك استشهد فيها عدد من المجاهدين ، وقتل فيها عدد كبير من جنود العدو وبعض قادته ، منهم ضابط برتبة كولونيل ، وابن الجنرال غوبو قائد الحملة •

وحاول الفرنسيون اقناع ابراهيم هنانو بالقاء السلاح ، على أن يعينوه حاكما عاما في المناطق الثائرة فرفض باباء •

---

(١) من المآسي والمهازل التاريخية تسليم فرنسة لواء الاسكندرونة الى تركيا سنة ١٩٣٩ ضاربة عرض الحائط بالتزاماتها الدولية ، وخارجة بذلك على كل عرف ادبي ، وتقليد خلقي ، وتعهد سياسي بالمحافظة على كيان بلاد انتدبت عليها ... ولكن منطق الاستعمار غير منطق القانون والاخلاق .

التكافؤ بالسلاح والقـوى ؟! وأين التكافؤ بالمجالات الدوليـة والامكانيات ؟!

بودي لو بقي غورو حيا حتى يشهد جلاء جيوشه الغاصبة عن سورية ، ويشهد اندحارها عن قناة السويس ، وفشلها المتتابع أمام هجمات الثوار الجزائريين •

لقد عاد « صلاح الدين » •• وفي كل أرض عربية تدور معركة « حطين » • « وسيرى الظالمون أي منقلب ينقلبون » •••

ونظم هنانو مناطق الثورة تنظيما دقيقا • واوجد لها نظامـا ماليا تجبى بواسطته الضرائب من الاهلين الذين كانوا يقدمونهـا بحماسة بالغة ، واريحية معروفة عن تلك المناطق • وعني بايجـاد جهاز اداري لضبط الامن • وكانت قوى الشرطة التابعة للثورة تحمي الاهلين من المخربين والدساسين ، الذين كانوا يندسون في صفوفها • وينهبون ويسلبون باسمها ! فكانت قوى الامن تتعقبهم، وتقاصصهم ، وتعيد المنهوبات الى أصحابها ، وتقدم المتجرئـين على قدسية الثورة الى محكمتهـا التي كانت تحكـم بالسجن وبالاعدام •

وقد تخلل هذه الثورة الوطنية ــ ككل ثورة ــ اعمـال مؤسفة من التخريب والسلب والنهب •

وكان التعاون وثيقا بين الشيخ صالح العلي وابراهيم هنانو ، حيث كانا يتبادلان المعلومات ، وينظمـان الخطط ، ويشتركان بعض الاحيان بتنفيذها ، وكان الاتصال مستمرا بين قادة الثورتين وحاول الفرنسـيون ان يسنعوا هذا الاتصال ، وان يقيموا سدا من جيوشهم بين منطقتي الثورة ــ وذلك بمحاولة احتلال المناطق الشرقية المتاخمة للجبل العلوي • ولكن المجاهدين كانوا يحولون دون تسركز الجيش ، ويضطرونه دائما للتراجع •

وفي نهاية شهر آذار سنة ١٩٢١ قذف الفرنسيون بقوات كبيرة قدرت بعشرين الفا تحميها الطائرات ، وتتقدمها المصفحات • وكان

المجاهدون يشكون عجزا فادحا بالعتاد والذخيرة ـ بعد أن سدّت تركيا السبل بوجوههم ، وحالت بينهم وبين التزود بالسلاح منها •

ولما نفدت الذخيرة من ايدي المجاهدين اضطروا للتفرق ، واضطر ابراهيم هنانو في ١٢ حزيران سنة ١٩٢١ للجوء الى الاردن عن طريق الصحراء حيث نشبت بينه وبين البدو الرحل معارك عنيفة قتل خلالها أكثر رجاله الستين الذين قرروا مرافقته الى الحدود •

واعتقلته السلطات البريطانية في مدينة القدس ، وسلمته الى السلطات الفرنسية التي ساقته مخفورا الى حلب ، وقدمته الى المحكمة العسكرية • وبعد دفاع مجيد من الاستاذ فتح الله الصقال برأته المحكمة(١) •

وتوفي ابراهيم هنانو في ٢١ تشرين الثاني سنة ١٩٣٥ •

ثورة الفرات :

احتل الفرنسيون دير الزور في نهاية سنة ١٩٢٠ بعد معارك

---

(١) يروي الاستاذ فتح الله الصقال قصة تلك المحاكمة الفريدة ، ـ في كتابه القيم ـ عن ذكرياته في المحاماة ـ وان حكم البراءة صدر بالاكثرية ، وان الضباط الذين حكموا بالبراءة اعيدوا فورا الى فرنسة ـ مما يدل على ان السلطات الفرنسية العليا لم تكن راضية عن ذلك الحكم ، وقد سخطت على مصدريه الذين تأثروا بجو المحاكمة بعدما اثبت لهم الدفاع أن ثورة هنانو كانت ثورة وطنية نزيهة شريفة •

بينهم وبين القبائل المحيطة بها . وفي شهر ايلول سنة ١٩٢١ هجمت قبيلة (العقيدات) على المدينة لاسترجاعها من الفرنسيين،وحاصرت حاميتها مدة طويلة حتى جاءت قوة كبيرة من الجيش الفرنسي في حلب لفك الحصار عنها . وقد حصلت معارك عنيفة في « البصيرة » و « قرقيسياء » عند مصب الخابور في الفرات اعترف الفرنسيون بأنهم خسروا فيها احد عشر ضابطا ، و ١٧٠ جنديا بين قتيل وجريح .

ثورات محلية :

ونشبت ثورات محلية في مناطق متفرقة من البلاد ، كانت تهدف الى مقاومة الجيش الغاصب المحتل والاعراب عن شعور النقمة والكراهية تجاهه ــ منها :

ثورة قبيلة الموالي :

تعتبر قبيلة « الموالي » التي تنتشر بين حماة ومعرة النعمان من أشد القبائل العربية بطولة ورجولة واندفاعا . وقد شنت ثورة عنيفة على القوات الفرنسية في أواخر نيسان سنة ١٩٢١ وعطلت خطوط مواصلاتها ، واحرقت المحطات الواقعة على الخط الحديدي بين المدينتين . ودارت بينها وبين القوات الفرنسية معارك عنيفة لم تنتصر فيها القوات العدوة الا بعد أن تكبدت كثيرا من الخسائر في الارواح والمعدات .

ثورة الدنادشة :

أراد الجنرال غورو زيارة تلكلخ في خريف سنة ١٩١٩ فرفع

ممثله العلم الفرنسي على دار الحكومة . ولما شاهدته جموع الاهلين هجمت على « السراي » ومزقت العلم ، واشتبكت مع القوات المسلحة بمعارك طاحنة . واستطاعت القوات الفرنسية التغلب على القوى العزلاء ، الا من سلاح البطولة والايمان . فاضطر أبناء هذه العشيرة العربية للالتجاء الى دمشق بعد أن تغلبت عليهم القوات العدوة .

ثورة عشيرة الفضل :

وثار محمود الفاعور رئيس عشيرة « الفضل » في « الحولة » و « الجولان » في خريف سنة ١٩٢٠ . وقد نازل القوات الفرنسية في عدة معارك ، أحرقوا على أثرها قراه ، وشردوا سكانها ، واضطهدوهم ، ونكلوا بهم أسوأ تنكيل .

وقد نكبت هذه المنطقة قبل ذلك بهمجيةالفرنسيينووحشيتهم، حينما تصدى للجنرال غورو وهو في طريقه نحو مضارب عشيرة « الفضل » بضعة عشر مجاهدا جاؤوا من شرق الاردن فقتلوا مرافقه ، واصابوا حقي العظم حاكم دولة دمشق ثلاث اصابات ، ونجا غورو باعجوبة ، بعد أن أصيبت يده « الخشبية » الموضوعة مكان يده المبتورة .

وقد دمر الفرنسيون على أثر ذلك بضع قرى ، وشردوا أهلها ، وقتلوا الكثيرين منهم بتهمة ايوائهم المجاهدين ، واخفائهم .

لاحقة :

لقد نشبت ثورات محلية عديدة خلال هذه الفترة كانت تعبيرا قويا عن شعور الكراهية والبغضاء نحو الجيش الغاصب المحتل ونضالا عنيفا مستمرا للتخلص منه .

ولقد قام الثائرون بواجباتهم خير قيام . ولكن الذي يؤخذ عليهم ، وعلى قادتهم بصورة خاصة ، ان هذه الثورات كان ينقصها الانسجام ، والنظام ، والقيادة الموحدة . اما ان تثور كل منطقة لوحدها ، وكل عشيرة بمفردها ، وفي أوقات متباعدة ، وظروف متفاوتة ، فأمر يدعو الى الاسف وخيبة الامل . ولو أن البلاد حزمت أمرها ، وعبأت امكانياتها ، واندفعت كلها في وجه العدو الغاصب لتغير وجه التاريخ في هذه البلاد ، ولكانت النتيجة غير ما شاهدناه وعرفناه .

.. لقد كانت الاخطاء كثيرة وجسيمة ، أهمها :

١ ـ عدم الاستفادة من ثورة الشيخ صالح العلي كما كان يجب ، فهي أمُّ الثورات الوطنية ، وأطولها ، وأشدها عنفا وكفاحا، ولو دعمت الدعم الكافي ، وتجمعت فيها كل القوى الوطنية ، لاستطاعت وحدها أن تعرقل خطط الفرنسيين ، وأن تعيد جيوشهم الى البحر .

٢ ـ قبول انذار غورو ، وتسريح الجيش السوري !

٣ ـ التأخر عن دعوة الشعب كله للثورة في وجه العدو المهاجم .

٤ ـ تكليف علاء الدين الدروبي بتشكيل الوزارة غداة يوم ميسلون •

٥ ـ عدم توحيد الثورات الوطنية ، وضبطها ، وتوجيهها ، وايجاد التعاون الوثيق فيما بينها •

٦ ـ اضطرار أكثر الزعماء الوطنيين لمغادرة سورية عند احتلالها ، وعدم بقائهم فيها الى جانب الشعب يشدون أزره ، ويقوون معنوياته ويهيئونه للكفاح •

الشيخ صالح العلي

والد الشيخ :

ولد الشيخ صالح العلي سنة ١٣٠٠ هـ في قرية « المريقب » ، منطقة طرطوس ، ناحية الشيخ بدر ، من ابوين كريمين ، ومن اسرة عريقة لها مكانتها المرموقة ، ومركزها المعروف . ووالده الشيخ علي سلمان من الشيوخ الذين نذروا أنفسهم لله [1] ، ولمكارم الأخلاق . وقد بنى مسجدا عمره بالصلاة ، واعتكف فيه طيلة حياته . وكان مرجعا كبيرا لطلاب العلم والحاجات ، يؤمون مسجده من سائر الانحاء والجهات ، ويحتكمون اليه في صغائر الامور وجلائلها « وكان ، علاوة على مركزه الديني الكبير زعيم عشيرة البشارغة المنتشرة في سائر أنحاء الجبل » .

مبايعة الشيخ بالزعامة :

توفي الشيخ علي سليمان وله من الاولاد اربعة : الشيخ محمد

(١) حدثنا فخامة السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية السورية الاسبق انه زار قرية « المريقب » حينما كان قائممقام بانياس . وان الشيخ علي سليمان والد الشيخ صالح قد استقبله ودعاه للغذاء ، وقال له : « انني لم آكل في حياتي كلها مع رجل موظف خشية ان يكون قد ظلم احدا من الناس . ولكن بلغني انك رجل منصف ، وعادل ، وتقي . تصوم ، وتصلي وتتقي الله . ولهذا فانني سآكل معك . واضاف فخامة الاتاسي قائلا : لقد تأثرت جدا بكلمات ذلك الشيخ الجليل الوقور . وقد كان مهيبا ومتصوفا ، وله مكانة كبيرة في محيطه .

كامــل ، والشيخ صالح ، والشيخ عباس ، والشيخ محمود . ولم يكن الشيخ صالح حين وفاة والده قد بلغ العشرين سنة . ولكن بالرغم من هذه السن المبكرة فقد اجمعت الكلمة على انه خير من يحمل رسالة أبيه ، ويؤديها أصلح أداء . ولذلك اجتمــع الاهل والاصدقاء والاتباع وبايعوه بالزعامة ، وقد برهن بعد اضطلاعه بأعبائها عن حصافة بالغة ، وحيوية رضية ، وذكاء وقاد ، مما اجمع الكلمة على حبه ، والثقة به ، والالتفاف حوله ، وتأييــده تأييدا صادقا مطلقا . وقد لمع نجمه بعد اضطلاعه بأعباء الزعامة ، وتألق اسمه حتى اصبح ملء الاسماع والافواه .

أخلاق الشيخ :

ما عرف الناس شعورا نبيلا مترفا ، واحساسا رقيقا مرهفــا ، وخلقا رضيا رصينا ، وعقلا كبيرا رزينا ، وقلبا ينبض بالعاطفــة والحب ، ولسانا ينطق بالصراحة والصدق ، كما عرفوا الشــيخ صالح العلي .

والناس جميعا ــ الصديق والخصم ــ يعترفون ان حيـــاة الشيخ كانت نموذجا صالحا للاخلاق والفضيلة ، وانها أصــلح ما تكون لان تؤخذ قدوة للمقتدين ، وسبيلا قويما للمهتــدين . وانه فيما كان يتحلى به من كريم السجايا ، ونبيل المزايــا ، قد وفر على ثورته الرهيبة كثيرا من الضحايا . وحفظها من التفكك تلك السنوات الطويلة ، رغم وسائلها المحدودة ، وامكانياتهـــا

القليلة . وانه قد اوحى بالبطولة الى جنوده بعد ما رأوه من صدق عزيمته ، وقوة شكيمته ، ومتانة اخلاقه الفاضلة ، ونبل صفاته الكاملة ، حتى انه كثيرا ما عفا عن المتآمرين عليه ، وصفح عن المسيئين اليه[1] .

ثم ان معاملته للاسرى الفرنسيين ـ واكثرهم كانوا من المغاربة ـ تفوق أية معاملة مماثلة . فكان اذا اسر أحد جنود العدو يؤخذ

---

(١) مما يروى بهذا الصدد ان دعوى عقارية كانت بينه وبين الشيخ محمود العلي من وجهاء القدموس ، وانه التقى به قبيل الموعد المحدد للجلسة بيوم واحد فسأله عن سبب تأخره عن السفر وحضور المحاكمة ، ولما علم انه لايوجد لديه مصروف الطريق اعطاه الشيخ ثلاثين « ريالا فضيا » ليتمكن من السفر ومتابعة دعواه ضده . وهو عمل قل ان يوجد له شبيه حتى في أرقى البيئات ، وعند افضل الناس .

ووقف هذا الموقف النبيل مع المعترضين عليه في قرية « كاف الجاع » . فقد مسح اراضي القرية كلها دون ان يهضم لانسان حقا . ودون ان يحضر عملية التحديد والتحجير . وانما ترك الاهلين انفسهم مع المهندسين يضعون الحدود كما يشاؤون ويختارون . ولم يبال بموقفهم الناس بعدئذ ، وانما ظل مستمرا في حدبه عليهم ، والعناية بهم ، ومد يد المعونة اليهم . وبعد اعتراضهم عليه كان يزودهم قبيل كل جلسة بالمال اللازم لمصروفهم ، واجرة المحامين عنهم . ويسألهم بعد العودة عما جرى لهم ، متبسطا معهم في الحديث كأن اعتراضا عليه لم يحدث ، وكأن خلافا بينه وبينهم لم يحصل . وهذا ما اعترف به امامنا اولئك المزارعون الطيبون البسطاء الذين ذهبوا ضحية الدس والتغرير من قبل بعض رجال السوء .

وتلك لعمري أخلاق رضية ندر المتحلون بها من الناس .

العهد عليه ألا يعود الى ساح القتال مرة اخرى ، ويطلق سراحه ، وكانوا يرفضون العودة الى ميـدان القتـال ضد الشيخ ، ولو تعرضوا في سبيل ذلك الى ما يتعرض له الجنود الثائرون من معاملة حازمة ، وعقوبة صارمة • وكان بعضهم يفر من الجيش الفرنسي وينضم الى صفوف المجاهدين •

وموقفه في القدموس بعد جلاء اهلها عنها وأسر أكثرهم لما يشرف سمعته ، وسمعة ثورته ، الى الابد • فقد كان يعطي الرجال المجلوين وسائل السفر ، وما يلزمهم من زاد ومتاع ومصروف •

وموقفه المشرف من المسيئين الى سكان قرية « الصقيلبية » ــ التابعة حماه ــ لاكبر دليل على ما يحتشد في نفسه الكبيرة مـن نبل السريرة ، وسمو العقيدة ، وطهارة الوجدان • فقـد ذهب بنفسه الى تلك القرية واعاد المنهوبات الى أصحابها ، وأعطـاهم تعويضا كافيا عن المفقود منها ، وعاقب المسيئين الى سمعة الثورة، ونكل بهم ، وجعلهم عبرة لكل من تسول له النفس اسـتغلال الثورة لخدمة مآربه واغراضه[1] •

وهكذا كان الشيخ يحرص كل الحرص على ابقاء اسم الثورة

---

(١) حدثنـا السيد عبد الكريم الرستم الملاك الكبير في قرية الصقيلبية ان الشيخ صالح قد اعاد لهم كل ما نهبه الاشقياء من قريتهم . ثم اعطاهم من جيبه الخاص ثلاثمائة ليرة ذهبية بمثابة تعويض . وقال لنا السيد رستم ان الشيخ من انبل واطهر الرجال الذين عرفتهم في حياتي ..

بعيدا عن كل استغلال واستثمار . مما كان لـه الفضل الاول في ثباتها واستمرارها طوال ثلاث سنوات ونصف .

وهناك مواقف من هذا القبيل أكثر من ان تعد وان تحصى . وهي تعطي الناس صورة صادقة عن اخلاق الشيخ ، وعن حقيقة ثورته الوطنية ، ونبل غايتها ، وبعدها عن الشهوات .

شجاعته :

لم تحتدم يوما معركة الا وكان الشيخ في طليعة الثـائرين ، يستوحون من بطولته ورجولته ما يحفزهـم على التضحيـة ، ويدفعهم الى النضال .

وكان لهم مثالا قويا يهتدون بهديه ، ويسترشدون بخطاه .

وكم احرقت بيوته ، واستبيحت معاقله ، وتفرق الناس من حوله ، وكثر المتألبون عليه . ولكن ثباته ، ورباطة جأشه ،كانت تعيد الثقة الى جنوده الفارين ، وتعيدهم الى ميادين الكفاح وهم أكثر شجاعة واعظم اقداما .

وكم ضاقت امامه السبل فألفى نفسه في حصار شديد الوطأة ، محكم الرباط ، ثم استطاع بايمانه الذي لم يتزعزع ، وعزمـه الذي لم يتضعضع ان يفك ذلك الحصار فيحصـر المحاصرين ، ويهجم على المهاجمين ، كما حصل في قرية « برمانة الاسماعيلية » ابان ذلك الحصار الهائل ، الذي قلب المعركة رأسا على عقب ، وحول تنائجها المرتقبة من نصر كان يأمله الفرنسيون الى هزيمة منكرة مزرية .

لقد كانت شجاعة الشيخ مضرب الامثال وحديث المجالس .
وان حياته لتعتبر سفرا تقبسا من اسفار الجهاد المقدس ، ومفخرة من مفاخر الوطنية والتضحية والنضال .

هيبته :

طويل القامة ، عريض المنكبين . ممتلىء صحة وحيوية ونشاطا . يحدثك وجهه الطافح بالبشر ، وملامحه الرضية الرصينة، وعيناه السوداوان الآسرتان . وحديثه الجريء الصريح ، وصوته الجهوري القوي ، يحدثك هذا كله عن وقار لا تشهد له مثيلا ، ومهابة لا تعرف لها نظيرا . وعن كبرياء متواضعة ، وتواضع مترفع .

فكأن الشاعر قد عناه أيضا بقوله :

يغضي حياءً ويُغضى من مهابته   فلا يُكلَّم الا حين يبتسم

الشيخ القائد :

لقد كان الشيخ مضطلعا بأعباء القيادة عن جدارة واستحقاق. تؤهله لها مكانته وخبرته ، ودقته في العمل ، وتفانيه به .

حدثنا احد اركان حربه الضابط الباسل جميل ماميش[1] ان الشيخ كان محبوبا من المجاهدين ، ومطاعا منهم ، وانه لم يقرأ عن قائد كانت له مثل هذه السيطرة ، التي كانت أشبه بالطاعة العمياء ، على الجنود والاهلين .

---

(١) نشرنا له في مستهل الكتاب كلمة خاصة عن الثورة وقائدها .

وحدثنا عن عبقريته العسكرية كقائد ، وكيف كانت تظهر في تسييره للمعارك ، وهيمنته عليها • وانه كان يحتفظ باحتياط كاف لانقاذ كتائبه من الضغط ، وانجاد غيرها عند اللزوم • وان الثورة كانت تتوقف على الشيخ وحده لا على سواه • وان آراءه في تسيير المعارك كانت تصيب دائما ، ونادرا ما كانت تخطىء •

وكان بعد انتهاء كل معركة يجمع الضباط ، ورؤساء الفرق ، ثم يمرون على ساحة المعركة متفقدين باحثين مستنبطين • يستفيدون من أخطائهم واخطاء غيرهم • ويجمعون المعلومات الكافية عن أساليب العدو بالدفاع والهجوم •

وكانت تعينه في قيادته تجاربه الطويلة ، ومعرفته التامة بطبيعة الارض ، وخبرته في مسارب الجبال والاودية ، والهام داخلي كان له أبعد الاثر في تكييف رأيه وتوجيهه •

كان يراقب القتال من مكمنه متنقلا بمنظاره ذات اليمين وذات الشمال ، يتفقد جنوده ، ويستطلع اخبارهم ، حتى اذا ما انتهت المعركة وتوقف القتال استدعى كل كتيبة فأعطاها بعض الملاحظات، ثم اجرى بينها ما تقتضيه الحاجة من تغيير وتبديل •

وكان يعين بنفسه رؤساء الجبهات ويرفض ان يتدخل بذلك احد سواه • ولم يكن له مقر معين ولا مكان معلوم • وانما كان يستقر في المكان الذي توجبه الضرورة وتستلزمه • وقد

حدثنا بعض المجاهدين ان كل كتيبة من الثوار كانت تحارب بحماسة وهي تحسب ان الشيخ معها فتستبسل وتستأسد ، وكان يعزز هذا الشعور والحسبان ملاحظات الشيخ المستمرة في نهاية كل معركة ، كبيرة كانت ام صغيرة .

ولم يكن الشيخ يرفه نفسه بشيء عن جنوده . بل كان يأكل مما يأكلون ، ويشرب مما يشربون . ويعيش حياة التقشف والشظف كما يعيشون . ولولا كثرة الحذر وزيادة الاحتياط وتنقلاته بين حراسه الاوفياء ، لما كانت تمتاز حياته في مظهرها عن حياة جنوده العاديين .

ولم يكن الشيخ خريج مدرسة عسكرية ، ولا قائدا نال مركزه عن طريق الرتبة الرفيعة ، وانما هو رجل محارب شجاع اكسبته التجارب والمران خبرة عسكرية حيرت ضباط العدو ، وأفزعتهم . وكان لها الفضل الاكبر في ثبات الثورة كل ذلك الامد الطويل . والتاريخ يحدثنا ان كثيرين من مشاهير القواد تخرجوا من مدرسة التجارب والاختبار ، ولم يتخرجوا من المعاهد أو الجامعات ، وانهم بذوا أقرانهم الآتين عن طريق المدارس والشهادات .

تنظيمه ومعاملته للثائرين :

كان الشيخ في الاوقات التي تهدأ فيها حدة المعارك ، ويخمد لظاها ، لا يني عن تدريب الثائرين على الرماية الدقيقة تمرينا

مشوقا ، اذ كان يضع جوائز للمباريات ، ويعلق الشارات عـلى صدور الفائزين ويحتفي بالمتفوقين مما يدفع المجاهدين الى الاهتمام والمثابرة ، ويستنفد اكثر اوقاتهم في فترات الهدوء .

وكان يمنع المجاهدين من ارتداء الملابس المغاير لونها للون الارض ، ويحول بينهم وبين التمركز في السهول المنبسطة حتى لايكونوا هدفا صالحا للطائرات ، وانما يدفعهم للتمركز وراء كتل من التراب ، وفي ظل اكوام من اغصان الشجر اليـابس . وكان يجلب لهم المغنيين القرويين يغنون لهم القصائد النارية ، والاشعار الحماسية ، فتلتهب نفوسهم وتضطرم عواطفهم . وكان يـوزع عليهم الاسلاب والغنائم ، ويشرف بنفسه على طريقة اعداد الطعام، وتجهيزه لهم ، وتوزيعه عليهم .

وشكل محكمة للثورة فكان يحاكم كل مخالف ، ويحـكم عليه بما يستحق من العقوبة ، ويستوجب من القصاص .

وشكل فرقا للتفتيش ، واخرى للامن ، مهمة الاولى مراقبة الجنود ، ومهمة الثانية المحافظة على النظام . وبقوة هذا التنظيم الرائع ، وذلك الايمان القوي استطاع ان يقف في وجه الجيش الفرنسي الذي قهر الالمان يومئذ في الحرب ، وانتصر في اعنف معارك الدنيـا .

آل عدره :

هذه الاسرة الكريمة كانت في بدء الثورة تستوطن « قلعة

الخوابي » ، القريبة من الشيخ بدر مركز قيادة الثورة ، وقد قاست من عنف الفرنسيين ، وشدة بطشهم ، ومن شراسة جنودهم، وعنجهية قوادهم ، ما لم تقاسه اسرة أخرى •

وقد وقف آل عدره الكرام كل امكانياتهم المادية والمعنوية لخدمة الثورة ، وضحوا في سبيلها بكل ما يملكون من مال ومتاع وقد احرقت بيوتهم ، ونهبت اموالهم ، واغتصبت ارزاقهم ، ومع ذلك فلم يتوانوا عن القيام بواجباتهم ، ولم يتخاذلوا عنها ، ولم يتلكأوا بل ظلوا يكافحون ويناضلون من مطلع الثورة حتى خاتمتها •

وكان السيد عبد الرزاق المحمود سكرتيرا للشيخ يقوم بواجبه خير قيام ، ويؤديه خير أداء بمنتهى الدقة والامانة والاخلاص •

وكان رفيق الشيخ ، وكاتم سره ، وواسطته مع المراجعين والموالين •

والذين كانوا يرغبون في الاجتماع الى الشيخ ، والافضاء اليه ببعض المعلومات، كانوا يجدون من سكرتيره عبد الرزاق أصلح وسيلة لتحقيق ما يرغبون • فقد كان أثيرا عند الشيخ يحبه ، ويثق به ، ويعتمد عليه في كل كبيرة وصغيرة • وكان يحمل مفاتيح « الشيفره » يحل بواسطتها رموز الرسائل الواردة من الملك فيصل ، ثم يتوفر على تدبيج رسائل الشيخ اليه •

وهذه اسماء بعض المجاهدين من آل عدره المخلصين :

أحمد المحمود : سجن ما يقارب السنةوالنصف • كامل المحمود: جرح عدة مرات • عبد القادر المحمود : وهو مجاهد معروف • حسن المحمود ، ومصطفى المحمود : نفيا الى جزر المارتينيك وكالدونيا الجديدة • محمود المحمود : سجن في طرابلس قبيل انتهاء الثورة وظل سجينا بعدها فترة طويلة • احسان المحمود ، وعبد اللطيف عدره ، ومصطفى عدره : ابلوا في الجهاد خير بلاء • عبد الرزاق المحمود : كان سكرتيرا للثورة ، وقد سبق التحدث عنه •

ومن الوفاء للتاريخ ان نشيد بمواقف هذه الاسرة المجاهدة ، التي ظل أبناؤها الى جانب الشيخ طوال أيام الثورة وبعدها • فلم ينحرفوا عنه ، ولم يقطعوا صلتهم به ، وانما ظلوا على ولائهم واخلاصهم له • وكان الشيخ يؤثرهم على سواهم ، ويحفظ لهم مكانتهم واعتبارهم •

النساء العلويات في الثورة :

ومن ابرز مظاهر الثورة ، واجلى معالمها ، اشتراك النسوة العلويات بها • وهو اشتراك يفسر لنا مدى اقبال المواطنين على تلك الثورة الضروس • حتى ان المرأة كانت تقف الى جانب الرجل تعضده وتتحمل جزءا من مسؤولياته • وتنقل اليه الماء والطعام الى جبهة القتال ، وتجلس وراءه تحمسه ، وتشدد من عزيمته ، وتعينه في القتال •

وقد استشهد منهن الكثيرات ابان المعارك ، وفي غضون الحملات • فكان هذا الاستشهاد سبيلا الى تحميس رفيقاتهن، واستئسادهن في القتال ، وتحمل التبعات •

وكانت النساء تقوم مقام الرجال في الزراعة والحصاد ، ويسددن الفراغ الذي أحدثه غياب رجالهن عن الحقول •

واشتراك المرأة في الثورة ، وفي الاعداد لها ، قد فسح للرجل مجالا رحبا ليظل في ساحة القتال وهو مطمئن الفكر والبال والضمير •

وموقف المرأة العلوية من هذه الثورة ، يشبه مواقف اختها في الفتوحات العربية ـ اذ كانت ترافق الرجل في الغزوات والفتوح، وتشترك معه اشتراكا عمليا في جميع الحروب والميادين • وان ذلك لما يعود بالفخر على هذه الامة ، ويحفز كل واحد من ابنائها على الشعور بواجباته ومسؤولياته ، والتوفر على القيام بها ، ووقف كل ما يملك من حول وجهد في سبيلها •

موقف الرجعيين من الثورة :

هذا موضع شائك وعر ، لا يأمن الداخل فيه من العثار • ولولا الامانة للتاريخ لما أثرته في قليل او كثير •

ولكنني لن اصرح باسم احد من المسيئين ، ولن اتعرض بشيء من الايضاح والتفصيل لموقف بعض الرجعيين المغرضين من ثورة الشيخ ، وجهاده المبرور • غير أني مضطر حرصا على الامانة

للتاريخ وواجب أدائها ، ان أؤكد للقارىء الكريم ان بعض الاشخاص قد باعوا ضمائرهم للفرنسيين بيع السماح ! وانهم وقفوا من حركة الشيخ موقفا عدائيا صريحا ! ولو لا ان وقف «بعضهم» مثل هذا الموقف المخجل المزري لما كان مستبعدا أن تتغير النتيجة التي عرفناها ، وان يتحول مجرى الاحداث ، ويقطف الشعب السوري ثمرات تلك الثورة القوية حرية واستقلالا .

ولكن ذلك الموقف النابي من بعض الرجعيين في مطلع الثورة، وفي غضونها ، هو الذي ساعد على ايصالها لتلك النتيجة المحزنة ، والخيبة المريرة ، وحال بينها وبين تحقيق الهدف المنشود . وان مصادرة كميات الذخيرة من قبل بعض الرجعيين في قرية « تل وعاوي » — التي تقع جنوبي مدينة صافيتا وتبعد عنها بضعة عشر كيلو مترا — هي التي أجهزت على الثورة ، بعد ان نفدت الذخيرة من المجاهدين وكانوا بانتظار هذه الامدادات على أحر من الجمر ...

وكان الزعماء الرجعيون يرسلون اتباعهم للانخراط في الثورة بغية التجسس ، وارسال الاخبار ، ومن ثم تثبيط الهمة ،واغتيال الشيخ .

ولولا عفو الله ، ويقظة الشيخ وسهر رجال امنه لكتب لأولئك المتجسسين والمريدين ان يظفروا ببغيتهم منذ بدء الثورة ويقضوا عليها في مستهلها .

ولولا عفو الله ، ويقظة الشيخ ، وسهر رجال أمنه لنجحت خطط المتآمرين على حياته ، واغتياله عن طريق السم ، او عن طريق ارشاد المدفعية والطائرات الى مقره بواسطة شهب من النار .

ولكن عفو الله ، ويقظة الشيخ ، وسهر رجال أمنه كان يحبط كل تلك المؤامرات ، ويقضي عليها في مهدها ، وان كان بعضها قد نجح بتسميم جسم الشيخ واضطراره للاعتكاف في الفراش فترة غير قصيرة .

ومما يعزينا عن موقف بعض الرجعيين العلويين ان الطائفة العلوية بأسرها كانت تعطف على الثورة ، وتساعد القائمين بها . وان اكثر شباب العلويين قد انخرطوا فيها بالرغم عن الرجعيين المثبطين .

افتراءات المغرضين :

لم تخل الثورة الوطنية من بعض العناصر الداسة المغرضة ، يندسون في صفوفها للتثبيط والتهديم ، والتشويش والتخريب ، ويعملون جاهدين للنيل من كرامتها ، والحط من قيمتها ، وتشويه سمعتها الطيبة عند المراقبين والحادبين .

ولم تخل الثورة من بعض الاشقياء الذين كانوا يتخذون منها ستارا لما يرتكبونه من جرائم ، ويقترفونه من مآثم ! فينهبون القرى ، ويسلبون المارة ، ويعتدون على الابرياء ! والثورة من هذه الاعمال المجرمة ومن ادعيائها المجرمين براء .

ولم تكن تأخذ الشيخ شفقة ولا رحمة بأولئك المتجرئين على قدسية الثورة ، ومثاليتها ، بل كان يعاقبهم أشد عقاب ، وينكل بهم شر تنكيل . ولما علم أن احد المقربين منه على صلة خفية بأولئك المجرمين طرده من صفوف المجاهدين ، وحرم على رجاله جميعا ان يجالسوه او يخالطوه . كما ان الشيخ لم يكن يدخر وسعا برد المنهوبات الى اصحابها ، والتعويض عما لحقهم من أضرار[1] .

ولكن ... ما هو ذنب الثورة ، وذنب قائدها وأبطالها ، اذا كان بعض ذوي النفوس المريضة قد اغتنموا الثورة فرصة مناسبة للسلب والنهب ؟ ! وهي حال توجد حتى في أرقى البلدان، ولا يخلو من التنويه بها أي تاريخ لاي ثورة نشبت في الزمن القديم أو الحديث .

ان الاشقياء لا وطنية لهم ، ولا اخلاق عندهم ، وهم يغتنمون كل الفرص والمناسبات للاقدام على مثل هذه الاعمال. واذا كانت هذه الاعمال اللصوصية تكثر في مثل هذه المناسبات ، ولا يخلو من مثلها زمان ولا مكان ، فكيف لا تحصل في هذه البيئة المتأخرة ، وفي مثل تلك الظروف ؟ !

ورغم ان الشقاوات لم تخل من امثالها حركة تحررية واحدة ، ولم يخل من التنويه بها أي تاريخ لها ، فمع ذلك لم يجرؤ احد على اتهام غايتها بمثل ما تجرأ بعض المغرضين على اتهام هذه

---

(١) راجع ما ورد في فصل سابق عن « أخلاق الشيخ » .

الثورة بما هي منه براء .

وقد نعذر بعض المتقولين المغرضين الذين لا اخلاق لهم ، وقد يشفع بهم فقدان الشعور الوطني من نفوسهم ، وتربيتهم البعيدة عن مفاهيم الوطنية وتعاليمها ، وعقولهم المغزوة بتعاليم الاستعمار ومبادئه .

أجل قد نعذر أولئك المتقولين المغرضين ونوجد لهم بعض المبررات ، متى ما علمنا انهم صنائع الاجنبي المستعمر ، وانه هو الذي أوحى الى عملائه بمحاولة تشويه سمعة الثورة في غضونها ، وبعد انتهائها بالوقت الذي كانت بلاغاته الحربية ، نفسها ، تصدر وهي خالية من مثل هذه الاراجيف .

وانني لاصرح جازما بأن كل من افترى على هذه الثورة بالاتهام ، وحاول تشويه سمعتها والاساءة لغايتها ، هو من اعداء فكرتها وغايتها وهدفها ، وانه قد حاول ستر عداوته لها ، وتنكره عليها ، بتشويه سمعتها ، والحط من قيمتها ، وتلكم والله ألأم الطرق ، وأحط الاساليب .

ورحم الله أبا الطيب المتنبي :

واذا أتتك مذمتي من ناقص
فهي الشهادة لي بأني كامل

مادة الثورة :

كانت الثورة تعتمد في توفير المادة لها على المصادر الآتية :

١ — ثروة الشيخ صالح العلي ، واسرته ، وعشيرته ، وقد

وضعت كلها تحت تصرف الثورة •

٢ — معونة الملك فيصل المستمرة •

٣ — تبرعات الوطنيين في المدن الداخلية والساحلية •

٤ — اكتتاب العلويين المستمر •

٥ — تبرعات المغتربين في المهاجر الامريكية[1] •

٦ — ما يستولي عليه المجاهدون من جيش العدو •

ومما لا ريب فيه ان ثورة جبارة ضخمة ، كتلك الثورة الجبارة الضخمة ، تستنفد في سنيها الثلاث والنصف مقادير هائلة من المال والسلاح ، وتستنفد كل القوى المادية المدخرة والمقدرة ، ولكن المعونات المستمرة ، والذخائر التي كان يغنمها المجاهدون من جيش العدو ، كانت تغطي كثيرا من حاجات الثائرين ، وكانت اذا مستهم الحاجة يوما ما عمدوا الى الاستدانة من حماه • وكان موعد الدفع « طلوع الحملة » [2] أو « هجوم الثوار » •

---

(١) كانت ترسل هذه المعونات بواسطة المغفور له الشيخ محمد رمضان سلمان ، كرم مغيزل : صافيتا ، وأنجاله الاتقياء الكرام : الشيخ ابراهيم ، والشيخ يونس ، والشيخ احمد ، والشيخ عبد اللطيف ، وابناء اعمامهم . وقد لقيت هذه الاسرة الكريمة من ظلم الفرنسيين وبطشهم وتنكيلهم ما لم تلاقه اسرة في الجبل كله . وكان الشيخ أحمد ، وهو صهر الشيخ ، همزة وصل بين الشيخ القائد والجهات العلوية المختلفة . وكانت تبرعات المغتربين تفد الى أشخاص مختلفين في لبنان حيث يتناولها أنجال الشيخ محمد رمضان وينقلونها للشيخ في مركز الثورة غير آبهين بما يتعرضون له من الاخطار الجسيمة التي كانت تحيق بهم .

وما تزال هذه الاسرة النبيلة علما للجهاد والوطنية في الجبل العلوي كله .

(٢) و « طلوع الحملة » يقصد به عندما كان يحمل الجيش الفرنسي على مواقع الثائرين ، وما تزال هذه الكلمة شائعة الى الآن : « عالحملة » .

وقد كان المرحوم رشيد طليع ، حاكم حماه في العهد الفيصلي، والسيد نجيب البرازي يضطلعان بأكبر عبء في معونة الثورة ، ومساعدتها • وكان الشيخ يعتمد عليهما كل الاعتماد • وكانت حماه ركيزة قوية للثورة ، وسندا مكينا لها •

ان للمرحوم رشيد طليع أثرا خالدا في تاريخ الثورة لا تمحوه الايام •

العقداء :

كان الشيخ يطلق اسم العقيد على رؤساء فرقه • وهو أعلى رتبة عسكرية في الثورة •

وكان الشيخ يعين « العقداء » ، ويعزلهم ، وقديستبدل كتائبهم بكتائب اخرى ، ويرفع مرتباتهم العسكرية عند الاقتضاء •

وكان أمر « العقيد » يهم الشيخ كثيرا • لان المعركة كثيرا ما تتوقف على عبقرية القائد ورجولته ، واخلاصه وبطولته • ولذلك كان الشيخ ينتقيهم من بين رجاله الاشداء المجربين ، ويضعهم أول الامر تحت سلطته المباشرة ليختبر بنفسه حنكتهم ، ودرايتهم، ومهارتهم ، وحسن تدبيرهم للامور ، وتهيئتهم لها • ومتى ماتوفرت بواحدهم الشروط اللازمة لتعيينه « عقيدا » عينه الشيخ وسلمه زمام الامر في كتيبة خاصة • وهكذا دواليك ••

واذا أظهر « عقيد » شيئا من العجز ، أو الضعف ، أو التهاون فسرعان ما يستبدله الشيخ بسواه • ولم يكن أحد يتبرم من ذلك،

أو يعترض عليه ، بل كان الجميع يطيعون أوامر الشيخ اطاعةعمياء مطلقــة .

لقد كان التنظيم عسكريا [1] .. ولكن الالفة الروحية بـين الجندي وقائده اعظم من كل ترتيب وتنظيم .

وهناك رتب عسكرية اخرى متفاوتة فيالمرتبةوالدرجة ، وهي: الملازم ، والمعاون ، ورئيس الخفراء ، وكان لـكل منهم عمـل وصلاحيات ، وعدد معين من المجاهدين تحت امرته وقيادته .

---

(١) كان الى جانب الشيخ « هيئة اركان » وهم عدد من الضباط النظاميـين في الجيش العربي اوفدهم الملك فيصل لمعونة الشيخ في ادارة المعارك الحربية ضد الفرنسيين . وكان الشيخ يستشيرهم ، ويأخذ بآرائهم ، ويعتمد كثيرا عليهم .

الاعمال الحربية في بلاد العلويين[1]

مترجمة عن « الكتاب الذهبي الفرنسي »

احتلت جيوشنا مدينة اللاذقية في أواخر سنة ١٩١٨ • وعلى الاثر اعلن بعض العلويين العصيان علينا • وكان يقودهم ، ويدير

---

(١) أحببنا ان نثبت هنا بعض ما كتبه الفرنسيون أنفسهم عن ثورة الشيخ صالح العلي . وقد عهدنا للسيد الياس يعقوب بترجمة هذا الفصل من « الكتاب الذهبي » الفرنسي الذي تضمن سرد الوقائع الحربية التي انتصر فيها الجيش الفرنسي . وعنوان هذا الفصل ـ هنا ـ هو نفس العنوان في الكتاب المذكور الذي أفرغ على المجاهدين أولا كلمة « عصاة » ! ثم أفرغ عليهم بعد ذلك لقب « ثوار » . ثم شرع بعدئذ يتحدث عن الاعمال الحربية في جبال العلويين . ونظرة واحدة الى ما كتب في ذلك الكتاب عن هذه الثورة تعطي القارىء صورة واضحة عن اتساعها وعنفها وأهميتها .

ولسنا بحاجة الى أن نلفت نظر القارىء اللبيب الى أن الفرنسيين يتحدثون من جانبهم هم ، وعما يتفق مع مصالحهم في رواية الحوادث والتاريخ . ومعنى ذلك ـ كما يدرك بداهة ـ أنهم لا يعترفون الا بجزء واه من الحقيقة التي لا يمكن اخفاؤها وطمس معالمها . وهذا الجزء الواهي من الحقيقة التي يعترفون بها تشعر القارىء اللبيب ان تلك الثورة قد أقضت مضاجع الفرنسيين زمنا غير قليل . ونالت من كرامتهم وسمعتهم وكبريائهم ، ومجدهم العسكري الزائف الشيء الكثير .

ونعتذر الى القارىء لان المجال لا يتسع لنشر كل ما ورد في « الكتاب الذهبي الفرنسي » عن الثورة ، وهو يقع في عشيرات الصفحات . وقد أشار الامير مصطفى الشهابي في كتابه « القومية العربية » حين تحدثه عن ثورة الشيخ صالح العلي الى هذا الكتاب .

شؤونهم ، الشيخ صالح العلي أحد الرؤساء الاقطاعيين ـ كذا ! ـ في البلاد • وقد استطاع ذلك الطاغية الشيخ صالح العلي وانصاره أن يحتفظوا بالجبل العلوي حتى نهاية عام ١٩٢١ • ولم ينفكوا طوال هذه المدة يهاجمون وينكدون مراكز جنودنا ومعسكراتنا ، وكانوا أحيانا يقلقون المدن الكائنة على الشاطيء • ففي هذه المنطقة من بلاد العلويين خاض جيش الشرق أولى المعارك الهامة ، نذكر بعضها باختصار :

في أواخر سنة ١٩١٨ حصلت مناوشات بسيطة بين جنودنا والعصاة لا تستحق الاهتمام والتسجيل •

في أوائل سنة ١٩١٩ هاجم العصاة بعنف كتيبة من رجال الامن ، مؤلفة من كتيبتين جزائريتين تحمل مدفعا جبليا من عيار ٦٥ تحت قيادة نائب الزعيم « جان » • ولما كان تفوقهم العددي ظاهرا فقد اضطرت قواتنا ان تهبط الى أسفل الوادي لكي تدفع هجومهم ، وتكسر نطاق الحصار الذي ضرب حولها • فاستمرت المعركة طوال النهار ، وامتازت بالاعمال الباهرة التي قام بها الجنود التابعون لكل من « كارو » و « كيفر » اذ أنهم أنقذوا الطليعة التي اشتد عليها الضغط ، وجرح رئيسها الملازم « طحاني » جرحا مميتا • ثم استولوا على المركز الذي كان يحتله العدو • وتولوا ـ الى ان ارخى الليل سدوله ـ حماية نقل العتاد والجرحى ، وانكفاء الفرقة ، وقد قتل في هذا الاشتباك ستة من رجالنا بينهم

ضابط واحد ، وجرح اربعة وعشرون بينهم ضابطان • وهذا يعادل عشر القوة ــ كذا ــ ، لكن العدو مني بخسائر فادحة •

جبال العلويين •

تتكوّن المنطقة العلوية من كتلة جبلية مرتفعة ، وعرة المسالك، ذات تنوء عنيف شديد • يقطنها شعب محارب يخضع خضوعا أعمى لرؤسائه الاقطاعيين • وقد أعلن شيخهم العصيان علينا منذ نهاية ١٩١٨ ، ومن ذلك الحين حتى نهاية ١٩٢١ لم ينفك الشيخ صالح وأنصاره الذين يقطنون منطقة « الشيخ بدر » يظهرون عداءهم لنا • وذلك بمهاجمتهم مركز جنودنا وفرقنا ، والتنكيل بحلفائنا الاسماعيليين الذين كانوا يساعدون جيوشنا في حربها ضد العصاة العلويين • ولم تتح لنا الوسائل التي كانت في حيازتنا أن تتغلغل في المنطقة الجبلية ، اذ لم نكن نسيطر في أواخر عام ١٩٢٠ الا على الساحل وما يتاخمه ، ومن الشمال على الطريق الممتدة من اللاذقية الى حلب ، مارة بجسر الشغور •

وقد ازدادت هذه الحالة سوءا بمرور الزمن ، وذلك بسبب الدعاية التي يبثها الاتراك ــ كذا ! ــ والملك فيصل في الشام ، والامدادات التي كانوا يرسلونها •

وان فريقا من العلويين قد ساهموا في الاعمال التي قام بها الزعيم « بدري بك » في جسر الشغور وادلب ، وذلك في كانون الاول ١٩٢٠ • ومنذ هذا الوقت ظلت الاعمال الحربية التي كانت

تقوم بها الفرق الفرنسية غربي حلب بعيدة عن الجبل العلوي حيث ينتظم العصيان ، ويقوى يوما فيوما •

وما أقبل شهر نيسان حتى عمت الثورة جميع البقعة الكائنة بين القرداحة شمالا ، وصافيتا جنوبا ، والعاصي شرقا ، ورواق ساحلي ضيق غربا • وقد بلغت الجسارة بالثوار مبلغا عظيما ازاء ضعف القوات الفرنسية المعسكرة في المنطقة • وبات الخطر يهدد المدن الساحلية مباشرة • وقد حدثت عدة هجمات عنيفة على جبلة وبانياس وطرطوس • ولولا تدخل اسطولنا لتمكن الثوار من التمركز في هذه المدن • ولذلك أصبح من الضروري القيام بعمل واسع النطاق بسبب وعورة الارض ، وقيمة الثائرين الحربية ، وكثرة عددهم ، حتى يتم اخضاع الجبل العلوي بأسره • وقد بدأ التأهب لهذا العمل منذ شهر نيسان ١٩٢١ حيث وصلت كتيبة من الجنود الهنود ، واخرى من الفرقة الاجنبية • فأصبح من الممكن حماية المدن الساحلية ، وارسال تجريدات تبلغ في طوافها سفوح الجبال • فانتزعت الكتيبة الهندية الصينية قلعة القدموس في أوائل مايو ، وهو مركز جميل كنا نحس أنه شوكة في جنبنا • اذ أنه كان يتيح للثائرين مراقبة الطريق الساحلية بين اللاذقية وبانياس • وطلب الى القوات المكلفة بالمساهمة في الاعمال الحربية أن تتجمع في أوائل مايو في منطقة « بابنا » التي كانت امتدت اليها الثورة بينما كانت شبكة من مراكز الجنود تضيق الخناق على

المنطقة المتمردة في الشمال ، والغرب ، والجنوب • اما من جهة الشرق فقد أخذت احدى الفرق تتأهب لسد منافذ العاصي •
وكانت الخطة الحربية ترمي الى اخضاع المراكز الاربعة التي ينبثق منها العصيان تباعا :

١ ـ جبل القراحلة في الشمال • ٢ ـ وادي العاصي ، مركزه عين الكروم • ٣ ـ السرامطة ، مركزه محمد جوفين • ٤ ـ منطقة عشيرة الشيخ صالح العلي ، الخصم العنيد ، ومركزها الشيخ بدر موطن الشيخ صالح •

وستبدأ العمليات الحربية من الشمال لتمتد فيما بعد من الشمال الى الجنوب • وستكون تحت قيادة الزعيم « نيجر »تقوم بها الفرق الآتية :

فرقة موران : تتألف من كتيبة أجنبية ، وكتيبة مساعدةمختلطة « الفرقة الثانية والعشرين الجزائرية ، وفرقتين لبنانيتين » وبطارية من المدافع الجبلية من عيار ٦٥ •

فرقة كليمان جرانلور : تتكون من طابورين من السريةالواحدة والعشرين الجزائرية ، وبطارية مدافع جبلية عيار ٦٥ •

فرقة مينان : تتكون من طابورين من السريةالعاشرةالسنغالية، وكوكبة خيالة ، وبطارية مدافع جبلية من عيار ٦٥ وبعض القطع من عيار ٧٥ يضاف الى ما تقدم العناصر الآتية :

الفرقة السورية السادسة ، طابور من الفرقة السادسة عشرة

التونسية ، كتيبة من الجنود الطونكية ، وفرقتان مساعدتـان ، وبعض أسراب الطائرات •

وكانت الغاية من هذه القوات الضخمة أن تصبح حين الحاجة تحت تصرف القيادة • أو تتكتل جماعات جماعات وتنفـذ بعض المهام التي تعهد اليها •

ان تطور العمليات يدخل في ثلاث مراحل :

الطور الاول : احتلال منطقة القراحلة •

ان العمل الرئيسي الذي يرمي الى احتلال المراكز المشرفـة من جبل القراحلة قد تقدمه انتزاع مركزين هما بمثابة معبر يؤدي الى الهدف المنشود : قمة السيران « بشرا » وكيف البير ـ هكذا وردت بالنص الفرنسي ـ وذلك في ١٧ و ١٨ مايو • ففي ١٧ مايو انتزعت قواتنا بقيادة القائد « بولاديير » قمة « السنحابة » بعـد معركة قصيرة امتازت بالعنف والشدة • وكانت هذه القوات تتألف من كتيبة تابعة للسرية السادسة عشرة التونسية ، والفرقتين الاولى والثالثة السورية والزمرة « الطربة »★ من الكتيبة الطونكية • وحينما توطدت مراكز الجنود في هـذه الاماكن بدأ جس النبض مـع العشائر التي بات الخطر يهددها مباشرة كي يحل النزاع بطريق سلمية توفيرا للضحايا • لكن هذا المسعى باء بالفشل ، رغـم أن بعض زعماء العشائر كانوا مخلصين لنا ، وكانوا يساعدوننا على

(★) هكذا وردت في النص الفرنسي •

الثوار . وقـد اضطرت الفرق أن تتوغل الى الامـام ، فشرعت بالهجوم . وفي ٢٠ مايو كلفت فرقة موران بمهاجمة جبل «سين»[١] تحميها فرقة « كليمان جرانكو » التي تحمي كتف « البير » بينما كانت كتيبة من السرية ٢١ الجزائرية تهاجم شمبوطين [٢] ، وقـد بلغ الجنود أهدافهم بنشاط عظيم رغم صعوبة الارض والرصاص الذي يتساقط عليهم دون انقطاع . وقـد دبّ الذعر في نفوس اهالي هذه المنطقة حينما بلغ « القدم » . فهرعوا شطر الجنوب والشرق ولم نجد الا قرى خاليـة . ثم سمحنا لبعض السـكان بالعودة الى قراهم على شرط أن يسلموا الاسلحة والذخيرة التي في حوزتهم .

ان النتائج التي حصلنا عليها كانت هامة . وسوف تعظـم أهميتها حينما يتم احتلال المنطقة الثانيـة حيث لجأ اليهـا بعض الاهالي من المنطقة الاولى « ب » ، الجركس : كلفت فرقة موران بمطاردة الفارين من منطقة القراحلة ، والذين لجأوا الى «الشعرة» وطلب اليها ان تغذ السير حتى عين الكروم لكي تقوم بتجريـد عشيرة المحارزة من سلاحها . وبالرغم من الصعوبات التي كان يتعذر التغلب عليها ، والمتوفرة في ارض ندرت فيهـا السبـل ، والامطار التي لا تنقطع عن الهطول . والثوار الذين يشبهون الجان باختفائهم المفاجىء ، وظهورهم المفاجىء ، وبمناوراتهم الشيطانية

---

(١) هكذا ورد اسمه ولعله قرفيص الواقع قرب نهر السن .

(٢) هكذا وردت في النص الفرنسي .

الغريبة • رغم ذلك كله استطاعت فرقة موران ان تجتاز الشعرة ، (كذا !) ، وتفاجيء أماكن الفارين ، وتحتل « عين الكروم » ، وتؤمن الارتباط مع فرقة « دوم » • وقد كلفنا انجاز هذه العمليات الحربية عددا كبيرا من الضحايا ، بين قتلى ، وأسرى ، ومفقودين •

ان حركة الجيوش في الجبل اشتهرت بالمناعة ، والخسائر الفادحة ، نسبيا ، التي تكبدها العدو قد أحدثا أثرا عظيما في نفوس الثائرين الذين اصبحوا بحالة انهيار معنوي كما بدا لنا •

لكن الشيخ صالح ذلك الخصم العنيد البطاش جمع الرؤساء وعاهدوه انهم سيقاومون تقدم جنودنا بكل الوسائل • فلم يبق ثمة مناص من المضي في الاعمال الحربية مهما كلفنا من خسائر •

الطور الثاني :

١ ــ السرامطة : أنجز العمل بين ١٢ و ١٩ يونيو • وقدر يومئذ عدد البندقيات بـ ١٥٠٠ يحملها أشخاص محاربون أشداء ذوو عزم •

بدأت مهاجمة جبل السرامطة ببطء وسبب ذلك انتشار ضباب كثيف وهبوب عاصفة وامطار غزيرة ، وكان العدو العنيد يكر علينا من وقت الى آخر مستفيدا من حالة الطقس وفي نهاية منه أسرعنا من التقدم ، بفضل الحزم الذي كان يسير القوات ، والجهود المشتركة التي بذلتها فرقتا « موران » و « كليمان

جرانكور » • وفي ١٩ منه اصبح مركز قيادة الزعيم « نيجر » في محمد جوفين • وفي هذه المنطقة ظل قسم من الاهالي في قراهم لم يغادروها •

ان انتهاء الثورة اذن اصبح قاب قوسين أو أدنى •

وقد اضطرب العدو بعد احتلال بلاد الشام وملحقاتها • وقطعت عنه المواصلات • وبقي يحارب دون امل • ولكن عناد الشيخ صالح وشراسته لا تزال تصلي من حولنا النار • ان هذا الرجل خطر ، ومخيف ، وقد تشرب مبادىء الملك الهارب فيصل فأصبح يحارب دون عقل • انه رجل عنيد حقا •• وهو يحارب دون أمل • !

منطقة المرقب والقدموس :

ان الاثر الذي خلفه تقدم الفرق ولّد ميلا عند بعض الثائرين للاستسلام في المنطقة الكائنة جنوبي الطريق الممتدة بين بانياس والقدموس • ومع ذلك فان فرقة « كليما نجرانكور » قد اصطدمت في سيرها نحو القدموس بالعصابات المنظمة التي يديرها الملازمون الذين عينهم الشيخ صالح • ودارت بين الفريقين رحى معركة ليست قليلة الاهمية ، حتى استطاعت ان تشق لها طريقا في ٢٥ يوليو • وبدأت بسطاردتهم دون ان تتخلى عن «تورن الجرد » حيث منوا بهزيمتين داميتين في ٢٦ و ٢٨ منه ، مما

أدى الى بعثرة العصابات • وقد اصبح مركز قيادة الزعيم «نيجر» في القدموس • وبهذا تنتهي المرحلة الثانية التي كلفتنا ٦٨ قتيلا ، و ٣٢ جريحا ، و ٣ مفقودين •

ان جميع السرامطة قدموا خضوعهم ، (كذا) •• ! ما عدا سكان قرى البشارغة الذين لم يعودوا الى منازلهم ، ولم يلقوا سلاحهم • ولكن أعمام الشيخ صالح قد اصبحوا في قبضتنا •

الطور الثالث : احتلال الشيخ بدر :

لكي يستتب الامن في جميع انحاء البلاد لابد من القضاء على العصابة التي يقودها الشيخ صالح نفسه • والقبض عليه ان أمكن أو السعي لاخضاعه تحت قوة السلاح • وبفضل قرناء السوء (كذا) • الذين يجدهم الشيخ أينما توجه فان بحثنا عنه ظل دون جدوى • وأتاحت لنا العملية الاولى التي شرعنا بها في منطقة « وادي العيون » « وعين شمس » ان نغنم بعض القطعات التي يملكها ••

واخيرا في ٤ يوليو هاجمت كل القوى الجاهزة ،والمخفورة بالطائرات والمصفحات ــ بشكل دائرة ــ مركز الشيخ بدر • واحتلت كل القرى بعد تضحيات قليلة ومحدودة • أما الشيخ صالح فقد استطاع ان ينجو مع نفر من اتباعه ، وذلك بالتجائهم الى « مغارة » تبعد خمسة كيلو مترات عن « الشيخ بدر » •وصدف ان احدى كتائبنا سلكت طريقا لا تبعد الا خمسمائة متر عن ذلك المكان • لكنه سوف يستسلم في شهر اكتوبر •

وقد انتهت العمليات الحربية في جهات « الشيخ بدر » في ٧ يوليو • واستسلمت المناطق الثائرة كافة •

موقعة محمد جوفين :

في ١٢ يونيو ١٩٢١ بدأت المعركة العنيفة في مكان محمد جوفين • وهي تذكر كلما ذكرت الحملة التي جردت على العلويين لانها ارتدت طابعا خاصا • ففي اواخر مايو خيم السلام فوق القسم الشمالي من الجبل • لكن العناصر التي امتازت بالحزم ، كعشائر القراحلة ، وخلف السرامطة ، قد قطعت ابواب المفاوضة، وكانوا لا يزالون يسيطرون على مركز الجبل « محمد جوفين - القدموس » والجنوب « الشيخ بدر » • وكانت قواتنا تسيطر على « الشعرة » التي تعد النقطة الرئيسية، وتحاصر في الشمال المنطقة الثائرة بواسطة سلسلة من المراكزالموقتة • بثتها حتى « عرب الملك » على الساحل • مع العلم ان « قرفيص » لاتزال في قبضتنا • واما من الشرق فان احدى الفرق بقيادة القائد«مينيان» الذي حل محل نائب الزعيم « دوم » الجريح تحتل المنطقةالكائنة بين « العاصي » و « الشعرة » • وتسد كل منفذ على الثوار • ويحتل العدو بقواته « محمد جوفين » ، ومنطقة « البشارغة » ، وهي عبارة عن سلسلة صخرية يشرف عليها ارتفاعان بشكل ثديين•

وقد قرر الزعيم « نيجر » القائد العام في المنطقة العلوية ان يهاجم « منطقة البشارغة » تحت اشراف « الجنرال غورو »

المباشر • وفي نفس الوقت تلتف حولها فرقة من الجنوب قادمة من « قرفيص » سائرة باتجاه « محمد جوفين » • اما الهجوم المجابه فستقوم به في ١٢ يونيو فرقة موران بعد ان أعيد تنظيمها متجهة من الشمال الى الجنوب في منطقة « البشارغة » وهي تتكون من الكتائب الآتية :

١ — كتيبة « قرمش » ، فرقة اجنبية •

٢ — الكتيبة السنغالية « بايار » •

٣ — الكتيبة السورية « اونج » •

٤ — تعضدها من الميسرة فرقة « ماجران فرنيريه » وتتألف من كتيبة سورية ، والكتيبة الاولى والثانية والعشرين الجزائريتين • وسوف يتم التطويق من قبل فرقة « كليمان جرانكور » المؤلفة من :

١ — الكتيبة الاولى والثالثة من الفرقة الجزائرية •

٢ — الكتيبة الطونكية •

٣ — بطارية مدافع جبلية من عيار ٦٥ وبطارية من عيار ٧٥ • وسيتم انتقال هذه الفرق ليلا على مرحلتين يحيط بهما الكتمان الشديد لنصل « صحابة »[١] في ١٠ منه و«قريفص»[٢] في ١١ منه حتى تتمكن في ١٢ منه ان تتم العملية•

---

(١) يقصد « السخابة » وهو موقع يقع على نهر بين بانياس وجبلة .

(٢) نظنه يقصد « ترفيص » وهي قرية تقع على جبل فوق « نهر السن » شمالي بانياس .

ان هذه الحركات قد رتبت دون ان يشعر بهـا أحد • لان رجال الشيخ صالح العلي يشبهـون « السعادين » في غابـات افريقيا ـ كذا •• ! ـ يرونك ولا تراهم • ويتنقلون من مكان الى آخر ، كما يفعل « السعدان » تماما • ولذلك اضطررنا للقيام بهذه الحملة الكبيرة بمنتهى التستر • والا كان أفسد عملنـا ، واضطررنا للتأخر أياما أخرى •

وفي ١٢ منه تحركت فرقة « كليمان جرانكور » في « قرفيص » صباحا موزعتين على شرذمتين تتسلقان تلين يؤديان الى مؤخرة « البشارغة » • الكتيبة الثالثة من السرية ٢٢ الجزائرية التي تهاجم الميسرة ، والاولى تهاجم الميمنة يتبعهما قائد الفرقة ، وبطاريـة المدافع والجنود الطونكية ، فانتزعت هاتان الفرقتان « زوبي » و « داربابا » بعد ان ابدى المدافعون بعض المقاومة ، واوقعـوا بالحملة بعض الخسـائر •

وقد تم اتصال القوتين على القمة التي عينت قبلا حيث وطدت الجنود الطونكية نقطة ارتكاز • وكانت منطقة « البشارغـة » ثابتة يومئذ • وقد حالت وعـورة الارض دون تقـدم فرقتي « دوران » و « ماجران فرنيريه » • وفي الحال بدأت مدافـع ورشاشات الجنود الطونكية ترمي طرفومؤخرةمركز «البشارغة» فدبَّت الفوضى في صفوف المدافعين مما ساعد الفـرق الشمالية على انتزاع أهدافها • وفي هذه الاثناء اندفع معظم فرقة « كليمان

جرانكور » صوب « محمد جوفين » مرة ثانية • فقوبلوا بوابل منهمر من الرصاص فضرب الجنود الجزائريون حولها الحصار • بينما كان رجال المدفعية يدفعون المدافع بأيديهم ، والرصاص يتساقط عليهم كالمطر • ثم أخذوا يطلقون النار على القرية الى مدى قريب فتم سقوطها في آخر النهار • وهكذا حطمت المقاومة العلوية • وأصبنا نجاحا باهرا •

خاتمة :

ان قيام الثورة الطويلة قد أقلق قواتنا في الشرق • وكبدها خسائر فادحة في الرجال والمعدات • وقوى عنصر المعارضة في البرلمان والصحف اليسارية • ولكن الشعب لا يعرف مناعة تلك الجبال ، ولا شراسة وهمجية العلويين الذين يقاتلون بوحشية سكان الغابات •

ولولا ان الملك فيصل كان يمد الثورة بالمال والسلاح ، ولولا استماتة الشيخ صالح ورجاله بالدفاع ، ومساعدة السوريين والمسلمين لهم لما طال أمد الثورة ، بل كانت انتهت قبل ذلك بوقت طويل •

واما العفو عن قائد الثورة الشيخ صالح ، وبعض رجاله الهاربين معه ، فقد حتمته الحالة العسكرية ، ورغبة القيادة العسكرية بالاستقرار واستتباب الامن ، وهو ما لم يكن يحصل الا بتسليم الشيخ • وهذا هو الذي اضطر القيادة العسكرية

الى اصدار العفو عنه بعد تعميم وعدها بذلك على سكان الجبال • واننا نشارك الرأي العام الفرنسي رغبته في أن يرى هذا الرجل وهو مكبل بالاغلال وحافي القدمين في شوارع باريس • ولكن شرف فرنسا العسكري قد اضطرنا للوفاء بالوعد الذي قطعناه •

هذا ما يقوله الفرنسيون :

عرضنا على القارىء الكريم بعض النماذج عن رأي الفرنسيين بالثورة ، وتتبعهم لحوادثها ووقائعها باهتمام ظاهر ، وحرص بيِّن •

وقد لفتنا نظر القارىء أولا الى ان الفرنسيين يتحدثون من جانبهم ويغفلون امر التحدث عن الجانب الآخر ، الا ما يتفق مع مصالحهم ، وسمعة جيشهم • وهذا غير مستبعد عنهم ، ولا مستغرب منهم •

ولا ريب ان المغالطات في هذا السرد للحوادث المتتابعة أمر لا يخفى على ذي فطنة لبيب • ومن هذه المغالطات انهم يتحدثون عن احتلالهم موقع « الشيخ محمد جوفين » ، وتمركز قيادتهم في جبله المنيع ، ثم يعودون للتحدث عن الهجوم عليه مرة ثانية ، دون أن يذكروا ولو بالتلميح انكفاءهم عنه بعد هجمات الثوار ! !

وهم يعترفون بقوة الثورة ، وشدة بأس رجالها ، ولكنهم

لا يتحدثون عن المواقع التي خاضها الجيش الفرنسي مدافعا ! ولا عن المعارك الكبرى التي بلغت ضحاياه فيها المئات • وانه ليعرف بالبداهة ان ثورة كبرى تستغرق ثلاث سنوات ونصف لا بد ان تكون قد استنفدت قوى الفرنسيين حتى استطاعت ان تثبت في وجوههم ذلك الوقت الطويل •

وان في نشرنا بعض ما كتبه الفرنسيون ، أنفسهم ، عن الثورة فائدة تنحصر في انها تضع النقاط على الحروف • وتذكر اسماء الفرق والقواد الفرنسيين الذين خاضوا غمار حربها الضروس• ولولا هذا الكتاب الفرنسي ، لما استطعنا معرفة اسماء الفرق كلها ، ولا بعضا منها •

ان هذا القليل اليسير من كتابة الفرنسيين عن الثورة يدفعنا الى التوسع في تحليل المعارك ، وسرد وقائعها ، توسعا يكشف النقاب عن اهميتها العسكرية • ونحن احرص ما نكون على « الامانة » التاريخية والتقيد بها •

لمحة تاريخية موجزة :

حينما اعلنت الحرب العالمية الاولى سنة ١٩١٤ ودخلتها المملكة العثمانية الى جانب الالمان عمدت بريطانيا بواسطة ممثلها « مكماهون » الى عقد اتفاقيات[1] مع الملك حسين ــ شريف مكة يومئذ ــ تعهدت فيها بالموافقة على توحيد البلاد العربية ــ سورية ولبنان وفلسطين والعراق ونجد والحجاز ــ في دولة واحدة .

ونشبت الثورة العربية المعروفة في التاسع من غرة شعبان المبارك سنة ١٣٣٣ هـ الموافق ١٠ حزيران سنة ١٩١٦ م وانتظم في صفوفها اكثر ابناء العروبة الاحرار . وعمل الجميع يدا واحدة تحت راية العاهل العربي لتخليص بلادهم من النير التركي ، لكي تتاح لهم حياة كريمة في ظل الوحدة والحرية والاستقلال .

ولكن الحلفاء عمدوا فيما بينهم الى اتفاقية سرية خطيرة ، المعروفة باسمي الرجلين الانكليزي والفرنسي اللذين وقعاها وهما : سايكس ــ بيكو ، وهي التي تقضي بتجزئة البلاد العربية الى دويلات ، واستيلاء الانكليز على فلسطين والعراق ، والفرنسيين على لبنان والساحل السوري الذي يشمل اللاذقية والاسكندرونة ويضم اليه كيليكيا . وابقاء مقاطعات الشام الداخلية : دمشق ،

---

(١) راجع تاريخ الثورة العربية للاستاذ أحمد سعيد .

وحمص ، وحماه ، وحلب ، ودير الزور ، تحت راية فيصل ، والحجاز لأبيه .

وكان من البديهي ان يرفض الرأي العام العربي هذه التجزئة وان يقاومها بكل ما أوتي من قوة وعزيمة .

حينما دخلت جيوش الحلفاء سورية في مطلع شهر تشرين الاول سنة ١٩١٨ أذاع الملك فيصل بيانا على الشعب السوري يشكره فيه على معاونته الحلفاء في مهمتهم ، ويطلب منهم التضامن والاتحاد لتحقيق الآمال القومية ، ويعلن انه أسس اول حكومة سورية عهد برئاستها الى رضا الركابي .

وكان الملك فيصل على علم بالمقاومة التي أبداها الشيخ صالح العلي في وجه الاتراك[1] ، فأرسل اليه وفدا يحمل بعض الهدايا ، ورسالة يدعوه فيها لزيارة دمشق ، والتباحث معه بشأن امتداد الثورة واجلاء القوات الفرنسية عن الساحل السوري .

وكان الفرنسيون بعد ان اجليت القوات التركية عن الساحل السوري قد احتلوا الدوائر الرسمية وانزلوا عنها أعلام الثورة العربية بشيء من التحدي والامتهان ورفعوا مكانها الاعلام الفرنسية، وأخذوا يتصرفون على اساس البقاء والتمركز .

ولما رأى الشيخ صالح العلي ، ورجاله ، هذه البادرة من الفرنسيين أيقنوا بأن النية مبيتة لاحتلال الساحل ، وان القوم

---

(١) راجع الفصل السابق .

ماكرون غادرون • فبادروا لاتخاذ الاحتياطات اللازمة والتأهب لاعلان الثورة ضد الفرنسيين •

وحينما وصل وفد الملك فيصل الى قرية الشيخ بدر عن طريق حماه ـ مصياف كان الاصطدام الاول مع القوات الفرنسية قد بدأ ، وأحرز فيه الشيخ ورجاله انتصارا ساحقا ، رغم قلة عددهم ، وكثرة عدد العدو • فبقي بعض أعضاء الوفد الى جانب الشيخ ، وعاد آخرون الى الملك فيصل يخبرونه بنشوب الثورة في جبال العلويين ، ويطلبون منه مساعدتها ، ومدّ يد العون اليها •

وبدأ الملك فيصل يمد الثورة بالمعدات والذخائر ، ويرسل لها الضباط والرجال المحنكين ، ويبذل في سبيلها من الجهود والعون ما يستأهله عنفها وجبروتها ، الى ان هجم الفرنسيون على دمشق فاحتلوها ، وقوضوا دعائم العرش الفيصلي • ودخلت جيوشهم حمص وحماه وحلب وبقية المدن السورية فتم لهم حصار الثورة من الجهات الاربع ، ومنعوا عنها كل مد وعون خارجي •

وبقيت الثورة متأججة مضطرمة بعد خروج فيصل من دمشق سنة ونيفا لا يزيدها الضغط الا انفجارا ، ولا يزيدها الحصار الا اتساعا • ولا يكفكف من حماستها وعنفوانها ما تلقاه من الندرة في السلاح ، والخيانة من بعض الزعماء • وكانت تعتمد الى حد

كبير على ما تصادره من الجيش الفرنسي في المعارك الطاحنة التي كانت تدور معه ، وتدور الدائرة فيها عليه الى ان استنفدت امكانياتها وقواها ، كما سيجيء .

كيف بدأت الثورة

كان ذلك في ١٥ كانون الاول سنة ١٩١٨ حينما وجه الشيخ صالح العلي دعوة الى بعض زعماء ، ووجهاء ، ومشايخ الجبل ، للاجتماع على« الشيخ بدر » احدى نواحي قضاء طرطوس . وقد لبى الدعوة فريق كبير من ارباب الوجاهة والنفوذ نخص بالذكر منهم :

السيد احمد المحمود عدره . السيد محمد اسماعيل . الشيخ علي أحمد ميهوب . الشيخ معلا أحمد غانم . الشيخ يونس محمد رمضان . الشيخ أحمد محمد رمضان . الشيخ علي عباس . عبد الكريم الخيِّر . اسبر زغيبي . علي زاهر . اسماعيل احسان . محي الدين عدبا . وغيرهم كثيرون .

وقد تحدث اليهم الشيخ عن احتلال الفرنسيين للساحل السوري، وتمزيقهم اعلام الثورة العربية ، ودوسها بالاقدام ، وتنكيلهم باصحاب البيوت التي كانت ترفع عليها ، وعن نوايا الفرنسيين المبيتة نحو هذه البلاد . وسعيهم لفصل الساحل السوري عن الوطن الام ، وابقائه مستعمرة لهم . ثم حدثهم عن

اخلاف الحلفاء بالوعود التي قطعوها للملك حسين في مطلع الحرب وفي غضونها • وعن تمزيقهم البلاد العربية الى دويلات صغـيرة بعضها محتل، وبعضها شبه مستقل • وعن الاخطـار الرهيبـة التي يتعرض لها العرب من جراء هذا التفريق والتمزيق • وعـن النوايا الخبيثة التي يضمرها الفرنسيون للعلويين ، والتي تستهدف ابادتهم ، ومحو شعائرهم ، وتذويبهم في بوتقةالاستعمار الرهيب•

ثم توجه اليهم بالسؤال عما اذا كانوا يتضامنون معه لاشعال نار الثورة في وجه المستعمرين ، وضم جبل العلويين وساحله الى الشـام •

ولقي هذا الحديث اذنا صاغية من المجتمعين • وبدأوا يتناقشون به مدة ثلاثة أيام مستمرة • وقر رأيهم جميعا على اتباع رأي الشيخ والقيام بثورة لاهبة عنيفة ، والاتصال بفيصل بن الحسين لمساعدتهم وبايعوا الشيخ بالقيادة ، واقسموا لذلك الايمان المغلظة • واعطوا العهود والمواثيق على التضامن والاستماتة في سبيل الثورة الى ان يقيض لها النجاح • ثم اتفقوا على كتمان هذا الامر حتى تتـم الاستعدادات ويتم الاتصال المباشر مع عاهل الشام •

ولكن أخبار هذا الاجتماع ومقرراتهقد تسربتالىالفرنسيين• فبادروا الى اعتقال من وقعت ايديهم عليه من رجال المؤتمر •• وارسلوا دعوة الى الشيخ صالح العلي بصورة عاديـة لاتلفت النظر •

ولكن الشيخ لم يكن بحاجة الى من ينبهه الى الخطر المحيق به من جراء هذه الدعوة ، وقبوله اياها • فرفض دعوة الفرنسيين للاجتماع بهم ، وشرع باتخاذ الاحتياطات •

بدء الثورة

حينما رفض الشيخ صالح العلي دعوة الضابط الفرنسي لمقابلته سارع الفرنسيون لتوجيه حملة من القدموس لاحتلال الشيخ بدر ، واعتقال الشيخ •

وكانت قد بلغت الشيخ أنباء هذه الحملة المفاجئة ولم يكن عنده حينذاك الا بضعة رجال من تابعيه المخلصين ، ونزر يسير من الذخيرة • فتصدى هو ورجاله لمقابلة الحملة في مكان تكتنفه الغابات والصخور عند قرية « النيحا » ، الواقعة غربي « وادي العيون » •

ولم يرد الشيخ ان يبادرهم بالهجوم قبل انذارهم ثلاثا بالعودة ••• ورفض الجنود الاذعان مستسلمين لطيش وغرور قائدهم • وبدأوا باطلاق النار • ودارت رحى معركة رهيبة •

وكان المجاهدون في مكان حصين ، والجيش الفرنسي في أرض مكشوفة ومكان منبسط ، فوقعوا فرائس سهلة في مصائد المجاهدين ولم تدم المعركة طويلة حتى اضطر الجنود الفرنسيون للفرار بعد أن تركوا وراءهم خمسة وثلاثين قتيلا وبعض الجرحى ، عالجهم

الشيخ ثم أطلق سراحهم بعد أن عاهدوه على عدم العودة لمحاربته مرة ثانية •

وكان لهذه المعركة دوي هائل في سائر أنحاء الجبل ، وكان الناس يتناقلون أخبارها ، وينظمون الاشعار الحماسية بها مما كان له أثر بليغ في امتداد الثورة ، وكثرة المتطوعين بها •

وغنم المجاهدون في هذه المعركة كثيرا من المعدات والذخائر ، مما ساعد على تسليح المجاهدين ، وتهيئة وسائل القتال لهم •

البدء بالتنظيم :

على أثر هذه المعركة الهائلة بدأ الشيخ بتنظيم الثورة ، وكان وفد الملك فيصل قد وصل بعد ذلك بفترة وجيـزة • فاشترك أعضاؤه بأعمال التنظيم والتدريب •

وتقاطر المتطوعون للانضواء في صفوف الثوار ، وأقبلوا على التدريب العسكري بمنتهى التهافت والحماسة •

ووزع الشيخ قواده على الكتائب • وكان يطلق على قائـد الكتيبة اسم « عقيد » ، كما أنه وضع للفصائل أسماء خص كـل قائد لها باسم ورتبة •

وأوجد الشيخ جهازا للتموين ، ومحاسبين يحصون التبرعات، والاعانات ، ثم يحصون النفقات ويسجلون ذلك كلهم في سجلات منظمة •

كرة الفرنسيين :

وقد هال الفرنسيين تلك الهزيمة النكراء التي منوا بها في أول معركة • فأحبوا أن يبادهوا الثائرين قبل أن يكمل استعدادهم، وتأهبهم للقتال •

وفي ٢ شباط سنة ١٩١٩ اعادوا الهجوم على الشيخ بدر ، ولكن بقوة اكبر من سابقتها ، واستعداد أشد ، وكان الشيخ من جانبه قد استعد استعدادا كافيا ، وكان عدد المجاهدين في ازدياد مستمر • كما كان للظفر في المعركة الاولى ، ومما حققه المجاهدون من نصر وغنائم أثر كبير في نفوسهم أدى الى تقوية عزائمهم ، وضاعف من بسالتهم وحماستهم •

ودارت رحى معركة عنيفة دارت من الصباح الى قرب المغيب، ثم انجلت عن هزيمة الجيش الفرنسي بعد أن ترك في الميدان عشرين قتيلا ، وثلاثة أسرى ، وعددا كبيرا من الذخيرة والمعدات •

وكان لهذا النصر الجديد أثر داخلي قوي ، وأثر خارجي أقوى • وأدرك الفرنسيون أنهم امام ثورة جدية عنيفة • وان الاستهانة بها ، والتراخي عنها سيؤديان الى أوخم النتائج ، وأسوأ العواقب • فلجأوا الى حلفائهم الانكليز يستجدون معونتهم ، ويطلبون وساطتهم •

رسالة الجنرال اللنبي :

وفي ٢٥ أيار ، ١٩١٩ ، وجه الجنرال اللنبي قائد جيوش

الحلفاء في الشرق ، كتابا الى الشيخ صالـح العلي مع رسولـين بريطانيين كان يرافقهما اسماعيل الهواش الزعيم العلوي المعروف جاء فيه :

« ان الحلفاء جاؤوا لتحرير سورية من ظلم الدولة العثمانية ، واعطائها الحرية والاستقلال . وان موقف الشيـخ صالح العلي ورجاله من القوات الفرنسية موضع استغراب الحلفاء جميعا . وهذا يدل على عدم تقدير المساعدات القيمة التي قدمتها الجيوش الحليفة لتحرير سورية من الاتراك » .

وطالب الرسولان بعدم التعرض للجيش الفرنسي المرابط في « القدموس » حينما يسلك طريق « الشيخ بـدر » متجها الـى طرطوس . ورفض الشيخ قبول الطلب مؤكدا أن القوات الفرنسية تريد احتلال « الشيخ بدر » بواسطة الخديعة والمكر .

ولكن الرسولين البريطانيين تعهدا ألا تتوقف القوات الفرنسية في موقع « الشيخ بدر » الا ساعة واحدة ، تتزود خلالها مـن الماء ، وتتابع سيرها الى طرطوس . ولم يتركا وسيلة من وسائل الاقناع الا لجآ اليها .

ورأى الشيخ ألا يغضب الفرنسيين والبريطانيين معا ، والثورة ما تزال في مطلعهـا ، والاستعدادات الكافية لما تكتمل بعـد ، والمجاهدون ما يزالون بانتظار المزيد من السلاح والذخـيرة . ورأى أن انتقال الجيش من « القدموس » الى « طرطوس » يقضي

على هذا « الجيب » العسكري الخطير • ويساعد على امتداد رقعة الثورة ، بعد أن تنظف ميمنتها ، وتخلو من القوات العدوة •

لهذه الاعتبارات كلها رأى الشيخ أن يجيب مطلب الجنرال « اللنبي » على ألا يتوقف الجيش في « الشيخ بدر » الا ساعة فقط ، وعلى ألا ينصب « خيمة » ، ولا ينزل « حمولة » •

وقبل الرسولان بهذه الشروط • وتعهدا بتنفيذها •

وانسحب الشيخ ورجاله من موقع « الشيخ بدر » الى التلال المحيطة به من الجنوب والغرب •

غدر الفرنسيين :

ما ان وصل الجيش الفرنسي الى موقع « الشيخ بدر » حتى شرع منذ الدقائق الاولى بنصب المدافع ، واخذ الاستحكامات ، بمنتهى السرعة • حتى كان معسكره أشبه بخلية النحل • ولم تمض فترة وجيزة من الوقت الممنوح لهم حتى باشروا باطلاق النار على قريتي « الشيخ بدر » و « الرستن » ، وهما معقل الشيخ ، ومركز الثورة •

ولما فوجىء الشيخ ورجاله بهذه الخدعة الدنيئة ، والمؤامرة الماكرة ، غلى الدم في عروقهم ، وثارت الحمية في رؤوسهم ، فانقضوا على الجيش المخادع الماكر انقضاض الصاعقة ، وقد استهانوا بالموت ، واستخفوا بالحياة ، وشعروا أن كرامتهم ، وسمعتهم ، ومستقبلهم في ميزان هذه المعركة • فلم يدخروا بطولة ، ولا وسيلة ،

ولا امكانيات الا وقذفوها حمما على رأس الغادرين الماكرين .

وأمطرت السماء رصاصا على رؤوس الفرنسيين ، وزغاريد من النساء على رؤوس المجاهدين .

ولم يكن الجيش الفرنسي يحسب حسابا لهذه المفاجأة المذهلة . وروع جنوده ، واضطربت صفوفه ، وأحاقت به الكارثة من كل مكان . واستبسل المجاهدون ، واستماتوا في هجومهم العنيف . واستمرت المعركة الرهيبة من الظهيرة الى منتصف الليل . وقد قتل فيها أكثر الجنود الفرنسيين ، وفر الباقون تحت جنح الظلام ، حيث أسر المجاهدون عددا منهم . كما استشهد عدد من المجاهدين خنق الغصة عليهم السرور الطافح بالنصر المؤزر ، والمجد المؤثل .

وغنم المجاهدون كميات كبيرة من السلاح والعتاد .

اتساع الثورة واضطرامها

أثر معركة الشيخ بدر :

لقد كان لمعركة « الشيخ بدر » آثار عميقة ، وبعيدة . وكان ربحها المعنوي والادبي ، أقوى كثيرا من الربح المادي الذي أحرزته .

وكان لها فضل آخر ، انها نبهت الشيخ الى حيل الحرب ، ومكر السياسة . وهو الذي عاش حياة خيرة كريمة بالصلاح

والتقوى • ولم يكن في خلقه انحراف ، أو ريـاء • وانما كـان ذا خلق قويم ، وطبع كريم • وكان لا بد أن يمر بهذه التجربـة القاسية ، والثورة في مستهلها ، حتى يتخذ الحيطة ، ويقف من كل مناورة ومؤامرة ، موقفا صامدا حذرا • والحرب خدعة ،والسياسة نفاق وألاعيب •

وتدفق المتطوعون من كل حدب وصوب ، وكثر الزاحفون الى منطقة الثورة من أبناء الجبل حتى ضاقت بهم مراكز التدريب• وبدأ الشيخ بتنصيب « العقداء » ، وتدريب المتطوعين ، وتوزيع السلاح عليهم •

واتخذت الثورة شكلا نظاميا دقيقا •

ووفد بعد هذه المعركة رسل الملكفيصل منمدنيينوعسكريين، يحملون ، الى جانب هداياهم ومساعداتهم ، تعهدا قاطعا بمعونة الثورة ، وارسال الامدادات لها باستمرار • وانضم بعض ضباط الجيش العربي الى هيئة اركان الشيخ •

معركة « بيدر غنام » أو « وادي ورور » •

على أثر معركة « الشيخ بدر » أصيبت سمعـة الفرنسيـين بضربة قاصمة • وعرفوا أنهم امام قوة منظمة لا يستهان بأمرها •

ونقل اليهم جواسيسهم أنباء عن تزايد عدد الثائرين ، وكثرة مراكز التدريب • فاستقدم الفرنسيون قوا تجديدة من لبنان • وقرروا الاسراع بشن هجوم صاعق على مركز « الشيخ بدر »

لاحتلاله ، والقضاء على الثورة قبل أن يتفاقم أمرها ويتسع نطاقها .

ولم تبزغ شمس ١٥ حزيران ، ١٩١٩ ، حتى بدت طلائع الجيش الفرنسي واضحة لأعين المجاهدين المرابطين في أعلى الجبال .

وكانت تعليمات الشيخ تقضي بألا تطلق رصاصة الا بعد أن يرتفع علم الثورة ، وكان قطعة من القماش الاخضر يتوسطها هلال ونجم .

ولما توسط الجيش الفرنسي ذلك الوادي الرهيب ، وادي ورور ، وطلائعه وحدها قد ملأت جنباته الفسيحة ، وهي تتخايل في مشيتها كأنها ذاهبة الى محفل ، أو راجعة من انتصار . وفي السماء طائرتان تتلصصان ، والمجاهدون جاثمون وراء الصخور في أعالي الجبال ، وقد أحاطوا بذلك الوادي الرهيب من كل جهة، ويد كل منهم على زناد بندقيته وهو يتطلع الى مكان الراية .

وفجأة رفعت الراية الخضراء ... فارتفعت معها اصوات التهليل والتكبير . وكأن السماء قد انشقت عن شهب من النار . وكأن الارض قد أطلعت كل ما في جوفها من حمم تقذفها براكين صاخبة هائجة ... وتساقط الرصاص من كل مكان ، وانهال على الجيش الزاحف وكأن سيلا زاخرا مندفعا قد جرف كل ما في طريقه من بغال يقودها الرجال ، ورجال تدوسهم البغال ، واختلط الحابل بالنابل ، وشرعت المدفعية تطلق النار على غير هدى ، والى غير

هدف ، وملأت سحب الدخان جنبات ذلك الوادي حتى أمسى وكأنه يكتنفه الضباب .

واتنقل فريق من المجاهدين الى مؤخرة الجيش الفرنسي يحكمون عليه الحصار . وهكذا أطبق عليه الثوار من جميع الجهات، وأغرقوه بوابل من الرصاص المنهمر كأنه المطر الزاخر . وظلت المعركة دائرة الرحى حتى منتصف الليل . ثم انجلت عن ثمانمائة قتيل وجريح . وعن أسر ستة عشر جنديا ، وعن اعداد هائلة من السلاح والذخيرة ، تكفي المجاهدين فترة طويلة . واستشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين ، وجرح آخرون . وكان من بين الشهداء المرحوم مصطفى خير بك ، وابنته الوحيدة التي كانت معه .

وكان منظر ذلك الوادي بعد أن انجلت تلك المعركة الرهيبة عن احمرار الارض ، واسوداد الافق ، رهيبا حقا . فما كان يرى الا أشلاء القتلى وقد اختلط بعضها ببعض ، وامتزجت دماء بعضها ببعض .

وهناك .. في ذلك الوادي المدمَّى .. تآخى الانسان والحيوان . فامتزجت دماء الرجال بدماء البغال . وتراكمت الجثث فوق بعضها تراكما مخيفا .

وكانت الذخائر الكثيرة المنتشرة هنا وهناك تنم عن عظم المسؤولية التي كانت ملقاة على عاتق تلك الحملة الهائلة .

وكان النصر رائعا مبينا . زغردت له العذارى ، ورقص له

الرجـال • وأقيمت مواكب الاعراس ، ومظاهر الزينة في سائـر مناطق الثورة •

فترة هدوء :

وهدأت الحال قليلا بعـد تلك المعركة الجبـارة ، واندحـار الفرنسيين ذلك الاندحار الهائل المريع • وبدأ الفريقان يستعدان استعدادا كبيرا ، ويهيئان للمعارك المقبلة ، ما يلزمها من وسائـل وأسباب •

وخيم على مناطق الثورة هدوء أشبه ما يكون بالهدنةالطبيعية، أو بالسكون الذي يشبهالعاصفة ، وقد توفر الفريقان على حشد القوى ، وتدريبها ، وتنظيمها • وعمد الشيخ الى اجراء تنسيق عام في صفوف المجاهدين • واوجد في قيادة الثورة « محاسبة » تعنى بتوزيع السلاح والذخيرة ، والمساعدات المادية لذوي الحاجة من المجاهدين واسرهم ، والاحتفـاظ باحتياط كاف يدخر الـى مسيس الحاجة •

ولم تخل هذه الفترة من مناوشات لا تستحق التسجيل • ومن اصطدامات فردية أو عادية لا بد من وقوعها في اماكن مختلفة على حدود منطقة الثورة • ونحـن لا نعنى بذكرها ، وانما نقصـر تسجيلنا على الحوادث الكبيرة التي ترتدي طابع معركة ، أو يكون لها أثر في تكييف الثورة ، أو توجيهها ، أو سيرها ومصيرها •

الهجوم على قرى الاسماعيليين

في أواسط شهر تموز ، ١٩١٩ ، زحفت قوة كبيرة فرنسية كبيرة من طرطوس ، عن طريق نهر الاسماعيلية ، واستقرت في قرية « عقر زيتي » ، والقرى القريبة منها . وكان هذا الاستقرار يشكل اضطرابا مباشرا على ميسرة الثائرين .

وهجمت القوات الفرنسية على « قلعة الخوابي » معقل المجاهدين « آل عدرة » فأحرقتها . ولم تبق في بنائها حجرا ، ولا في ارجائها أثرا .

وكان أفراد الجيش الغاصب يقيمون كمائن على الطرقات يصطادون المارة من ابناء الجبل ، ينكلون بهم ، ويسومونهم أصناف العذاب ، ثم يلقون جثثهم على جوانب الطرق بعد أن يمثلوا بها أفظع تمثيل . وكان الفرنسيون يرمون من وراء هذه الاعمال الوحشية الدنيئة الى القاء الرعب في نفوس الناس . ولكنها بدلا من ذلك زادت من كراهية الناس للفرنسيين ، وحشد امكانياتهم كلها ضدهم . وكان لها صدى سيء في جميع الاوساط وأثر كبير في استمرار المقاومة والنضال الى النهاية .

واضطر المجاهدون للهجوم على القوات الفرنسية التي كانت تعسكر في قرى الاسماعيليين . ودامت المعركة أياما متواصلة لا يخمد لهيبها في ليل أو نهار . وكان من البديهي أن تقع أضرار جسيمة في القرى الآهلة بالسكان . ولم يكن للمجاهدين مندوحة

عن ذلك الهجوم ، طالما انهم والجيش الفرنسي في صراع دائـم من أجل حرية أو عبودية .

واتنهت تلك المعارك العنيفة بانسحاب الجيش الفرنسي الى طرطوس بعد ان تكبد خسائر فادحة في الاموال والارواح .

وقد كان لتلك المعارك دوي كبـير في الاوساط العسكريـة والسياسية ، بالنظر لما تكبده العدو من خسائر فادحة في الاموال والارواح . وألفى الفرنسيون أنفسهم أمام ثورة جدية منظمـة أحسن تنظيـم . فأرغموا على طلب الصلح مـع الشيخ صالح ، كما سيجيء .

الفرنسيون يطلبون الصلح

لقد أدى انكسار الفرنسيين الهائل في « وادي الاسماعيليين » و « وادي ورور » الى كارثة اليمة حطمت مـن كبرياء الجيش الفرنسي الذي كان في أبان نشوته بالظفر العسكري ضد المانيا . وقد كان لذلك الانكسار ابعد الاثر في تفسية الجنود . مما اضطر القيادة لطلب الصلح . وقد اختير لهذه المهمة المرحوم احمد الحامد، الزعيم العلوي المعروف . وطلب منه التوسط مع الشيخ ، والاطلاع على شروطه للدخول في مفاوضات لانهاء الثورة .

شروط الشيخ :

وبعث المرحوم احمد الحامد يطلب من الشيخ موعدا لمقابلته في مقر قيادة الثورة . فقبل الشيخ ، وحدد الموعد .

وجاء الوسيط الكريم يصحبه ابن اخيه اسماعيل الطاهر الحامد يعرض رغبة الفرنسيين بالصلح ، وانهاء الثورة . وقبل الشيخ الدخول بمفاوضات مع الفرنسيين على الاسس الآتية :

١ ـ الموافقة على ضم الساحل السوري الى الدولة السورية. وجلاء القوات الفرنسية عنه .

٢ ـ اطلاق سراح الاسرى .

٣ ـ دفع تعويضات الى السكان عن الاضرار التي ألحقها الجيش الفرنسي بقراهم .

موافقة الفرنسيين :

ونقل احمد الحامد ، وابن أخيه ، مطالب الشيخ الى القيادة

الفرنسية • فوافقت عليها بصورة مبدئيــة • وأشعرت الشيــخ بالموافقة المبدئية على شروطه وطلبت تحديد موعد للاجتماع به ، والتفاهم على التفاصيل التي تتفرع عن هذه الاسس •

وقبل الشيخ الاجتماع بالقائد الفرنسي على :

١ ــ أن يكون الاجتماع في موقع الشيخ بدر ، مركز الثورة•

٢ ــ ألا يصحب القائد الا ثلاثة رجال •

٣ ــ ان يكون الجميع عزلا من السلاح •

وبعد أخذ ورد طويلين وافــق الفرنسيون أيضا على هــذه الشروط •

الفرحة تغمر النفوس :

وما ان سرت أخبــار تسليم الفرنسيين بشــروط الشيخ ، وموافقتهم على الجلاء ، حتى غمرت نفوس النــاس موجة مــن الارتياح ونشوة الظفر • وعمت البهجــة سائر أنحاء الجبــل • ورفعت الزينات ، وأقيمت المسارح ، والتف الناس حول الطبول والزمور يرقصون ويهزجون •

وأقيمت الاعراس في كل مكان • وانتشر الناس يهنئون بعضهم بعضا ، لا لان المقاومة قد انتهت ، والنار قد خمدت ، فحب الجهاد كامن في تلك النفوس العربية ، منذ القديــم ، يمدها بالعــزم ، ويغذيها بالايمان • بل لان الدماء التي أريقت في ساحة النضال لم تذهب هدرا ، فقد تحققت الآمال ، وأزهرت الاماني ، وسيخرج

الغاصبون المحتلون من الساحل ، الذي سيرتبط بالوطن الام • وليس المهم طول الطريق أو قصرها ، وانما المهم الحصول على النتيجة ، والوصول الى الهدف • ولقد تحققت الاحلام ، ووصل المجاهدون الى هدفهم دون كبير عناء •

مؤامرة :

وبينما كان الشيخ يتهيأ للقاء القائد الفرنسي ، والمجاهدون في غمرة الابتهاج والاطمئنان ، اذا بالاخبار ترد ان ثمة تجمعات جديدة في وادي الاسماعيليين ، وكان المجاهدون قد أخلوه بعد جلاء القوات الفرنسية عنه ، وان نقل الاسلحة والمعدات مستمر تحت جنح الظلام ، وان طلب القيادة الفرنسية الصلح ان هو الا عملية تخدير للمجاهدين تهدف الى أخذهم على حين غرة ، وهم في حال الشعور بالثقة والاطمئنان •

وقيل ، فيما بعد ، ان القيادة الفرنسية كانت جادة بطلب الصلح ، ولكن وزارة الدفاع في باريس رأت في ذلك امتهانا بكرامة الجيش الفرنسي ، وتحطيما لسمعته وكبريائه • فأصدرت أمرا الى القيادة في الشرق بمتابعة الهجوم على مناطق الثورة ، واحتلالها بأي ثمن كان •

وسواء كان الامر مؤامرة من القوات الفرنسية ، أو نكولا منها عن الاتفاق ، أو اذعانا لاوامر الوزارة الفرنسية نفسها فقد ثبت أن القوات الفرنسية تستعد لهجوم كبير •

احتلال قرية كاف الجاع :

وبينما كان الشيخ ورجاله يتهيأون لمقابلة الزحف الذي بدت طلائعه القوية في وادي الاسماعيليين ، اذا بالاخبـار تردهم أن الكتائب الفرنسية المرابطة في « القدموس » ، وكانت قد عززت بعد معركة الشيخ بدر عن طريق بانياس ، قد زحفت على قريـة « كاف الجاع » واحتلتها دون مقاومة تذكر لانها كانت بعيدة عن مركز الثورة ، ولم يكن ثمة قوة كافية لحمايتها ، وهذه القريـة يملكها الشيخ صالح ، ولهذا فانه لم يكن يعبأ بالدفاع عنها ، لانها خارج منطقة الثورة الرئيسية •

واعتقل الفرنسيون سكان القرية كلهم •• ثم أضرموا فيهـا النار ، وجعلوا بعض أجساد المعتقلين طعاما لها • وهي وحشيـة لا يستغربها أحد من الفرنسيين ، ولا يستكبرها عليهم ، لانآثارها بادية ، وستظل بادية ، في كل قطر دخلوه ، وبلد احتلوه •

وكانت الحشود في وادي الاسماعيليين جنوبي منطقة الثورة مناورة لتغطية الهجوم على قرية كاف الجاع واحتلالها •

تمركز الجيش في القدموس خطر على الثورة :

وأدرك الشيخ أن تمركز الجيش الفرنسي في « القدموس » يشكل خطرا على منطقة الثورة ، لانه يجعل ميمنتهامهددةومعرضة لاشد الاخطار •

وحينئذ قرر الشيخ اعداد العدةلاحتلال« القدموس » وتطهير

ميمنة الثورة من الخطر المحدق بها • وانقاذ المنطقة من محاولة تطويقها ، والاحاطة بها • وسكان القدموس من الاسماعيليين • وفيهم أمراء معروفون بعراقة محتدهم ، ونبل أصولهم •

بدء الاتصالات الرسمية بالملك فيصل

لماكانت الثورة قد اتسع نطاقها ، وازدحم ميدانها ، وبدأ الجيش الفرنسي يستعد لخوض معارك فاصلة ، كان لا بد للشيخ من طلب امدادات سريعة من الملك فيصل • فأوفد أحد مرافقيه النشيطين « أنيس ابو فرد » لمقابلة الملك فيصل في دمشق ، وتقديم تقرير عن الثورة ، وطلب ارسال المعدات والذخائر للمجاهدين •

وسافر « ابو فرد » يحمل رسالة من الشيخ الى الملك فيصل الذي استقبله ، واكرم وفادته ، وأصغى الى مطالبه بدقة وعناية •

رسول فيصل الى الشيخ :

وفي منتصف شهر تشرين الاول ، ١٩١٩ ، اوفد الملك فيصل ابن عمه الشريف عبد الله مصحوبا ببعض السلاح والذخيرة ، ويحمل رسالة خاصة الى الشيخ صالح •

واستقبل الشريف استقبالا حافلا يليق به ، وطاف في الاماكن التي دارت فيها رحى المعارك، واطلع على مظاهر التخريب بالقرى التي احتلها الجيش الفرنسي ، وأحرقها ، والتي هدمها بمدافعه ، وقنابل طائراته •

وكان الشريف عبد الله يدون كل ما يسمعه في سجل خاص •

كما انه كان يأخذ الرسوم لبعض الاماكن المخربة ، ولجموع المجاهدين وهي تقوم بتمرينات عسكرية ، وتحفر الخنادق ، وتقيم وراء الاستحكامات .

وعاد الشريف الى دمشق بعد ان مكث في منطقة الثورة قرابة اسبوعين .

ومن ذلك الحين بدأت الاعانات والامدادات تصل الى الشيخ باستمرار . ولم يغفل فيصل حتى عن ارسال القهوة ، والسكر ، والملابس ، والماشية للمجاهدين . وكان ذلك كله يسلم الى « دائرة المحاسبة » حيث يوزع وينفق في الاوجه الصحيحة . وكانت البرد بين دمشق والشيخ بدر تروح وتجيء باستمرار ، وكانت سريعة ودقيقة [1] .

(١) أخبرني الشيخ نفسه أن الاتصال بين دمشق والشيخ بدر كان أيسر في بعض الظروف من الاتصال بين مناطق الثورة نفسها .

امتداد رقعة الثورة

لقد بدأت المعارك تزداد حدة وعنفا ، فلم يكن يخبو لهيبها هنا ، حتى يضطرم هناك ، ولا تخمد جذوتها هناك حتى تشتعل هنا • فهي أشبه ما تكون « بنقطة الزيت » التي تبدأ واحدة ، ثم توزع الى عدة نقاط • وهكذا خرجت الثورة من نطاق محدود ، في بقعة معينة ، الى مدى أرحب أمكنة ، وأوسع آفاقا • وبدأت القيادة الفرنسية ، تحشد القوى الميكانيكية ، وتأليف فرق كاملة منها • كما أنها استقدمت بعض الفرق العسكرية من أفريقيا ، والهند الصينية الفرنسية ، التي اعتاد جنودها على تسلق الجبال ، والحرب في الغابات • وفتحت باب التطوع للبنانيين • وحشدت للقتال أشرس الجنود ، وأكفأهم بالقتال ، وأقدرهم على النضال • ووزعت الجنود على المسارب والسبل ، للتحكم بها ، وتضييق الخناق على الانصار والمؤيدين • وربما وجدت كتيبة كاملة في مكان لا يحتاج الا لعدد ضئيل من الجنود • وجعلت «القدموس» نقطة ارتكاز هامة للجيش ، ونقطة انطلاق للمراقبة والتخريب والتجسس • فكان لا بد والحالة هذه من القيام بحركة واسعة تستهدف احتلال القدموس ، واقصاء العدو عن جبالها المنيعة ، والحيلولة بينه وبين تنفيذ ما يرسمه اليه من خطط ، ويسعى اليه من اهداف • ولكن الشيخ قرر احتلال مدينة طرطوس أولا ، ومن ثم الهجوم على القدموس •

تشكيل محكمة للثورة ، وتنظيم ادارة محلية :

لما كانت الثورة قد اتسع نطاقها ، وتشعبت ميادينها ، وكانت بطبيعة الحال هدفا للدسائس والمؤامرات والتجسس ، فقد عمد الشيخ الى تشكيل « محكمة عسكرية » تعاقب كل من يجرؤ على خيانة الثورة ، ويتآمر على سلامتها • وشكلت لجان للقيام بتحقيقات دقيقة في كل ما له علاقة بالكيد لها ، والتجسس عليها • وجعلت أحكام « محكمة الثورة » مبرمة لا تقبل النقض ولا الاعتراض •

وقد اختير لرئاسة « المحكمة » علي زاهر ، قرية حمام واصل ، ولعضويتها محمود علي اسماعيل ، قرية الحطانية ، ومحمود ضوا، قرية العصيبة • ثم أنيط برئيس المحكمة الاشراف الاداري على منطقة الثورة ، وحل الخلافات التي تنشب بين الاهلين • كما عهد لعضوي المحكمة ، علاوة على عضويتها ، بأعمال مالية وتفتيشية • وعين كتاب ، وجباة ، ومراقبون ، ومحاسبون •

وظلت المحكمة تتابع اعمالها بكل جد ونشاط ضمن المهام الموكولة لها الى أن اعتقل الفرنسيون رئيسها ، وأعضاءها ، ومساعديهم ثم أعدموهم رميا بالرصاص في قرية « القمصية » ، كما سيجيء • ومثلوا بهم تمثيلا فظيعا ، بعد أن ابقوهم ثلاثة أيام معلقين على أعواد المشانق • وهي وحشية لا يستغربها من فرنسا من يعرف شيئا عن همجيتها ووحشيتها ، رغم ما تدعيه من مدنية وحضارة •

الهجوم على طرطوس :

في مطلع ربيع عام ١٩٢٠ كان الشيخ قد اكمل استعـداده العسكري وفقا لتطور الثورة ، واتساع ميدانها • وقد أصبح عدد المجاهدين يربو على الالوف •

وكانت قد وردت الانباء بأن الفرنسيين يحشدون قوى هائلة في مدينة طرطوس • فقرر مهاجمتهـا ليفسد خطط الفرنسيـين ويبادههم بالهجوم •

وتولى قيادة جيش الثوار العقداء : سليـم صالح ، واسبر زغيبي ، وعزيز بربر • وعقداء آخرون •

وعند بزوغ فجر ٢٠ شباط بدأ الهجوم على مدينة طرطوس من الشمال ، والشرق ، والجنوب حسب خطة مرسومة ، وتوجيه دقيق •

وفوجىء الجيش الفرنسي بأحكام الحصار عليه من الجهات الثلاث • ودارت المعركة حول الثكنات العسكرية نفسها • والتحم الفريقان في بعض الامكنة بالسلاح الابيض • ولم ينتصف النهار حتى كان الاسـطول الفرنسي يرابط في عرض البحـر المقابـل لطرطوس ويقذف المدينة ، والطرق المؤدية لها ، بقنابله الرهيبة • وشرعت الزوارق بانزال فيالق من البحارة عن ميمنة الثـوار ، وميسرتهم ، فاضطروا للتراجع بعد أن أوقعوا بالعدو اصابات بالغة ، واخذوا معهم بعض الاسلحة التي استولوا عليها مـن

مستودع كبير كانوا قد احتلوه عند بدء الهجوم ٠
واستشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين ٠

احتلال القدموس :

في ٣ آذار ، ١٩٢٠ ، زحف الشيخ برجاله ، الذي كان يربو عددهم على الاربعة آلاف مقاتل ، على القدموس ٠ واغتنم الشيخ فرصة الذعر التي تركها بين صفوف الفرنسيين هجومه المفاجىء على طرطوس ٠

وكان الفرنسيون قد حولوا القدموس الى قلعة حصينة ٠ وهي بحكم طبيعة ارضها ، وموقعها الجغرافي ، واحاطتها بالاودية السحيقة من ثلاث جهات أشبه ما تكون بالحصن القائم على جبل ، لا تصله بالارض المنبسطة الا طريق ضيقة جدا ٠

وارسل الشيخ انذارا الى الجيش الفرنسي للتسليم ٠ فرفض القائد ورفض معه الاهلون ٠ فأحكم الشيخ الحصار على البلدة ومنع عنها الماء والكلأ ٠ واستمرت المناوشات والحصار الشديد بضعة ايام اضطرت الحامية بعدها للتسليم ٠ واضطر الاهلون الى قبول شرط الجلاء ، والنزوح الى مصياف ٠ وقد تم جلاء الاهلين عن البلدة دون ان يقع لهم حادث معكر ، او يحصل لاحدهم ما يسيء ٠ وارسل الشيخ كتيبة من المجاهدين ترافقهم طوال الطريق ، وتحميهم من اعتداء الاهلين عليهم ٠

وقد تجلت في هذا الموقف المشرف اخلاق الشيخ ، ونبل مقصده ، وطهر مزاياه ٠

ولكن الذي يؤسف له ان احتلال القدموس الذي دام وقتا طويلا قد تخللته حوادث سلب ونهب من بعض المستغلين والمشاغبين، الذين لا يعرفون الواجب ، ولا يقدرون المسؤوليات ، وما يهمهم الا ارواء جشعهم وطمعهم وعصبيتهم البغيضة •

ولما بلغ الشيخ ما جرى من اعمال السلب والنهب أمر برد المنهوبات الى اصحابها[1] وأحال الذين دبروا تلك المؤآمرة على المحكمة العسكرية التي اداتتهم جميعا بالسجن ، وحكمت عليهم أحكاما قاسية •

وكان لاحتلال القدموس ضجة كبرى ، ودوي هائل • وهو فضلا عن انه قد حمى ميمنة الثورة ، وقضى على ذلك «الجيب» الخطير في قلب الجبل الثائر ، فقد كفل للمجاهدين الاشراف على بانياس ، و « قلعة المرقب » ، ومهّد للهجوم عليهما ، كما سيجيء •

التحاق الشعلان بالثورة :

في ١٥ آذار ، ١٩٢٠ ، ارسل جلالة الملك فيصل القائد الشهير « غالب الشعلان » لمعونة الشيخ صالح العلي في قيادة الثورة • والاشتراك معه بتوجيهها وتنظيمها • واتخذ « الشعلان »

---

(١) كان يروي الامير تامر ان الشيخ قد اعاد اليه كل ما سلب منه . وزوده بالمال اللازم . وارسله مع أسرته مخفورين الى مصياف . دون ان ينالهم أذى أو سوء من احد .

قرية « الرستن »[1] مركزا لقيادته • وبقي الى جانب الشيخ يعينه بحصافته وحماسته حتى انتهاء الثورة في الجنوب •

وكانا يشتركان معا في ترتيب الخطط ، وتدبير الامور • والتشاور معا في كل ما له علاقة بالثورة والثائرين • وكان يرأس اركان حرب الشيخ ، ويليه مباشرة في الامر والنهي ، والقيادة والتوجيه ، وله مقام مرموق بين اوساط المجاهدين ، والاحياء منهم ما يزالون يذكرونه في كثير من التقدير والاطراء ، ويعجبون ببطولته الفائقة ، ورجولته الخارقة ، وبأخلاقه الدمثة ، وطباعه السلسة •

وكان احمد جمعة وفارس ابو كف — من حماه — رسولي الشعلان في المخابرات الرسمية والخصوصية • ولم يتخليا عن واجبهما في الثورة طوال المدة التي قضاها الشعلان فيها •

وكان مصطفى الملي من ابرز الضباط المرافقين للقائد الشعلان، وقد أبلى هذا الضابط الباسل في المعارك التي خاضها خير بلاء • كما ان للسيد عثمان التميمي مواقف مشهودة مخلصة •

الفوج الملي :

في ربيع عام ١٩٢٠ شكل المرحوم عزيز هارون « الفوج

---

(١) تقع قرية « الرستن » الى الجهة الشمالية الشرقية من الشيخ بدر . وتبعد عنه مسافة كيلو مترين وكانت المركز الرئيسي للشيخ طوال أيام حياته ، الا في فصل الصيف فقد كان يصطاف في قرية « كاف الجاع » .

الملي » في مدينة حماه • وقد اطلق هذا الاسم على الفوج الذي انخرط فيه مجاهدون من جميع الطوائف ، من حماه ، وحمص ، وطرطوس ، وجبلة ، وبانياس ، والحفة ، واللاذقية و و •• الخ • وكان عدد افراد هذا الفوج يربو على الخمسمائة • منهم مائة وخمسون فدائيا •

وارسل الملك فيصل الضابط جميل ماميش ليقود كتيبة الفدائيين في ذلك« الفوج » وهي الكتيبة التي كان يناط بها أمر حماية الثغور ، وصيانة الطرق المؤدية الى منطقة الثورة • واقتناص المعلومات عن تحركات العدو ، وتنقل فرقة وكتائبه •

واتخذ المرحوم عزيز هارون مقره الرسمي في مدينة مصياف ، قبل ان تلحق هذه بالجبل العلوي بعد سقوط الشام • واماالكتيبة الفدائية فكانت توزع هنا وهناك ، تبعا للمهام التي يعهد بها اليها من قبل قيادة الثورة •

وكان جميل ماميش يلازم الشيخ ، ويرافقه في المعارك التي يخوضها والمجاهدان احمد المحمود ومصطفى المحمود • وكان الضابط ماميش يرسل التقارير الى الملك فيصل عن الثورة ونشاطها •

وكان محمود الموسى من ابرز رجال الفوج الملي • وبقي هذا الفوج الى نهاية معارك الثورة في الجنوب ، يقوم بواجباته الوطنية خير قيام ، ويؤديها احسن أداء •

معارك السوده الكبرى :

كان الفرنسيون خلال شهر آذار قد بدأوا بحشد قوى هائلة في قرية «السوده»[1] والقرى المحيطة بها • وكانوا في نهايته قد حشدوا فرقتين كاملتين معززتين بالدبابات والمدفعية الثقيلة على بقعة من التلال المحيطة بقرية السوده تمتد الىمسافة عشرين كيلو مترا •

وادرك الشيخ واركان حربه أن الفرنسيين يبيتون نية الهجوم على معاقل الثورة فقرروا ان يفسدوا عليه خطته ، وان يبدأوه بالهجوم قبل ان يداهمهم به • ورسمت خطة الهجوم • وعين العقيد سليم صالح على فرقة الميمنة ، والضابط جميل ماميش على فرقة الوسط ، وقسم الميسرة بين عدة عقداء • وكان الشيخ يشرف بنفسه على سير المعارك عن كثب ، ومعه أركان حربه وعلى رأسهم غالب الشعلان •

وكانت كتائب الثوار ترابط على التلال المواجهة للمواقع التي يحتلها الجيش الفرنسي•وبدأت بالهجوماحدىالكتائب المرابطة في قرية « بعزرائيل » الكائنة الى الجهة الشرقية من قرية « السوده » ثم تبعتها بقية الكتائب •

---

(١) تقع قرية السوده على بعد خمسة عشر كيلو مترا تقريبا من شرقي طرطوس. وتبعد عن البحر بضعة كيلو مترات .

ودارت رحى معركة عنيفـــة ، استرخصت فيهـــا الارواح • ولعبت مدفعية العدو وطائراته ، دورا رئيسيا فيها •

وقد أبدى المجاهدون من ضروب البسالة والشجاعة ، والاستماتة في القتـــال ، ما يعجز عن وصفـــه اللسان والبيـــان • ولـــكن عددهم الكبير كان يفتقر الى تنظيم اكثر دقة وخبرة • وهي الميزة الاولى لجيش العـــدو على فلول المجاهـــدين • وكان العدو قد حشد قواته الضخمة على أسس فنية ، وقد عززتها فرقة ميكانيكية هائلة • ورغم الجهود التي بذلها الشيخ وأركان حربه لتنظيـــم الهجوم على اسس فنية مماثلة فقد كان من غير الممكن ان يستطيعوا مقابلة التنظيم الدقيق بمثله • وقد تلكأت ميسرة جبهة الثـــوار عن تنفيذ الخطة المرسومة لها مما أدى الى ضعف الجبهة كلها ، والى تقدم الفرنسيين من تلك الناحية يعاونهم في ذلك الاسماعيليون الذين كان يحتشد متطوعوهم في ميمنة الجيش الفرنسي • وكان الفرنسيون يهدفون الى حركة التفاف واسعة معتمـــدين عـــلى ميسرة الجيش الفرنسي التي كانت تتألف من الكتيبة التي كان يقودها « علي بدور ــ من قضاء الحفة ! ! ! » ، وكتيبة من المغاربة تعضدها مدفعية قوية ، وكتيبة مصفحات • واضطرت ميسرة الثوار للانكفاء الامر الذي أدى الى تقدم الفرنسيين من تلك الجهـــة ، واحتلال المرتفعات التي كانت تحتلها قوى الثائرين • وازداد الضغط على ميمنة الثوار فاضطروا للتراجع • وظل « الوسط » بمثابة نتوء طويل بين جيوش الاعداء • فأمره الشيخ وأركان حربه

بالتراجع خشية من تطويقه بعد ان كان محاطا بجيوش العدو من ثلاث جهات .

وهكذا انتهت تلك الحملة التي كان يأمل الشيخ من ورائها طرد الفرنسيين من الجبل واللحاق بهم الى الساحل .

ولكن تلكؤ « الميسرة » المشبوه ... وشدة ضغط العدو قد أثر كثيرا في نتيجة هذه المعركة فعكسا حالها ، وبدلا مآلها .

ولكن هذه المعركة لم تخل ، رغم الخسائر الفادحة التي مني بها المجاهدون ، من بعض الفوائد لهم . اذ انهم استطاعوا بهجومهم المفاجىء ان يفسدوا على الفرنسيين خطتهم ، وان يضيعوا من حدة الهجوم الذي كانوا يتهيأون له ، ويقللوا من أثره وخطره .

وقد استبسل العقيدان جميل واميش وسليم صالح استبسالا عظيما ، في هذه المعركة الكبرى . وأظهرا من ضروب الشجاعة ما يوجب تسجيل الثناء لهما .

وبعد انتهاء المعركة عمد الفرنسيون الى احراق قرية « زمرين »[1] .

هجوم الفرنسيين المعاكس :

اغتنم الفرنسيون فرصة النجاح الذي أحرزوه بفشل هجوم

---

(١) ما يزال السيد مصطفى عدره يحتفظ في فناء بيته ببعض شظايا قنابل الاسطول الفرنسي ، ومدفعية الجيش الثقيلة ، بمثابة شاهد عدل على وحشية الفرنسيين وهمجيتهم .

الثوار ، واحباط خطتهم ، فبادروا الى القيام بهجوم صاعق على معاقل الثوار •

وفي صباح ٣ نيسان ١٩٢٠ بدأت طلائع الفرنسيين تتدفق من أعالي الجبال ، وتصعد من سحيق الاودية تتقدمها الدبابات ، وتخفرها الطائرات ، بعد ان مهدت لها المدفعية فترة طويلة •

وكان الشيخ واركان حربه قد حسبوا حسابا لهذا الهجوم ، واستعدوا له • فأبقوا المجاهدين في أماكنهم الحصينة • بعدفشل هجومهم على « السوده » وعززوا قواهم بكتائب جديدة من المتطوعين بالثورة • كما انهم أجروا تعديلا وتبديلا في قيادة الكتائب ، والمواقع التي تحتلها •

وكان للفشل الذي مني به المجاهدون أثر عميق في نفوس المجاهدين حفزهم للاخذ بالثأر من العدو الذي نكل بأسراهم أبشع تنكيل ، ومثل بقتلاهم أفظع تمثيل •

ولم يبرح الثائرون أمكنتهم رغم القنابل الهائلة التي كانت تنهال عليهم من كل حدب وصوب حتى اقترب العدو من أماكن استحكاماتهم وهو مطمئن الى ان المجاهدين قد جلوا عنها • وهنا انهال عليه الرصاص والقنابل اليدوية من كل جانب • ودارت رحى معركة عنيفة طاحنة ، استعمل فيها الفريقان أقسى ما يمكن ان يستعمله محارب من ضروب العنف والشدة والضراوة •وكانت هذه المعركة أشبه ما تكون بحرب نظامية من حيث الكر والفر ، والدفاع والهجوم ، والشدة والعنف •

واستبسل فيها المجاهدون استبسالا عظيما • فكانوا يهجمون على مراكز الجيش بجرأة غريبة ، وشجاعة نادرة ، حيرت عقـول الاعداء وادهشتهم • وقد تمكن الفرنسيون في هجومهم مـن احتلال قرى : « راس الكتان » و « ضهر مطر » و « العنـازه » و « العجمة » و « الحنفيـة » و « الشيخ علي طرزو » وغيرها من القرى التي ينتظم ابناؤها في صفوف المجاهدين • وقد هدمت مدفعية العدو هذه القرى ، وبعد ان دخلتها قواته أحرقتها كلها حتى اصبحت كتلا ملتهبة من رماد •

وكان لهذه الوحشية رد فعل عنيف في صفوف المجاهدين • فهجموا على الاعداء هجوما مستميتا ، وتدفقت جحافلهم مـن جميع الجهات • وتوغل الفدائيون بين صفوف العدو حتى تمكنوا بعد جهود جبارة ، وبسالة نادرة من انتزاع هذه القرى وارجاع الجيش الفرنسي الى الثكنات التي انطلق منها •

وقد دامت هذه المعركة خمسة وثلاثين يوما سقط خلالها قتلى وجرحى كثيرون من الطرفين • وغنم المجاهدون كميات كبـيرة من السلاح والذخيرة حينما اضطر الجيش الفرنسي للتقهقر والعودة الى قواعده •

وهكذا فشل هجوم الفرنسيين المعاكس ، كما فشل من قبله هجوم المجاهدين •

ولكن •• بينما كانت معارك « السوده » محتدمة زحفت

كتائب فرنسية من الجهة الجنوبية الشرقية جهة صافيتا الى جبلي « بستان » و « ريشة » الكائنين في مؤخرة الثائرين حيث احتلتهما دون عناء • واستطاعت أن تفتك ببعض جنـود المؤخـرة مـن المجاهدين •

ولما علم المجاهدون بذلك استشاطوا غيظا ، فارتد بعضهم الى الوراء لاخراج الجيش الفرنسي من الجبلين المذكورين تفاديا من وقوع الثائرين بين نارين • ولكن مناعة الجبلين حالت دون وصول الثائرين الى أهدافهم • فبقيت كتيبة العدو مجمدةفي مكانها حتى انتهاء معارك « السوده » ، حيث انسحبت تحت جنح الظلام بعد ان فشلت خطتها بتطويق الثائرين • وتكبدت خسائر فادحة ، ولكنها مع ذلك استطاعت ان توقع بعض الضحايا بالمجاهدين •

وفي ٢٥ ايار عادت بعض كتائب الفرنسيين الى الهجـوم ، واستطاعت احتلال قرية « كوكب » الكائنة على بعد عشرة كيلو مترات من « السوده » ، واحراقها • فكـرّ عليهم المجاهدون واخرجوهم منها • ثم هجموا على« قلعة الخوابي » ، معقـل « آل عدره » ، فاسترجعوها من الفرنسيين وهي اطلال•واستولوا على الذخيرة التي كانت نقلت حديثا الى الكتيبة التي تعسـكر بالقرب منها •

وفي ٤ حزيران تقدمت بعض الفصائل الفرنسية عن طريـق نهر الاسماعيلية فتصدى لها المجاهدون وارغموها على التراجع ، ولم تقع في هاتين الحادثتين ضحايا تذكر •

اجتماع الشيخ ويوسف العظمة :

على اثر الاحتدام المتواصل ، والمعارك المستمرة ، وجه المرحوم يوسف العظمة وزير الحربية السورية ، دعوة الى الشيخ صالح العلي للاجتماع به • ولما كان استمرار المعارك وتطورها لا يسمح للشيخ بالابتعاد عن منطقة الثورة فقد اختيرت قرية « السويده » الكائنة بالقرب من مصياف مكانا للاجتماع •

وذهب مع الشيخ اركان حربه ، كما جاء مع يوسف العظمة بعض ضباط الجيش السوري •

وفي تلك القرية الهادئة اجتمع الرجلان الكبيران ، وكلاهما يمثل رجولة القائد ، وبطولة المجاهد • وتعانقا • وشعر كل منهما انه ينطق بلغة الآخر ، ويتحدث بلسانه ، ويعيش بقلبه • ودرسا أمر الثورة وحاجياتها ، وما تتطلبه لاستمرارها ، وتنفيذ غايتها •

ولما كانت الثورة انما اشعلت لصالح الامة ، وعليها يتوقف مستقبل هذا الجزء من البلاد ، محافظة اللاذقية ، وربما يتوقف عليها مستقبل البلاد كلها ، فقد قرّ الرأي على امدادها بكل ما تحتاجه من سلاح ومعدات ، وعلى مضاعفة الجهود لتوسيع رقعتها ، وتحقيق الاهداف القومية بسرعة •

وتعاهد الوزير والشيخ على النضال حتى النهاية •

وعاد كل منهما الى مقره ونفسه مشبعة بحب الآخر وتقديره •

واستشهد يوسف العظمة بعد ذلك في معركة « **ميسلون** » •

وكان لاستشهاده أثر بليغ في نفس الشيخ لايذكره مرة او يذكر امامه في مجلس حتى يسبق الدمع لسانه ، وترتسم الكآبة ، ومرارة الالم على محياه •

كانت لقيا واحدة • وربما كانت اللقيا الواحدة أعمق أثرا في النفس من لقاءات متعددة ، واجتماعات متواصلة • فليس المهم كثرة الاجتماعات ، وانما المهم عمق الاثر الذي يتركه أحدها في النفس ، ويخلفه في الذكريات •

رحم الله يوسف العظمة • لقد كان في حياته رمز البطولة والجهاد ، وصار بعد وفاته رمز التضحية والاستشهاد •

ورحم معه أمير الشعراء ، شوقي اذ يقول :

أنت كالحق ألّف الناس يقظا ... ن وزاد ائتلافهم وهو نائم
حبذا موقف غلبت عليه ... لم يقفه للعرب قبلك خادم

الفرنسيون يتوسطون للصلح :

في ١٢ حزيران ، ١٩٢٠ ، طلب الفرنسيون الصلح ، وتوسطوا لذلك كلا من السادة : الشيخ محمد عبد الرحمن ــ شيخ العلويين كافة بدون استثناء ــ والشيخ محمد رمضان ، والشيخ توفيق أفندي اليونس ، وأنيس أفندي العمر ، ونجله محمد أفندي الانيس • وتعهد الفرنسيون بقبول وتنفيذ مطالب الشيخ المعقولة ــ على حد قولهم ! ــ بدون قيد أو شرط •

وجاء الشيخ محمد عبد الرحمن وصحبه الكرام تحدوهم رغبة

صادقة وبريئة في انهاء تلك المجازر الدموية الهائلة ، بعد ايصال الامة الى حقوقها القومية كاملة غير منقوصة • وعرضوا عرض الفرنسيين •

ولكن الشيخ وقد خبر لؤم الفرنسيين وغدرهم رفض عرض المصالحة ، وأخبر الوسطاء الكرام أن الفرنسيين غير جادين بهذا العرض ، وانما هي مكيدة جديدة يرمي الفرنسيون من ورائها الى التحذير ، وتغطية عمل مفاجيء •

وقد حفز العرض الفرنسي الجديد الشيخ وأركان حربه لاخذ الحيطة والحذر ، والتأهب اللازم لكل حركة مفاجئة •

وأطال الوفد مكوثه عند الشيخ وهو يحاول اقناعه بالدخول في مفاوضة مع الفرنسيين تحفظ للبلاد سيادتها ، وللمجاهدين كرامتهم • وأصر الشيخ على أن طلب الفرنسيين ان هو الا خدعة ومؤامرة ، وانهم يبيتون أمرا ما ، وعدوانا جديدا ستظهر نتائجه قريبا •

وفي الوقت الذي كان يحاول فيه الوسطاء الكرام اقناع الشيخ بالدخول في بحث حول ايقاف المعارك ،والتفاوض من أجل الصلح ، اذا بالانباء تتوارد عن هجوم الفرنسيين عن طريق قرية « كوكب » فغضب الشيخ محمد عبد الرحمن لهذه الخيانة المقصودة ، والمؤامرة المدبرة ، وهم يرون ألسنة اللهيب تندلع من قرية « كوكب » التي عاد الفرنسيون يحرقونها مرة اخرى بعد

ان رممها سكانها وعادوا لسكناها •

وتمكن الثائرون من صد المهاجمين ، وعرفوا بعدئذ ان هجومهم ما كان الا لجس النبض قبل البدء بهجوم كبير •

وتوفي الشيخ محمد عبد الرحمن على أثر ذلك • وقد كان لتلك الرحلة الشاقة أثر كبير في تردي صحته ، والاسراع بنهايته يرحمه الله •

احتلال قلعة المرقب :

بعد هذه الانكسارات المتوالية حول الفرنسيون انظارهم من الجبل الى الساحل • وبدأوا يتهيأون للهجوم على الجبل من جبهة واسعة تمتد من بانياس حتى طرطوس • يحشدون فيها كل القوى المجمدة لمقاومة الثورة •

وكانت الاعين التي يرسلها الشيخ للمراقبة هنا وهناك ساهرة يقظة • وجاءت تنبيء الشيخ بأن تجمعات هائلة على الساحل بين بانياس وطرطوس • وادرك الشيخ واركان حربه غاية الفرنسيين من هذه الحشود • فأرسلوا قوة كبيرة احتلت « قلعة المرقب » الكائنة قرب الشاطيء جنوبي بانياس • وهي تقع على هضاب مرتفعة تجعل الطريق الساحلي تحت سيطرتها التامة •

وكان الهجوم عليها واحتلالها مفاجأة أذهلت الفرنسيين الذين لم يكونوا يتوقعون ان يقدم الثائرون على هذا فلم يتركوا في « القلعة » المنيعة الا حامية صغيرة لم تلبث أن استسلمت تجاه

بسالة الثوار وشجاعتهم ، ورهبة المفاجأة الغريبة •

وظلت « قلعة المرقب » في أيدي الثائرين حتى نهاية الثورة • وربما كانت آخر موقع يجلو عنه المجاهدون •

وكان لاحتلال هـذه « القلعة » التاريخيـة ذات الموقـع الستراتيجي الهام أثر في تكييف الثورة واتجاهها الى حد بعيد • اذ انه قطع الاتصال المباشر بين الجيش الفرنسي المرابط في اللاذقية وطرطوس •

هجوم القائد بولنجي :

ادرك الفرنسيون بعد تلك المعارك الهائلة انهم أمـام قوة جبارة رهيبة • وان الاستخفاف بهذه الثورة اول الامر قد جرهم الى هذه الخسائر الفادحة في الاموال والارواح ، وأدى بهم الى ان تنكب سمعتهم ، وتسخر الصحف الاجنبية منهم ، وتتحـدث عن عجزهم عن اخماد ثورة محدودة « كذا » • وقد عينت وزارة الحربيـة الفرنسية القائـد « بولونجي » قائدا لقـوات الجيش الفرنسي في محافظة اللاذقية • واطلقت يده باتخاذ كل الوسائل والاجراءات الكفيلة بقمع الثورة واخضاع الثائرين ، مهما كان الثمن ، ومهما بلغت الخسائر • ووضعت تحت تصرفه كل القوى الفرنسية في الساحل السوري واللبناني •

واستعد القائد الجديد لهذا الهجوم استعدادا كبيرا • وحشد في هذه الحملة ما ينوف عن الثلاثين الفا من الجنود ، تعززهـم

فرقة من المصفحات ، واسراب من الطائرات •

وبدأ الهجوم بين قريتي « خربة الريح » ، و «نهرالصوراني» ثم اتسعت رقعته حتى اصبحت تشمل جبهة واسعة طولها أكثر من ثلاثين كيلو مترا •

ولما كانت هذه الحملة مزودة بقوى ميكانيكية هائلة ، ومنسقة خير تنسيق حيث كان العدو قد استعد لها استعدادا كبيرا من قبل ، فقد اضطر المجاهدون الى الانكفاء امامها بانتظام • وتركوا وراءهم كتائب تشاغل الاعداء ، وتعوق سيرهم ، وتجعل تقدمهم بطيئا • وانسحبت افواج المجاهدين الرئيسية بقيادة الشيخ نفسه ، وتمركزت حول الجبال المنيعة التي تحيط بقرية « وادي العيون » • وهناك اتخذوا استحكاماتهم ، وتهيأوا لاستقبال الحملة الهائلة بعد ان فسح لها المجال للتقدم الوئيد • واستفزت الحمية والغيرة نفوس المواطنين فشرعت مواكبهم تنهال على قيادة الثورة للانخراط فيها ، والتأهب للقتال • وقد جاءت نجدة كبيرة من قرى : « عين الشمس » ، و « عين الذهب » ، و « بجنه » ، و « المعمورة » ، و « بستان الصبوح » وغيرها •

واستمرت الحملة الهائلة في تقدمها ، وهي تحرق كل ماتراه في طريقها من وسائل العمران ، ولا تبقي أثرا لحياة • وقد احرقت بيوت الشيخ مرة ثانية • وكانت كلما احرقت بيوته يعيد المجاهدون بناءها بسرعة ، لانها كانت مركز قيادة الثورة ، ومستودع مؤونتهم وسلاحهم •

وقد استخف الزهو هذه الحملة الكبرى ــ قادتها وجنودها ــ وهم يتبعون الثائرون المنكفئين • وخيل اليهم ان الثورة قد انتهت بعد ان استبيح معقلها ، واحتلت مراكز قيادتها ، وتفرق المجاهدون هنا وهناك • الامر الذي أدى بالجيش الفرنسي الى الاطمئنان الكلي ، والى الاستهانة وعدم الحيطة والحذر • وكان لا بد لهم من أن يلجوا أودية سحيقة ، عميقة الغور ، وهم في زحفهم المتواصل الى الامام •

وبالقرب من« وادي العيون » ، القرية الكبيرة التي تقع على بعد عشرة كيلو مترات شرقي الشيخ بدر ، والتي تشرف من هضابها المرتفعة على واديها السحيق الفتان ، بدأت أهم مجزرة عرفتها تلك الثورة الضروس حتى ذلك التاريخ • اذ كان المجاهدون يرابطون على تلك التلال المرتفعة ، حيث لاينم عليهم أي أثر • وتركوا الفرنسيين يتقدمون حتى توسطوا تلك الاودية ، وهم آمنون مطمئنون الى ان المجاهدين قد فروا الى الشمال •

وحينما شرع الجنود الفرنسيون بنصب مخيماتهم انهال عليهم الرصاص كالمطر الزاخر من جميع الجهات • وكانت مفاجأة ذعر لها الفرنسيون وصعقوا • ولم يكن لهم منفذ الا العودة من الطريق التي جاؤوا منها • واختلط حابلهم بنابلهم وانطلقت الرواحل ، وتبعثر الجنود ، كل ذلك والمجاهدون يوالون اطلاق النار ، من أعالي الجبال المحيطة بذلك الوادي السحيق ، الذي يبلغ طوله

بضعة كيلو مترات • وتكدست الجثث فوق بعضها • والـذين استطاعوا النجاة من ذلك الوادي وجدوا المجاهدين قد سـدوا عليهم الطريق غربي قرية « النيحا » فاتجهوا الى الشمال وهدفهم ناحيـة القدموس ، ولكن الحاميـة في تلك الجهات استقبلتهم بنيرانها ، فحولوا اتجاههم الى الغرب ناحية قرية « القمصية » ، والثوار يلاحقونهم وهم يهبطون من جبل ، ويصعدون الى آخر • وبعد ان اجتازت بقايا الحملة نهر « الملتقى » استطاعت العودة الى الساحل عن طريق «القمصية» بعد ان تكبدت خسائر لا حصر لها ولا عد • واسقط المجاهدون طائرتين في هذه المعركة التي تعتبر أعنف معارك الثورة ، وأوفرها خسائر •

واستطاع المجاهدون ان يأخذوا مئات الاسرى حين تفككت وحدة الجيش الفرنسي ، وانقسمت قواته الى مفارز كانت كل واحدة منها تسلك السبيل الذي تتمكن من سلوكه ، وتقـاتل لوحدها الامر الذي أدى الى اقتناص كثيرين من الجنود بينهـم بضعة ضباط ، واخذهم جميعا اسرى •

واستشهد في هذه المعركة الجبارة عدد من المجاهدين ، وعلى رأسهم المرحوم عزيز البربر بعد ان استولى على ثلاثة متراليوزات، واردى الجنود الفرنسيين الذين كانوا حولها قتلى •

وكان الشهيد عزيز البربر من اشجع رجال الثورة ، ومن أعظم أبطالها • وكان من اكثر المجاهدين بسالة ، واشدهم اقداما • ولم

يخل استشهاده من مؤامرة دنيئة مدبرة ••• وقد شيع الشيخ جنازته بنفسه ، وصلى عليه • وحزن الناس كثيرا على ذلك البطل الشهيد ، وما يزالون يتحدثون عن بطولته ورجولته الى الآن • يرحمه الله •

وقد أدت هذه المعركة الضخمة ، وفشل الجيش الفرنسي فيها الى عزل القائد « بولونجي » الذي اقصي عن الجيش ، ووردت الانباء بعدئذ انه احيل الى المحكمة العسكرية •

الفرنسيون يتوسطون الانكليز :

بعد الاندحار المشين الذي مني به القائد « بولونجي » ، والذي أدى الى اقصائه عن منصبه في الجيش،واحالته الى المحاكمة وعلى أثر الخسائر الفادحة التي تكبدها العدو في تلك المعركة الهائلة طلبت الحكومة الفرنسية توسط الانكليز لانهاء الثورة ، وايجاد صلح يكفل لقواتهم الامن والاستقرار •

وعلى أثر ذلك وجه الجنرال اللنبي كتابا خاصا الى الشيخ صالح يطلب منه الاجتماع بمندوبيه في طرطوس • فرفض الشيخ هذا الطلب ، ووافق على الاجتماع بهم في « الشيخ بدر » مركز قيادة الثورة ، ومعقل المجاهدين •

وجاء جنرال انكليزي، وجنرال فرنسي ، ومعهما بعض الضباط من الطرفين وبعض الاسرى من المجاهدين الذين كان الشيخ قد أصر على حضورهم هذا الاجتماع ، واشتراكهم بالمفاوضات •

موقف الزعماء الموالين لفرنسة :

وحرص الفرنسيون على ان يحضر الاجتماع « الزعماء » المعروفون بموالاتهم لها ، وتأييدهم لسياستها ،ووقوفهم من الثورة موقف التثبيط والعداء •• ورأى الشيخ في هذا الطلب بادرة سيئة ، وقصدا مغرضا يراد به الهيمنة على المجاهدين ، والضغط على ارادة المفاوضين •

وبعد جدال طويل ، وأخذ ورد ، قبل الشيخ باقتراح انكليزي ان يشهد اولئك « الزعماء » جلسة الاتفاق ، على الا يسمح لهم بالاعتراض ، او الاشتراك بالمناقشة ، او ابداء رأي من الآراء • ويكون حضورهم بمثابة مستمعين ، لا أكثر •

وحضر اولئك « الزعماء » ، واجتمعوا فيما بينهم وعقدوا « مؤتمرا » خاصا سريا ، اتفقوا فيه على ان يتصل كل رئيس عشيرة منهم بابناء عشيرته المنخرطين في صفوف الثورة ،ويقنعهم بالانسحاب منها والعودة الى قريته ، وتسليم سلاحه للفرنسيين برهانا على ولائه ، او ولاء اسياده لهم ، وانسحابه نهائيا من صفوف الثوار ! ! •

ثم رأى أولئك « الزعماء » ان يبلغوا قرارهم هذا الى المجاهدين جميعا على مسمع من هيئة المفاوضات • وكلفوا احدهم بتنفيذ هذا القرار • وبينما كان المكان يغص بالوف المجاهدين ، والشيخ مجتمع بالضباط الانكليز والفرنسيين وقف أحد اولئك

« الزعماء » رسل فرنسة يخطب بجموع المجاهـدين ، مهاجما الشيخ ، ومنددا بأعماله ، ومعلنا مقاومته ومقاومة رفاقه للثورة ، وبراءتهم من كل من يبقى منخرطا فيها ، وعاملا تحت راية الشيخ ، وطلب في النهاية من كل ابناء عشيرة أن ينتحوا جانبا للاجتماع برئيس عشيرتهم ، واخذ التوجيهات مباشرة منه •

وبلغ الشيخ فورا نبأ هذه الخطبة التي فضحت مؤامرة فرنسة وخيانة اولئك« الزعماء » الموالين لها • فاستشاط غيظا • وانسحب من مكان الاجتماع ، والخطيب ما يزال ينادي بأعلى صوته اتباعه، واتباع رفاقه ، وامر الشيخ ان ينادى بالمجاهدين ان يلحقوا به الى قرية «الرستن» وأرسل من ينذر اولئك « الزعماء » بوجوب مغادرتهم منطقة الثورة ، خلال ساعة واحدة ، والا اضطر ان يقضي عليهم جميعا •

ولما غادر الشيخ المكان تبعه المجاهدون ، كل المجاهدين دون استثناء ، واصوات رصاصهم يلعلع في الفضاء ، ويشق عنان السماء •

وتطلع الفرنسيون والانكليز يمنة ويسرة فلم يجدوا الا اولئك الذين شرى الاجنبي ضمائرهم ، وجاء بهم ليعملوا على تصديع جبهة الثورة ، وهدم كيانها وبنيانها •

وعاد«الزعماء»فورا الى خيولهم يمتطونهاويولونعلىظهورها الادبار • وقد ادركوا ان السيطرة التي لا تستمد قوتها من

الايمان بالوطنية والعمل لمصلحة الشعب قريبة الزوال والانهيار .

المفاوضون في مركز القيادة :

وارسل الجنرال الانكليزي بعض ضباطه يطلبون من الشيخ العودة الى مكان الاجتماع لمتابعة البحث والمفاوضة . فرفض الشيخ ذلك رفضا باتا ، وطلب القائد الانكليزي ان يسمح له الشيخ بزيارته في بيته ، فقبل الشيخ على ألا يصحب الضابط البريطاني احد من الضباط الفرنسيين .

واستقبل الشيخ الجنرال الانكليزي في بيته بالرستن وألح الجنرال على ضرورة استئناف المفاوضات . ووعد بأن الحكومة الانكليزية ستعمل كل ما بوسعها لاجابة مطالب الشيخ ،وتحقيق آماله ، وآمال المجاهدين ، بالوحدة والاستقلال .

وقبل الشيخ العودة الى المفاوضات على هذا الاساس :

١ ــ اطلاق سراح جميع الاسرى ، واعادة المجاهدين الذين تفتهم القوات الفرنسية الى بعض الجزر النائية .

٢ ــ اعادة جميع المنهوبات الى اصحابها .

٣ ــ تسليم الضباط والجنود الفرنسيين الذين ارتكبوا أعمالا منكرة مخالفة للقانون الدولي لتحاكمهم محكمة الثورة .

وقفل الجنرال الانكليزي عائدا وفي حقيبته هذه الشروط الثلاثة . وفي اليوم الثاني وصل الى الشيخ كتاب من القائد الانكليزي يعلن موافقة القائد الفرنسي على الشرطين الاولين ،

ورفضه للشرط الثالث • ويعلن القائد البريطـاني في كتابه ان الجانب الفرنسي قد تعهد بمحاكمة هؤلاء الضباط والجنـود الفرنسيين أمام المحاكم العسكرية الفرنسية ، ومعاقبتهم اذا ثبت سوء تصرفهم ، ومخالفتهم للاصول المعروفة في الثورات والحروب باقترافهم جرائم منكرة ضد الاهلين العزل الآمنين والاسرى •

واستؤنفت المفاوضات • وكان الشيخ على اتصال وثيق بممثلي الملك فيصل في قيادة الثورة ، وعلى تفاهم تام حول جميع النقاط التي كانت مدار البحث •

ووافق الفرنسيون على الجلاء عن الجبل كله ، والموافقة على ضمه الى حكومة الشام • على ان تبقى القوات الفرنسية في الساحل • ويحدد مدى سيطرتها في شرقي المدن المحاذية للجبل بعشرة كيلو مترات على امتداد طول الساحل من النهر الكبير جنوبا ، الـى الحدود التركية شمالا •

ورفض الشيخ هذا العرض ، واصر على الجلاء الكامل عـن الساحل والجبل • واحتدم النقاش بضعة أيام حول هذه النقطـة دون جدوى ، وبقي كل فريق متشبثا برأيه ، متمسكا به •

وتقدم الانكليز باقتراح اعتبروه بمثابة حل وسط ، وهـو ان يتبع الساحل الادارة المدنية للحكومة الفيصليـة ، ويسمح للقوات الفرنسية بالتمركز في الاماكن التي تراها مناسبة لتأمـين اتصالها بقواتها في تركيا ولبنان •

ورفض الشيخ هذا العرض الجديد من الجانب البريطاني ، واعلن انهاء المفاوضات •

وبعد يومين من اعلانه هذا جاءه كتاب من الجنرال الانكليزي بقبول مبدأ الجلاء عن الساحل السوري ، والموافقة على ضمه الى الشام •

وعاد الشيخ للتفاوض على هذا الاساس ، حيث تم الاتفاق على الشروط الآتية :

١ ــ الموافقة على ضم الساحل السوري والجبل العلوي الى دمشق •

٢ ــ ان تجلو القوات الفرنسية خلال ستة اشهر •

٣ ــ يسمح للقوافل الفرنسية بالمرور في الساحل السوري لنقل المؤن الى القوات الفرنسية في كيليكيا ، على ألا تكون مخفورة بجنود فرنسيين ولا يسمح لها بالتوقف في الاراضي الساحلية الا الوقت الذي تتطلبه الراحة لا أكثر •

٤ ــ اطلاق سراح جميع الاسرى من الطرفين •

٥ ــ دفع تعويضات عن الاضرار التي ألحقها الجيش الفرنسي في القرى التي أحرقها ، وهدمها • وتشكيل لجان لتقدير هذه الاضرار من الطرفين •

٦ ــ يسمح للبعثات الفرنسية الثقافية بمزاولة نشاطها الثقافي البحت تحت اشراف السلطات الوطنية •

٧ ـ تعلن الهدنة فورا • ويتوقف الفريقان عن اطلاق النار كليا •

ووافق القائد بصورة مبدئية ، على هذه الشروط • وتم الاتفاق على تبادل وثائق الاتفاق متى تمت موافقة القيادة الفرنسية عليها على ان ينفذ البند السابع المتعلق باعلان الهدنة فورا •

اعلان الهدنة :

واعلنت الهدنة • وكان لاعلانها ضجة فرح في سائر انحاء الجبل ، لما تحمله من بشائر الفوز ، والظفر بالاماني القومية المرجوة • وتفرقوا هانئين مغتبطين • واقيمت معالم الزينة في كل مكان • واجتمع الناس زرافات ووحدانا ، يرقصون ويهزجون ، ويهنىء بعضهم بعضا • والعلم السوري يخفق على رؤوس الروابي ، وعلى بيوت المجاهدين •ويرفرف مزهوا في سماء الجبل العلوي كله •

وعكف المجاهدون على بيوتهم يرقمونها،وجراحاتهم يضمدونها، وأحوالهم يصلحونها ، واعمالهم ينظمونها ، وهم في مأمن من جور الليالي وتقلبات الايام •

وكان الشيخ في عرينه يستقبل وفود المهنئين • يهرعون اليه من كل حدب وصوب ، تحدوهم رغبة ملحة في رؤية شيخهم ، والتبرك بطلعته الميمونة المهيبة •

وسافر الى دمشق مبعوثو فيصل ، ومعهم رسول من لدن الشيخ ، يزفون اليه البشرى ، ويطلعونه على نتائج المفاوضات • ويحملون اليه صورة عن الاتفاقية التي عقدت مع الفرنسيين •

واستقبل الملك فيصل هذا الخبر بالرضى والغبطة • وحمد الله على تحقيق الامل المنشود بفضل السيوف العربية ، والدماء الزكية التي اريقت من المجاهدين في الجبل الاشم •

وغمرت دمشق والمدن السورية موجة من الفرح والسرور •

تقدير الاضرار :

وطافت على أثر اعلان الهدنة لجان من المجاهدين ، والانكليز، والفرنسيين ، في الاماكن التي أصيبت باضرار جسيمة من القوى الفرنسية الغاشمة • وكانت هذه اللجان تصطحب معها الخبراء في كل قرية كبيرة أو صغيرة • وتحتفظ بوسائلها الخاصة ، بالوثائق التي تثبت الاضرار ، وتقدرها في سائر مناطق الثورة •

وقد حرصت هذه اللجنة على ألا تترك شاردة ولا واردة الا وتحصيها ، وألا تبخس أحدا من القرويين المتضررين حقه • وان تعوضهم عما لحق بهم من اضرار •

وقد هال اللجنة ما رأته من آثار التهديم والتخريب الذي كانت تبدو آثاره جلية واضحة لا تقبل الشك ، ولا الجدل • وهالهم آثار الفقر الذي خيّم على أهالي تلك القرى الذين كانت بيوتهم مخربة ، واشجارهم مقطعة ، وقد حلّ في أرضهم الخراب والدمار ، وقد فقدوا مؤونتهم ، وماشيتهم ، وأثاث بيوتهم كله •

وارتفعت الارقام شيئا فشيئا حتى بلغت الملايين ، مما جعل الاعضاء الفرنسيين في اللجنة يضطربون ، ويظهرون استياءهم ،

وعدم موافقتهم على دفع هذه المبالغ الطائلة . ولكن الاعضاء الانكليز ، كانوا يتعهدون بحمل الجانب الفرنسي في القيادة العليا على الموافقة على التعويض على المتضررين تنفيذا للاتفاقية المعقودة بين الطرفين .

حيل الانكليز :

ولا بد من اعطاء القارىء صورة مختصرة عن العقلية الانكليزية ، وحب التآمر والمناورة الذي يهيمن عليها .

فقد كان الضباط الانكليز ابان المفاوضات يقفون دائما الى جانب الفرنسيين ، مهددين متوعدين أنه لا يمكنهم الا التدخل اذا لم يقبل الشيخ بالموافقة على وضع حد للقتال . لانه يهمهم أمر الاستقرار والامن في هذا الجزء من العالم .

وكانوا بعد ذلك يذهبون لمقابلة الشيخ في بيته بقصد اقناعه بقبول مطالب الفرنسيين .. وحينما يختلون به يظهرون رغبتهم التامة في مساعدته ومؤازرته . ويعتذرون لان ظروفهم السياسية تقضي عليهم أن يتظاهروا بمؤازرة حلفائهم الفرنسيين . وكانوا يقدمون للشيخ بعض المعلومات المفيدة كبرهان على حسن نواياهم نحوه ، ونحو ثورته التي يؤيدونها ويدعمونها .

وحينما يجتمع الشيخ في اليوم الثاني ، تتكرر نفس التمثيلية : مؤازرة الانكليز للفرنسيين في المفاوضات ، ثم اختلاؤهم بالشيخ بعد ذلك لاقناعه بصدق نواياهم نحوه ... وهكذا دواليك طوال أيام المفاوضات ...

وكان الضباط الانكليز يتجولون بين المجاهدين ، يقدمون لهم بعض الهدايا الرمزية ، كدليل على تأييدهم ومساندتهم • ويشجعونهم على الاستمرار بالكفاح حتى يجلو الفرنسيون عن الساحل والجبل •

وهكذا كانوا يمثلون في تلك المفاوضات دورين متناقضين •

انها العقلية الانكليزية • لم تتبدل ولم تتغير • انه خلق الثعلب المخادع الماكر •

من العابث بحرمة الهدنة ؟

هذا سؤال دقيق أترك الجواب عليه للقارىء الكريم ، بعد أن أسرد له الوقائع بدقة وأمانة •

كان القائد الفرنسي قد اتخذ له مقرا دائما في قرية « عقر زيتي » • وقد ظهرت منه تهجمات بذيئة على كرامة الدين الاسلامي أثارت الشيخ ، واستفزته ، واستحثته على الانتقام • فأرسل انذارا شديد اللهجة الى ذلك القائد المتهجم على كرامة الدين الحنيف • وحمل الانذار مجاهد كريم يدعى « حسن ابو النصر » • فأمر القائد الفرنسي باعدامه فورا • فأعدم رميا بالرصاص ، دون موجب ، الا لانه يحمل رسالة من الشيخ تتضمن انذارا •••

وغضب الشيخ لهذا الحادث غضبا شديدا • واعتبره تحديا لكرامته ، وكرامة الثورة ، وكرامة الدين • كما أنه خرق صريح لشروط الهدنة ، والاعراف الدولية والانسانية • لذلك أرسل

جماعة من المجاهدين كمنت للقائد الفرنسي عند نهر « الحصين » ، شمالي شرقي طرطوس . وكان يمر في ذلك المكان ومعه عشرة جنود يمتطون خيولا . فأطلق عليهم المجاهدون الرصاص فقتلوهم جميعا . وعادوا الى الشيخ يخبرونه . فحمد الله على أنه قد انتقم لكرامة الدين ، ولذلك الدم البريء الطاهر دم الشهيد المرحوم حسن ابو النصر .

والشيخ لا يعتبر هذا العمل من جانبه خرقا لشروط الهدنة... وانما يعتبره عملا مقابلا للعمل الذي بدأه الفرنسيون . والبادي بالشر أظلم . وصدق الله العظيم : ومن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه ان الله لا يحب المعتدين .

وثبت بعدئذ ان الفرنسيين كانوا يبيتون هجوما كبيرا على منطقة الثورة . وانهم كانوا يهتبلون الفرصة للمبادرة به . ولم يكن الهجوم الذي بدأوا به عن طريق « حبسو » بغية الاحاطة بمنطقة الثورة الا دليلا قويا على نيتهم المبيتة تلك .

وبعد هاتين الحادثتين كثرت تحرشات الفرنسيين بالمجاهدين ، وبالآمنين من أبناء القرى العزل من السلاح . وكثرت مناوشاتهم، وعادت الحال العسكرية الى تأزمها ، والافق الى اكمداده . وبدأ الشيخ يستنفر المجاهدين ويستعد لمقابلة الاحداث الرهيبة متمثلا بقوله تعالى : ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار .

استئناف القتال

الهجوم على بانياس :

في ١ تموز ، ١٩٢٠ ، وجهت حامية « قلعة المرقب » كتابا الى الشيخ تخبره فيه أن الفرنسيين يحشدون قواهم حول بانياس ، وان تجمعاتهم ترى بالعين المجردة ، وانه لا يستبعد أن تكون هذه التجمعات تستهدف الهجوم على القلعة واحتلالها ، الامر الذي ان تمّ فانه يؤمن للفرنسيين مواصلاتهم على الساحل . ويسهل لهم تجريد حملة كبيرة على طوله بغية الهجوم على معاقل الثوار في الجبل . ثم يقترح قائد الحامية أن يهاجم المجاهدون بانياس ، ويعملوا على احتلالها ، للحيلولة بين القيادة الفرنسية وتحقيق ما تريد .

واجتمع الشيخ باركان حربه في الشيخ بدر ، ودرسوا الامر مليا ، ثم قرروا دراسته عن كثب في منطقة القدموس ، وهي احدى نواحي بانياس .

وفي ٣ تموز اجتمع الشيخ بضباطه في القدموس ، وهناك رسموا خطة الهجوم على بانياس ، وبدأوا بها فورا . ومع طلوع الفجر كانت قوى المجاهدين تحيط بها من ثلاث جهات ، وتصلي الثكنات الفرنسية نارا حامية . ودارت معركة عنيفة استمرت الى قرب الظهر ، احتل الثائرون خلالها المدينة ، وأحرقوا السراي وظهرت قطع الاسطول الفرنسي في البحر . فانسحب الفرنسيون من ثكناتهم الى الشاطىء الشمالي للمدينة ، حتى يتسنى للاسطول

تهديمها بمدفعيته • والمجاهدون يلاحقونهم بنيران رشاشاتهم وبنادقهم ، ويوقعون بهم أفدح الخسائر •

وقد اضطر المجاهدون للانسحاب من المدينة ، بعد أن بدأ الاسطول يصب عليها نيران مدافعه بوحشية وهمجية • واستولوا قبل انسحابهم على كل المؤن والأسلحة والذخائر في الثكنات العسكرية •

وقد ساهم المرحوم اسماعيل جنيد ، باحتلال بانياس ، مساهمة فعالة مجدية • واشترك فيها بنفسه الى جانب الشيخ • واستشهد في معركة بانياس المجاهد سليمان المعلم من قرية الحصان ، يرحمه الله •

احتلال الفرنسيين الشام

وفي غمرة الانباء الموجعة عن انتقاض الفرنسيين على الهدنة ، ونكولهم عن تنفيذها ، وردت أنباء اخرى ، أشد ايجاعا وايلاما ، عن احتلال الفرنسيين الشام ، ومتابعة تقدمهم نحو المدن الكبرى لاحتلالها • وان الملك فيصل قد رحل عن سورية الى مكان مجهول في ٢٤ تموز •

وسقط هذا الخبر المرعب على المجاهدين سقوط الصاعقة •• فاضطربت له النفوس ، وذهلت العقول • وشعر الجميع انهم أصبحوا يحاربون بلا أمل •

واغتنمها الهدامون والمتقاعسون والانهزاميون فرصة لنشر

فكرة التسليم بين أوساط المجاهدين ، وخلق جو من البلبلة والذعر والتشويش •

وارتفعت بعض الاصوات تطالب بالتسليم للفرنسيين ، والقاء السلاح مختارين ، قبل أن يضطروا عليه مجبرين • واقر هذه الفكرة قليلون ، ورفضها كثيرون •

وكان جواب الشيخ على ذلك أن حمل بندقيته ، وصاح بأعلى صوته : « من أراد الدفاع عن الوطن فليتبعني ، ومن أرادالالتحاق بالاجنبي ، واذنابه ، فليذهب مع الشيطان • انني لن أترك السلاح حتى يستقل هذا الوطن أو أموت » •

وخمدت فكرة الاستسلام ، ووئدت • وحل محلها شعور النقمة ، وأخذ الثأر ، والانتصار للوطن الجريح •

واختلى الشيخ بضباطه ، وأطلعهم على حراجة الموقف الذي وصلوا اليه • وكيف ان الامدادات ستقطع عنهم ، وان احتلال حمص وحماه سيحول بينهم وبين الحصول على ما يعوزهم من سلاح وحاجيات • وقلبوا الامر على جميع وجوهه فوجدوا أنه لا بد من الاقتصاد ما أمكن باستعمال الذخيرة ، حتى يستطيعوا الاستمرار بالمقاومة ومتابعة الكفاح حتى النهاية • واصدر الشيخ تعليمات بهذا الصدد الى المجاهدين كافة • وحذرهم من اطلاق عيار واحد ، الا في معركة ، أو عندما تمس الحاجة •

وأوفدت الرسل الى سائر المدن السورية تستحث الهمم ،

وتطلب من المواطنين النجدات والمعونات • وقيل للمواطنين ان الثورة لا يمكن أن تستمر الا اذا استمرت تغذيتها من الخارج • لان امكانياتها الداخلية لا تستطيع النهوض بأعبائها وتبعاتها •

ولقي ذلك النداء آذانا صاغية ، وحماسة بالغة ، عند أصحاب الشعور الحي ، والمبادىء القويمة •

وكانت حماه أول من استجاب لصرخةالثوار ، وفتحت لمعونتهم الجيوب والصناديق •

دسائس بعض المتزعمين :

وعقب احتلال الشام أراد الفرنسيــون أن يستغلوا أنانيــة بعض المتزعمين من العلويين ، وغير العلويين • وهم دائما ، مــع الاسف الشديد ، مطايا ذلل للراكبين !

نقول أنانية « البعض » ، ولا نقول الجميع ، لان بين الزعماء العلويين ناسا كراما ، يحتفظ لهم تاريخ الثورة بأحسن الذكريات ، وأنصع الصفحات •

وقد أغري اولئك المتزعمون الناشزون بالوظائف ، وقضــاء المصالح ، وتثبيت « الزعامة » ، وبذل المال • وطلب اليهم التدخل مع الثائرين للانفضاض من حول الشيخ ، حتى يسهل اقتناصه ، والتغلب عليه •

واتخذ اولئك المريدون من احتلال الشام طريقامعبدة لدعايتهم الخبيثة ، ودسائسهم المخجلة ! ووسيلة لمحاولة الاقناع والافحام •

ولكنهم باؤوا بفشل مريع • وتحطمت دعاياتهم ودسائسهم على صخرة اليقين والايمان • وذهبت صرخات اولئك المتزعمين وكتاباتهم أدراج الرياح • وضاعت وسط زمجرة المجاهدين ، وتصميمهم على متابعة النضال •

وقد أثبت اولئك المتزعمون للناس انهم غير جديرين بالطاعة ، كما أثبت الناس لهم أنهم غير جديرين بالاحترام •

وبقي الثائرون على ولائهم لقائدهم الشيخ ، وهم أكثر ما يكونون رجولة ، وبطولة ، وحماسة •

هجوم رسَّاك :

كان أول هجوم قام به الفرنسيون بعد احتلال الشام ، هجوم الكابتين « رسالك » على الشيخ بدر ، من الجهة الجنوبية عن طريق صافيتا •

وفوجىء اهالي قرية « المريقب » المقابلة للشيخ بدر والرستن ، والتي لا تبعد عن كليهما ، الا بضعة كيلو مترات ، بقنابل المدفعية تصب عليهم من جبل القليعات وهو جبل شاهق منيع ، يفصله عن جبل المريقب واد سحيق ، عميق الغور ، لا يستطيع المارة عبوره الا بصعوبة كبيرة ، نظرا لارتفاعه ، وكثرة غاباته وصخوره •

وكان رساك وكتيبته قد نصبوا مدفعيتهم على رأس جبل القليعات ، وبدأت تقذف حممها المسعورة ، على قرية المريقب ، ومعاقل الثوار حول الشيخ بدر والرستن •

ولم يكن المجاهدون يحسبون حسابا لهذا الهجوم من هذه الجهة ، نظرا لمناعة جبل القليعات ، وعلوه ، ونظرا للوادي السحيق الطويل الذي يفصله عن قضاء صافيتا .

وكان العقيد سليم صالح آنئذ في تلك الجهة وليس معه الا أربعة من المجاهدين وهم : احمد الحسن ، وسليم شاويش ، وعبود وسوف ، وعلي سليم . فهبطوا من جبل المريقب تحت وابل من رصاص العدو ، ونيران مدفعيته . ولما وصلوا الى أسفله اجتازوا النهر بسهولة ويسر ، وتسلقوا جبل « القليعات » وقد غدوا في مأمن من قنابل العدو ، نظرا لوعورة الجبل وعلوه ، والاشجار الكثيفة المكتظة فيه .

وفوجىء رساك وجنوده برصاص المجاهدين ينهال عليهم من الوراء .. فذعروا واضطربوا ، ولم يكونوا يحسبون حسابا لهذه المفاجأة . وسقط بينهم عدد من القتلى . وكان المجاهدون يختبئون وسط الادغال وبين الصخور وهم يطلقون النار . واسرع رساك وجنوده بالهرب ، وقد خلفوا وراءهم مدفعيتهم بعد أن عطلوها ، وكل الذخيرة التي كانت معهم . وعادوا أدراجهم باتجاه صافيتا . ولحقهم المجاهدون الى قرية « جورة الجواميس » ، ثم تبعوهم الى قرب صافيتا . والكابتين رساك يحسب أن وراءه مئات المجاهدين ، وليس وراءه الا اولئك الخمسة الاشاوس .

وقد قتل أكثر من نصف جنود تلك الكتيبة .

وهذه المعركة وحدها دليل قوي على بطـولة المجاهـدين ، ورجولتهم ، وشجاعتهم وبسالتهم •

المجاهدون يحتلون دريكيش :

واغتنم الشيخ فرصة اندحار رساك وكتيبته ، وكانوا يتخذون من بلدة دريكيش مركزا للاغارة على الثوار من الخلف ، ولقطع المواصلات بينهم ، وبين صافيتا ، فوجه حملةلاحتلال بلدةدريكيش بقيادة العقداء : سليم صالح ، وجابر الحطانية ، واسبر زغيبي ــ الذي كان من ألمع المجاهدين ، واشدهم بطولة واقداما ــ فاحتلوا السراي ، واسروا حاميتها ، واستولوا على الاسلحة التي كانت تدخر فيها • وعزموا على الفتك ببعض اعداء الثورة ، والمناوئين لها ، لولا تدخل الزعيم المعروف انيس العمـر ، الذي استقبـل المجاهدين أحسن استقبال ، وقدم لهم الزاد الكافي طوال اقامتهم في بلدته ، بالاشتراك مع ابن عمه رشاد العمر ، ووجوه آل شمسين الكرام[1] •

ونقم الفرنسيون بعدئذ على المرحوم انيس العمر • وتعقبوا نجله الاكبر محمد الانيس ، ولو قيض لهم أن يقبضوا عليهحينذاك لذكر اسمه بين الشهداء •

---

(١) آل شمسين من أقدم الاسر العلوية . وأكثر الاوقـاف الخيرية في الاقضية الجنوبية من الجبل وقفها آل شمسين من أملاكهم لاعمال البر والاحسان . وأكثر هذه الاملاك قد أصبحت بعدئذ ملكيات خاصة .

واتنقموا منه فيما بعد فشجعوا « الغير » على اغتصاب املاكه، واملاك اقربائه كما يعرف الناس في محيطه .

هجوم غورو من الشرق :

بعد الانكسارات المتوالية التي مني بها الجيش الفرنسي في معارك السوده ، وفي هجوم « بولونجي » والتي لاقى منها الامرين، واصيب بخسائر فادحة ، وتضحيات جسيمة . وبعد الانهزامات المتكررة ، وما جرت عليه ، وعلى حكومته وبلاده ، من سمعة سيئة ، رأت القيادة الفرنسية ان يشرف الجنرال غورو بنفسه على الحملات الحربية في بلاد العلويين .

ونحن اذ نقول « العمليات الحربية » ، فاننا نستقي هذا التعبير الضخم للثورة من البلاغات الفرنسية نفسها التي كانت تشير بصراحة الى عنف الثورة ، وقوتها ، وكثرة ضحاياها .

ورأى الجنرال غورو بخبرته العسكرية ، ومناوراته المعروفة ، أن يهجم على معاقل الثوار من الشرق ، بعد أن أعيا جيوشه التقدم من الغرب ، حيث يضع الثائرين بين فكي الوحش ، او دائرتي الرحى . وبنجاح هذه الخطة تتم عملية تطويق الثوار ، ويقضي على الثورة .

وبعد ان احتلت الجيوش الفرنسية « حماه » ، انحدرت الى مصياف ـ التي كانت تابعة لها فاحتلتها ، وتمركزت فيها . وبعد ان أتمت استعدادها وتأهبها بادرت بالهجوم على

الجبل فاحتلت المرتفعات القريبة من مصياف ، والمعروفة باسم « جبال القماقم » وهي مرتفعات منيعة جدا ، وتشكل سلسلة من الجبال الشاهقة متصل بعضها ببعض ، وهي مكسوة بغابات كثيفة تحجب فرقا كاملة عن العيان ، ولم يكن ثمة أمكنة للهجوم على مواقع الثوار من الشرق ، الا من تلك المواقع •

وكان هجوم غورو ، هذا في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٢٠ •

تطويق جيش غورو :

وما ان بلغ الشيخ أنباء هذه الحملة من الشرق ، وكيف تم هجومها الصاعق بسرعة لم تكن منتظرة ، ولا مترقبة ، حتى اهتم لها اهتماما كبيرا • واجتمع باركان حربه ، وقرروا مداهمة هذه القوة قبل ان تتوغل في الجبل كثيرا • وجمع المجاهدين ، ونسقهم، ونظم صفوفهم ، وابقى قوة كافية في المناطق الامامية التي قد تتعرض لهجوم العدو ايضا ، وسير عدة كتائب مسلحة تسليحا كافيا الى الشرق وفق خطة مرسومة ، وترتيب محكم ، وكان هدفهم تطويق الجيش الزاحف وبعثرته ، كما حصل لبولونجي وجيشه الضخم •

وبالنظر لمعرفة السكان بطبيعة ارضهم ، ومسالك جبالها ، وتشعب طرقها ، فقد بدأوا بتنفيذ خطتهم بمهارة فائقة ، وسرعة مدهشة • ولما كانت طبيعة الارض هناك لا تمكن الجيش الفرنسي من التساند والانسجام ، وكان من المستحيل تسيير

كتائبه في سبيل واحد ، فقد كان مضطرا لان يجعل زحفه وسط جبال عديدة ، وأودية كثيرة . وهذا ما سهل لقيادة الثـورة أن تهاجم مؤخرة الجيش قبل ان تعرف المقدمة عن ذلك شيئا . فقد كانت قيادة الجيش الفرنسي مطمئنة الى ان مؤخرتها مصونة ، ولا خطر عليها . لان مراكز الثوار من أمامها ، ولا قوى لهم في نواحي مصياف . ولهذا كان اهتمامها منصبا على ترقب الثائرين من الامام . ولم يكن يدور بخلدها ان تنقل الثوار سيتم بهذه السهولة ، وهذه السرعة .

وكمنت بعض كتائب الثائرين في أحد الاودية حيث استطاعت ان تعزل مقدمة الجيش الفرنسي عن مؤخرته . ونشب قتـال عنيف بين الثوار والكتائب الفرنسية التي عزلت عن المقدمة ، فاضطرت الى الرجوع القهقرى الى مصياف . والمجاهدون يصطادون أفرادها كما يصطاد الصائد الماهر سربا من العصافير . وكان الفرنسيـون المتقهقرون في حال من الذعر والفوضى .

ووصلت كتائب الفرنسيين الامامية الى قرية عين « قضيب » الكائنة شرقي القدموس . وهناك تصدى لها المجاهدون المرابطون في تلك الناحية بعد ان جاءتهم امدادات كثيرة من مختلف مناطق الثورة ، ولحقت بها الكتائب التي استطاعت ان تعزل بعض فرق الفرنسيين عن بعضها ، واضطرت ما بقي منها للارتداد نحو مصياف كما ذكرنا . وهكذا اكمل الحصار على الجيش الفرنسي الزاحف

حول عين قضيب ، واطبق عليه الثوار من جميع الجهات • ولما لم يكن في تلك البقعة ينابيع ماء فقد برح العطش بأفراده حتى وصلوا الى حال شديدة من الاعياء ، وانهارت قواهم ، واصبحوا في حال انحلال ظاهرة • وبعد بضعة ايام من عملية التطويق وصلت للفرنسيين امدادات كثيرة عن طريق مصياف ، تتقدمها فرقة للمصفحات • وكانت الطائرات الفرنسية تجوس حول المناطق التي حصر بها الجيش ، وتدل القوات القادمة لنجدته الى المكان • واضطر الثوار الذين يرابطون شرقي الحملة المحاصرة الى الانكفاء شمالا حتى لا يقعوا في الشباك •

وهكذا امكن الجيش الفرنسي انقاذ البقية الباقية من تلك الكتائب التي أشرفت على الهلاك • وقد شوهد اكثر افرادها يحملون على نقالات وراحلات ، وهم في حال من الاعياء والعطش شديد •

المؤامرة على حياة الشيخ :

وبينما كانت المعركة حول « عين قضيب » في ابان احتدامها وشدتها ، اذا باحد الرجال المنخرطين في صفوف الثورة يقترب من الشيخ ويطلق في الجو خمس طلقات نارية ، ثم يبتعد عن المكان بسرعة • وقد لفتت هذه الحركة الغريبة احد حراس الشيخ وهو « سليم شاويش » خادمه الامين • فأسرع الى الشيخ ينبئه بما رأى ، ويبثه هواجسه ومخاوفه من هذه الحركة المريبة التي تنم عن

مؤامرة جديدة على حيـاة قائد الثورة ، وملهمها ، وبطلهـا ، ورمزها • وقد اختير للقيام بها احد الثائرين ، الذين انتظموا في صفوف الثورة للتجسس والتشويش ، والدس !

وانتقل الشيخ فورا من ذلك المكان ••• وهو يراقب ما حوله بحذر • وما هي الا لحظات حتى بدأت قنابل المدفعية والطائرات تتساقط بكثرة مذهلة على ذلك المكان الذي اطلق منه الجاسوس رصاصاته الخمس • واصيب احد حراس الشيخ ويدعى سليم زينه باحدى عشرة طلقة ، اخترق اكثرها جسده ، وظل يعالج منها بضعة اشهر حتى شفي تماما •

وعرف بعد ذلك ان الجاسوس الذي اطلق الرصاصات الخمس كان على اتفاق مع الفرنسيين على هديهم الى مقر الشيخ بهـذه الوسيلة •

ولهذا الجاسوس الذي يدعى ي • من قرية بريصين عـدة حوادث بالتجسس ، والتآمر على حياة الشيخ • وقد أبطلها الله جميعا ، واوقع صاحبها بالخيبة والفشل • وصدق الله العظيـم : « ولا يحيق المكر السيء الا بأهله » •

ولقد أقصي ذلك الجاسوس بعد تلك الحادثة من صفوف الثوار • وفرضت عليه اقامة جبرية في بيته ، وحذر عليه من الخروج من قريته تحت طائلة الموت •

حصار مصياف :

ادرك الشيخ ، وأركان حربه ، ان احتلال الفرنسيين مصياف ،

وابقائها في قبضة أيديهم يشكل خطرا مباشرا على الثورة،ويعرضهم لاعادة الهجوم من الشرق ، والهجوم من الغرب منتظر في كل لحظة. فيصبح المجاهدون في هذه الحالة بين نارين ، ويتعرضون لاخطار تطعن قواهم في الصميم .

لذلك قرروا مهاجمة مصياف ، واحتلال الجبال المشرفة عليها وبهذا يسهل الدفاع عن الجبل العلوي من الشرق ، ما دامت المرتفعات الحصينة بأيدي الثائرين .

وفي منتصف كانون الاول ، ١٩٢٠ ، شن المجاهدون غارة كبرى على مصياف ، وأحاطوا بها من جهاتها الاربع ، احاطة السوار بالمعصم وضيقوا عليها الخناق . وقد استبسلت حاميتها ، واستماتت بالدفاع عنها وكانت رحى المعركة تدور حول السور الذي يحيط بالمدينة . حتى ان المجاهدين كانوا ينادون الاهلين ويطلبون منهم مساعدة الثورة ، حتى لا يتعرضوا للايذاء والانتقام وكانوا يطلبون ايضا من الجنود ان يسلموا انفسهم . ولكن المدافعين استماتوا بالدفاع ، مثلما استمات المهاجمون بالهجوم .

وكان ذلك الحصار من اشد معارك الثورة بسالة وصلابة واستماتة من الفئتين .

ولولا مناعة القلعة واشرافها المباشر على المدينة وما يحيط بها ، وكثرة الجنود المحاصرين فيها ، ووفرة ما لديهم من السلاح والذخيرة ، لما صمدت مصياف اكثر من ساعات قليلة .

ودام الحصار بضعة عشر يوما ، انقطعت فيها وسائل النجاة عن المحاصرين . ومع ذلك فما فتئوا يقاومون بضراوة وعناد، ويناضلون . بشراسة وثبات .

وفي أبان احتدام معركة الحصار ، واشتدادها ،ظهرت في الافق البعيد طلائع جيش لجب آت عن طريق حماه ، لنجدة المحاصرين . فاضطر المجاهدون للتراجع ، واتخذوا لهم مواقع في الجبال المطلة على المدينة من الناحية الغربية .

وقد استشهد في هذه المعركة عدد من المجاهدين . وكانت خسائرهم جسيمة في المعدات والارواح .

الشيخ يعيد المنهوبات لاصحابها :

وكان الشيخ يعرف تمام المعرفة أن لحمة الثورة وسداها هي في تنظيمها الداخلي ، وعطف الاهلين عليها ، وفي استقامة الثائرين وامتناعهم عن القيام بأي عمل من شأنه الاخلال بسمعة الثورة ، وكرامتها ، فقد كان يراقب اعمالهم بدقة ، ويبث العيون والارصاد هنا وهناك ، لمعرفة مايجري بالخفاء من اعمال تتنافى مع الشرع والاصول ، والاطلاع على كل شاردة وواردة منها . وقد بلغه ان بعض الانانيين المنخرطين في صفوف الثورة بقصد الاساءة والتخريب ، يعمدون الى نهب القرى ، وسلب الاموال ، وقطع الطرقات ! وانهم يستغلون اسم الثورة ويحملون شعاراتها ، ويقدمون على أعمال مخجلة تتنافى مع مثاليتها ، وغايتها ، واهدافها .

وارسل عبد الكريم الرستم صاحب قرية « الصقيلبية » يشكو الى الشيخ ما حل بقريته على ايدي بعض الثائرين • وكيف انهم نهبوا كل ما فيها من ماشية ، ومؤونة ، وأثاث بيوت •

وغضب الشيخ •وذهب بنفسه الى تلك القرية الكائنة في منطقة مصياف ، على مقربة من حماه ، مستهدفا بذلك لاشد الاخطار • ولكن حرصه على سمعة الثورة ، ومثاليتها قد دفعه لذلك • ولم يعد من سفرته هذه التي استمرت شهرا ونيفا ، الا بعد أن أعاد كل المنهوبات الى أصحابها ، وعاقب المسيئين والمجرمين •

وقد تخلى الشيخ عن الجبهة الغربية في سبيل المحافظة على سمعة الثورة ، والحؤول دون استغلال العناصر الداسة الخبيثة لها • ولكي يقطع دابر الخيانة والاجرام ، ويعيد الامن والنظام الى صفوف الثورة •

الفرنسيون يغتنمون الفرصة :

وقد اغتنم الفرنسيون فرصة غياب الشيخ في جهات مصياف ، ومعه أكثر المجاهدين ، وخيرة العقداء ، وقد أخليت الساحة في الشيخ بدر ، الا من أفراد قلائل كانوا يرابطون لحماية الثغور • وكان أكثر المجاهدين يتبعون قائدهم ، أنى اتجه ويسيرون خلفه أنى سار • مع ان الشيخ كان يأمر المجاهدين بحزم واصرار ألا يتخلوا عن أماكنهم في حماية الثغور • وكان أبان حصار مصياف يرسل التعليمات باستمرار منذرا المرابطين في الثغور بألا يتخلوا عن

مراكزهم في حمايتها ، لا ليلا ولا نهارا •

و •• اغتنم الفرنسيون فرصة غياب الشيخ في منطقة مصياف، ومعه أكثر المجاهدين ، فحزموا امرهم على توجيه ضربة قاصمة الى عرين الثورة ، ومركز قوتها الشيخ بدر •

وثبت فيما بعد ان الهجوم الكبير الذي شنه الجنرال غورو من الشرق ، لم يكن الا تغطية وتمهيدا للهجوم الذي كان يعده من الغرب ، لان طبيعة الارض من هذه الجهة ، وسهولة المواصلات فيها ، أيسر من الجهة الاخرى : الشرق •

وثبت أيضا ان الغاية من الهجوم الذي جرى عن طريق مصياف كان لتحويل انظار قادة الثورة الى تلك الجهات ، وان يضطرها لسحب اكثر المجاهدين الى هذه الجهة • وبذلك تتوزع قوى الثوار ، وتخلو الساحة للجيوش المهاجمة من الغرب •

وقد نجحت هذه المناورة الجهنمية أيما نجاح •

وكان لتراخي بعض المجاهدين في حماية الثغور • وعودة بعضهم الى قراهم لحراثة الارض ، وهم مطمئنون الى ان الحالة لا تبعث على القلق ، لان الفرنسيين قد نقلوا الجبهة الى الشرق بدلا من الغرب ، كان لذلك كله أثر كبير في نجاح الخطة الفرنسية المحكمة ، وانهيار جبهة الثوار في الشيخ بدر والمناطق المحيطة بها ، وهي عرين الثورة ، وقاعدتها الاساسية •

الهجوم الكبير على الشيخ بدر :

وفيما كان المجاهدون منهمكين في المعارك التي خاضوها،والتي كانوا يتهيأون لخوضهافي مصياف وضواحيها، وكان الشيخ مهتما بالاشراف على تسيير هذه المعارك ، ورد المنهوبات الى أصحابها ، اذا بالجيوش الفرنسية تتقدم بزحفها الهائل نحو الشيخ بدر في جبهة تنوف على العشرين كيلو مترا • وكانت تتقدم دون ان تجد في طريقها مقاومة تذكر • فالمجاهدون وعلى رأسهم الشيخ كانوا منهمكين في القتال بالقرب من مصياف ، كما بينا آنفا ، والساحة خالية الا من حامية قليلة العدد موزعة هنا وهناك ! وتلك غلطة فادحة لا ريب فيها •

وكان العدو في هجومه الحثيث الى الامام يعتقل كل من يراه في طريقه من الرجال ، حتى العجائز والاطفال • ويفرض عليهم حراسة قوية في القرى • وكان جنوده المتوحشون ينشرون الذعر والرعب في كل مكان •• واحتل الجيش المرتفعات المحيطة بالشيخ بدر • ووزعت جنوده على كل هضبة ومنعطف • واستحالت تلك البقعة الواسعة من الارض الى معسكر مترامي الاطراف يحتشد وراء حواجز منيعة من الصخور والادغال • وكانت الطائرات ما تفتأ تجوس خلال الديار متلصصة مترقبة • وقد اغتنمها الجيش فرصة مواتية للتنكيل والانتقام • فلم يجد امامه الا بعض الابرياء المسالمين • ومع ذلك فانه لم يتورع عن البطش

والفتك والتخريب • وقد احرق قرية « المريقب » ، وسائر القرى المحيطة بها ، وتركها طعاما سائغا للهيب •

موقف الشيخ :

وكان الشيخ يومئذ في قرية « الصقيلبية » حينما وصلته انباء الحملة الفرنسية القوية • وعاد الشيخ مسرعا الى معسكرات المجاهدين بالقرب من مصياف • وكانت انباء جديدة قد وصلت عن احتلال القوات الفرنسية لمنطقة الشيخ بدر كلها دون مقاومة تذكر وروع الشيخ لهذا النبأ القاصم ، وأيقن ان فتح جبهة مصياف لم يكن الا مكيدة مدبرة لسحب قوى الثائرين اليها ، حتى تخلو الساحة للعدو •

واجتمع الشيخ بضباطه لدرس الموقف ، واتخاذ خطة سريعة • وعقد اجتماعا عاما للثائرين الموجودين في ذلك المكان • فوجد من بعضهم تخاذلا بينا ، وتراجعا مخزيا ، حينما علموا أن نساءهم واطفالهم أصبحوا رهائن في ايدي العدو • وانقسم الثائرون على بعضهم • فمنهم من خارت عزيمته ، وقعدت همته ، ومنهم من ازداد حماسة واستبسالا •

وامر الشيخ باقصاء كل من لا يريد متابعة القتال ، عن عقيدة وايمان ، وانسحب هؤلاء جميعا ، لانقاذ نسائهم وأطفالهم عن أي سبيل من أيدي العدو •

وتلفت الشيخ حوله •• فلم يجد الا أشخاصا قلائل يعتد

بهم في الملمات • وقد اعتز بهؤلاء القلائل ، متمثلا بقوله تعالى :
« وكم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة باذن الله » •

رجوع الشعلان :

وكان لتطور الموقف هذا التطور المؤلم أثر كبير في نفس المرحوم « غالب الشعلان » • فقد أيقن انه قضي على الثورة ، وتبخرت الامال التي عقدت عليها ، وتحطمت على صخرة عاتية من الخيبة المريرة • وانه لم يعد بالامكان انقاذ الموقف، ولا اصلاحه واعادته الى ما كان • فخف الى الشيخ يستأذنه بالعودة الى الصحراء •

وفي غمرة خانقة من اليأس والاسى ، ودع واحدهما الآخر •

وعرض الامير الشعلان على الشيخ صالح أن يرافقه الى الصحراء حيث يجد فيها الامن والسلامة ، فاعتذر الشيخ عن قبول هذه الدعوة الكريمة ، وأصر على العودة الى مكان ما في الجبل لمتابعة نضاله، واتمام رسالته • وليفعل الله ما يشاء •

وعاد الشعلان الى صحرائه مع بعض رجاله الاوفياء ، وبقي الشيخ مع بعض رجاله الاوفياء يتأهبون للعودة الى ساح النضال •

حيرة الشيخ :

وقلب الشيخ الامر من جميع وجوهه ، وأجال الطرف يمنة ويسرة ، باحثا عن بيئة صالحة لاستئنافه الثورة ، والهاب جذوة القتال • وتنازعت الشيخ عوامل كثيرة • وساءل نفسه : أين يجب

المضي ؟ واين يجب المكوث ؟ ايبقى في المناطق الجنوبية يشكل العصابات ، ويقض مضاجع الجيش ، ويعمل على تهيئـة وسائل الثورة من جديد ؟ أم يتجه الى الشمال ، وعشيرته في تلك الجهات عزيزة الجانب ، صعبة المنال ؟ أم يعبر الحدود ، الى ماوراءالحدود، حيث ينتظره مستقبل غامض ، ومصير مجهول ؟ أم يعترف بالامر الواقع ، ويقر بهزيمته ، ويستسلم للفرنسيين .

أسئلة لم يجد لها جوابا . وعلامات الاستفهام هذهمرسومة على الافق البعيد . وانظار الشيخ ما تفتأ تتنقل بين هذه العلامات، مستنبطة مستقرئة .

واحترم المجاهدون الباقون معه هذا الصمت ، وهذه الحيرة. وثبتوا أنظارهم في انظاره ، وقد وطدوا العزم على البقاء في ركابه حتى الموت .

الشيخ يتجه الى الشمال :

وبعد لاي قطع الشيخ حبل ذلك الصمت الطويل . وانفرجت شفتاه عن بسمة رضية هانئة . واعلن لمن حوله انه لن يترك الساح للمحتلين . وانه سوف يتم رسالته في الجهاد ، ويتحمل اعباءهـا الى النهاية .

ووقف الشيخ يخاطب جموع المجاهدين ويخبرهم انه لن يلقي السلاح . وانه سيسافر الى الشمال لاشعال نار ثورة دامية تقذف بالاجنبي الى البحر . وقال لهم :

من اراد منكم ان يربط مصيره بمصيري فليتبعني • ومن اراد ان يستنكف فهو حر •

وسار الشيخ متجها الى الشمال وتبعه ثلاثة من المجاهدين وتخلف الباقون على ان يلحقوا به بعد أيام قليلة ، بعد ان يرتبوا أمورهم ، ويهيئوا وسائل أعمالهم ، ويطمئنوا الى سلامة أسرهم وذويهم •

وهكذا انطوت صحيفة من حياة هذا البطل الخالد ، وابتدأت صفحات •

الفرنسيون يعدمون بعض المجاهدين :

واتخذت القيادة الفرنسية مقرا لها في قريتي « القمصية » و « الشيخ بدر » • ثم بدأت تعتقل الزعماء والمشايخ ، ووجهاء القرى • وشكلت مجلسا عرفيا ، وبدأت بمحاكمة المجاهدين •

وراجت سوق الدسائس والوشايات • وكثرت الاتهامات حتى انها لم تترك شخصا الا شملته •

ومن الصعب جدا احصاء جميع الاسماء التي حاكمتهاالمحكمة العسكرية الفرنسية فحكمتها بالسجن المؤبد ، أو بالسجن لمدد طويلة ومختلفة ، مع الاشغال الشاقة ••• فذلك شرح يطول •

ولكن لا بد لنا من ذكر بعض من حكمت عليهم بالاعدام •

علي زاهر ، قرية حمام واصل ، قضاء بانياس •

محمود ضوا ، قرية العصيبة ، قضاء بانياس •

محمود علي اسماعيل ، قرية الحطانية ، قضاء بانياس •
ابو محمد الخلاعي ، أعدم في مدينة حماه •
جميل ماميش ، اللاذقية •
اسبر زغيبي ، قرية قرقفتي ، قضاء بانياس •
جابر محمد ، قرية الحطانية ، قضاء بانياس •
محمد ابراهيم الشيخ ، قرية العنازة ، قضاء بانياس •
خليل الخطيب ، قرية برمانة المشائخ ، قضاء بانياس •
و و و •••• الخ

واعدم الاربعة الاولون فورا ، واستطاع الآخرون الهزيمة والنجاة • ولحق بعضهم بالشيخ الى الشمال ، وكان يخوض حينئذ معركة « فتوح » • وغصت السجون بالمحكومين بالسجن ، فأرسل قسم كبير منهم الى السجون في المدن الداخلية •

وبدأ الجيش الفرنسي بتحصيل الضرائب من القرى المحتلة عن ثلاث سنوات • فكان الاهلون يبيعون ماشيتهم ، وقسما من أراضيهم لتسديد الضرائب الفادحة لاولئك السفاحين • وكان جباة الضرائب يرغمون الفقراء الذين لا توجد عندهم ماشية ، ولا أرض صالحة للبيع ، على تأجير بناتهم لبعض الاثرياء في المدن ، ومن ذلك الوقت نشأت عادة تأجير البنات لفترات طويلة ! ولم تكن معروفة عند العلويين قبل ذلك التاريخ • وهي نوع من الرق ، ووصمة عار في جبين المدنية والحضارة •

واما الزعماء الذين اعتقلهم الفرنسيون ، ومنهم الشيخ علي أحمد ميهوب ، ومحمد آغا اسماعيل ، ونجله الاكبر أنيس ، فقد بقوا رهن الاعتقال والاسـر ما ينوف على السنتـين . والجيش يصطحبهم معه الى المعارك التي كان يخوضها الشيخ في الشمال . وحينما تحتدم هذه المعارك كان يضعهم في طليعة أفواجه الزاحفة. ولكن ذلك لم يضعف من ايمانهم وبأسهم ، بل نماه ، وغـذاه ، وقواه .

الشيخ في الشمال

ووصل الشيخ الى قرية « بشراغي » ، قضاء جبلة ، وكانت أنباء فشل الثورة في الجنوب ، قد ملأت الاسماع ، ووصلت الى سائر أنحاء الجبل . وقد اضطرب لها الناس ، وذعروا . وخيـم على الجبل العلوي كله كآبة وأسى شديدان .

واتنشر خبر وصول الشيخ الى بشراغي . فهرع للقياه كـل سكان القرى المجاورة ، وكل من طرق مسامعه ذلك النبأ ، يتبركون برؤيته ، وينعمون بطيب لقائه . وغمرت تلك الارجاء موجة من البشر والفرح ليس لها حد .

ودوت أخبار وصول الشيخ الى « بشراغي » ، وكان مـن البديهي أن تصل الى الفرنسيين . فأحبوا مبادهته بالهجوم قبل أن يكمل استعداده ، ويتأهب للدفاع . وقد تبين لهم ، من العيون

التي بثوها هنا وهناك ، أن المحاربين الاشداء ما يزالون بمنأى عن الشيخ ، وهم لم يلتحقوا به بعد .

ولم يكن حينئذ بين يدي الشيخ الا النزر القليل من السلاح. وتلك حال مؤسفة لو اردنا الافصاح عنهـا لاسودت وجـوه ، وخزيت نفوس ، ولكننا آلينا على أنفسنا في مستهل هذا الكتاب، ألا نذكر أحـدا من المسيئين ، وأن نكن نؤمن ايمانـا عميقا انه لا يسوغ أن تنطوي هذه الذكريات دون أن يسجل فيها أسماء الخونة المارقين . حتى تنال ما تستحقه وتستأهله من الذم ، مثلمـا نال وينال المخلصون ما يستحقونه ويستأهلونه من المدح.

لمحة خاطفة عن تركيا

بعد أن انتهت الحرب العالمية الاولى احتلت قوى الحلفاء بعض الاقاليم التركية . وكانت كيليكيا من نصيب الفرنسيين ، وهي متاخمة للاراضي السورية . وجمع مصطفى كمال فلول الجنود الاتراك المهزومين وشكل منهم جيشا لجبا ، وبدأ يشن حمـلات عنيفة على القوات اليونانية والفرنسية .

ولما رأى مصطفى كمال أن ثورة عنيفة قد التهبت في جبـال العلويين ضد الفرنسيين ، وان القتال محتدم بين الثائرين بقيادة البطل الشيخ صالح العلي ، وبين القوات الفرنسية المحتلة ، فقد أحب أن يساعد على اذكاء نار هذه الثورة حتى تجمد قسما كبيرا من القوى الفرنسية ، وتشغلها عـن امداد القوى المحاربـة في

الاناضول • والثورات ضد العدو الواحد ، في كل بلاد الدنيا ، يدعم بعضها بعضا ، ويساعد بعضها بعضا •

ولذلك قرر مصطفى كمال مساعدة الثورة ، ومدها بالعون الفني والمادي • ومن يدري ؟ فقد تكون له نوايا أخرى بعد تغلبه على الفرنسيين •

مصطفى كمال يكتب للشيخ صالح :

وقد أرسل مصطفى كمال رسالة الى الشيـــخ صالح العلي حملها أربعة من الضباط الاتراك ، ومعهم بعض قطع السلاح بمثابة هدية من الاتراك للثورة •

وهذا نص الرسالة :

الى حامي الدوحة العلوية • وحافظ الشعائر الاسلاميـــة • والمجاهد في سبيل الله والدين ، ضد الكفـــار المعتدين ، الشيخ الجليل صالح العلي • لا زال مسربلا بالعز والمجد آمين •

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ورضوانه وتحياته ، جلت سبحانه وتعالى صفاته ، وسمت آياته ، وعظمت قدرته ونعمته •

وبعد : أيها الاخ الامجد ، والسيد السند الاوحد ، لقد بلغنا أنكم أشعلتموها حربا ضروسا ، ضد المعتدين الغاشمين ، أعداء الدنيا والدين • وان النصر كان حليفكم ، والتوفيق رائدكـــم • وصدق الله العظيم : « ان تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم » • ونحن نخوض هذه المعمعـــة مثلكم ، ونقابل جحافل الاعـــداء ،

باخوانكم في الله ، ونكبدهم الخسائر الفادحة ، ونجعل أجسادهم طعاما للغربان والحيتان . وصدق الله العظيم : « واقتلوا الكفار حيث ثقفتموهم » .

ولما كانت غايتنا واحدة . وسبيلنا الى الله واحدة . ونحن لا مطمع لنا الا تحرير بلادنا ، واجلاء الغاصبين ، أعداء الدنيا والدين عنها ، فقد رأينا أن تتصل بكم لكي تتعاون معكم ، ويشد بعضنا ازر بعض . وقد قال الله تعالى : « وتعاونوا على البر والتقوى ولا تتعاونوا على الاثم والعدوان » . وليست حربنا عدوانا ، وانما هي لمنع الاعتداء . وقد قال تعالى : « وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة » . وقد أعددنا لهم القوة برضى الله وتوفيقه . وسوف ينالون ما كسبت أيديهم وما اكتسبت . ولا يحيق المكر السيء الا بأهله ، صدق الله العظيم .

واننا أيها الاخ الاوحد ، والسيد السند مستعدون لان نمدكم بكل مساعدة ، ولا نبتغي من وراء ذلك الا مرضاة الله ، ورفع راية الاسلام . ونرجو أن تكون صلاتنا معكم شخصية ، لا علاقة لاحد بها ، داخل بلادكم أو خارجها ، تمسكا بقول سيد الانبياء محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم : « استعينوا على قضاء حوائجكم بالكتمان » . وهذا أوفق وأنجح وأصلح ، وأعم للفائدة المطلوبة والغاية المنشودة .

وقد أوفدنا لكم أربعة من خيرة ضباطنا . وكان سبق لهم أن

حاربوا في بلادكم جيوش الحلفاء المعتدين • وخدم بعضهم فيها مدة طويلة فهم يعرفون طبيعة السكان ، وطبيعة الارض • فنرجو أن يكونوا عند حسن ظنكم وثقتكم ، وأن تستشيروهم بالامور العسكرية لكي يكونوا لكم عونا بخبرتهم وحسن تجاربهم •

واكتبوا لنا عن كل ما تحتاجونه ، وتريدون اطلاعنا عليه • ويجب أن تكون بيننا « كلمة سر » ، زيادة عن المكاتبة ، حتى لا يستطيع جواسيس الاعداء أن يستغلوا مكاتباتنا ولا أن يفشوها أو يفسدوها • وكلمة السر سوف يذكرها لكم مندوبونا لانه لا يجوز ان تكتب على ورق • كما نرجو أن تعتمدوا من قبلكم شخصا أمينا أو أشخاصا أمناء تعطونهم كلمة السر كلما أوفدتموهم الينا • وربما اضطررنا ان نغير هذه الكلمة ونستبدل بها سواها من وقت الى وقت •

اننا ايها المجاهد الكبير في سبيل الله ، والرجل المؤمن الصالح الطاهر لا نبتغي الا مرضاة الله تعالى في حربنا ضد العدو المشترك، وفي اتصالاتنا معكم • والله ينصركم بنصره ، ويؤيدكم بتأييده • وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون • والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته •

من اخيكم بالاسلام

مصطفى كمال

واستقبل الشيخ رسل مصطفى كمال بالترحاب ، واكرم وفادتهم ، وأحسن معاملتهم ، وأنزلهم منزلا طيبا •

الشيخ يخبر فيصل :

ورأى الشيخ أن يكتب الى فيصل ، ويخبره عن رسالة أتاتورك • ويستشيره بأمرها ، دون ان يعرف رسل الاخير شيئا عن ذلك •

وفي صباح اليوم الثاني كان رسول الشيخ الى الملك فيصل يحمل صورة عن رسالة القائد التركي ويتجه بها الى دمشق •

وكان الشيخ يشغل الضباط الاتراك خلال هذه الفترة بحفاوته وترحابه ويتنقل بهم في بعض مناطق الثورة •

وعاد الرسول يحمل رسالة من الملك فيصل الى الشيخ ، وفيها تحبيذ الاتصال مع مصطفى كمال ، وأخذ مساعدات عسكرية منه ، على أن يكون ذلك كله عن طريق دمشق ، وبواسطة الحكومة السورية ، حتى لا يخيل لمصطفى كمال أن الثورة في جبال العلويين تعمل مستقلة عن دمشق •

ووافق الملك على ابقاء الضباط الاتراك في الثورة ، واضافتهم الى اركان حرب الشيخ على أن تخفى عنهم الامور الهامة ، ولا يمكنوا من الاطلاع عليها • مثل معرفة كميات السلاح والذخيرة ، ومصادرها ، وعدد المجاهدين بالضبط ، والجهات التي يتدفقون منها ، ومواقع الاستحكامات الهامة ، وما أشبه •

ولكن الضباط الاتراك كانوا يصرون دائما على معرفة الكثير من هذه الامور ، وكانوا يدونون في ملفاتهم الخاصة كل ما يمكن جمعه منها . ولكن لم يظهر عليهم أي بادرة من بوادر سوء النية ، وسوء القصد ، وانه لمن الانصاف أن نسجل ذلك ، وأن نقرره امانة للحقيقة والتاريخ .

وكتب الشيخ جوابا لمصطفى كمال على رسالته . واراد أن يوفد رسولا خاصا لحمل تلك الرسالة . ولكنه أراد أن يطلع عليها الضباط الاتراك قبل ارسالها .

وكانت الرسالة تحوي عبارات شكر وتقدير ، واستعداد لبذل الجهود اللازمة في رد المعتدين ، وايجاد تعاون مشترك مع المخلصين جميعا من أجل هذه الغاية .

ويذكر الشيخ في رسالته أن الاوفق والاصلح أن يكون اتصال القائد التركي بالحكومة السورية في دمشق ، لان هذه الحكومة هي المسؤولة عن الصلات الخارجية للثورة .

ولما اطلع الضباط الاتراك على رسالة الشيخ تشاوروا فيما بينهم ثم قرروا أن يحملوا هذه الرسالة بأنفسهم الى مصطفى كمال .

ورجع الضباط الاتراك الى تركيا ، على أن يعودوا .

---

(١) مما يؤسف له أن تفقد هذه الرسائل جميعا بعد وفاة الشيخ ، وقد كانت مستندات تاريخيــة ذات أهمية وقيمة بالغة . ولكن أيديا غير حريصة امتــدت اليها ولم تعرف قيمتها فضاعت مع الاسف الشديد . ويحتفظ بعض المجاهدين بصورة عنهـــا .

ولكنهم لم يعودوا . ولم يصل من القائـد التركي أي خبر بعد هذا .

الجيش الفرنسي ينسحب من كيليكيا :

وازدادت الحرب في تركيا عنفا وشدة ، وقوة وحدة . واضطر الجيش الفرنسي للانسحاب من كيليكيا تحت ضغط حاجته المتزايدة للرجال ، وتحت ضغط الهجمات التركية العنيفة عليهم ، بعد أن أصبح الجيش التركي جيشا نظاميا يفوق اعداءه عددا وعدة .

وكانت الحكومة الفرنسية تطلب من فيصل السماح لجيوشها بالانتقال عبر الاراضي السورية بواسطة الخط الحديدي رياق ـ حلب لاعانة القوات الفرنسية المرابطة في تركيا . وكـان مصطفى كمال يطلب من فيصل بالحاح عدم السماح للقوات الفرنسية باستخدام هذا الخط ، حتى لا تستطيع ارسال الامدادات والمعونات للجيش الفرنسي الذي يحارب الجيش التركي . ويتعهد مصطفى كمال بتقديم كل معونة للحكومة السورية في نضالها ضد الفرنسيين .

ووقفت الحكومة السورية موقفها المعروف ومنعت القوات الفرنسية من الانتقال عبر الخط الحديدي الى الحدود التركية . وكان هذا المنع في طليعة الاسباب التي دفعت غورو لاحتلال دمشق ، أو التي احتج بها واستغلها لتنفيذ مآربه الاستعمارية .

وبعد أن جلت القوات الفرنسية عن تركيا تنكرت تركيا لهذه الوعود ووقفت من النزاع الفرنسي موقف اللامبالاة . وربمـا

كانت أميل لمساعدة فرنسة من مساعدة سورية • لان عداء تركيا للقومية العربية ، وسورية قلبهاالنابض ، معروف [1] •

وبعد أن جلت القوات الفرنسية عن تركيا تجمعت هذه القوات كلها في سورية • وحشدت لمقاومة الثورات المحلية التي كانت قد نشبت فيها • وكانت ثورة المرحوم ابراهيم هنانو فيحلب والاقضية التابعة لها قد شبت واتسع نطاقها ، ومثلها ثورة صبحي بركات في الاسكندرونة [2] •

الشيخ يتصل بابراهيم هنانو :

أوفد الشيخ في ١٠ شباط ١٩٢١ ، المجاهد المعروف حبيب محمود للاتصال بالمرحوم ابراهيم هنانو ، وعرض حاجة الثورة الى السلاح ، والى ضباط فنيين يساعدون الشيخ في ادارةالعمليات الحربية بعد عودة الضباط الذين كان اوفدهم الملك فيصل ، عقب انهيار المقاومة في الشيخ بدر •

واستقبل هنانو رسول الشيخ بالحفاوة والترحاب ، وأظهر له كل استعداد للمساعدة بالمال والسلاح • وأرسل معه أربعة ضباط كان لهم أثر ملحوظ في ادارة العمليات الحربية التي دارت بعدئذ •

وكان تعاون الثورتين وثيقا • وكانت ثورة هنانو أكثر غنى

---

(١) راجع كتاب « من الاحتلال حتى الجلاء » للدكتور نجيب الارمنازي •

(٢) راجع الفصل الاول عن الثورات المحلية في مستهل هذا الكتاب •

واستعدادا من ثورة الشيخ ، بعد ان انتقلت الى الشمال ،وليس في حوزة قائدها الا عدد محدود من البنادق الحربية ، ذلك لان ثورة هنانو كانت تمدها جهات مختلفة ، وتمولها • وكان ابراهيم هنانو يرسل كثيرا من الامدادات الى الشيخ • وكان قائدا الثورتين يعتبران ثورتيهما ثورة واحدة ، تساند كل واحدة منهما الاخرى وتدعمها[1] اذ انه حينما كانت تحتدم المعارك في جبهة هنانو كان المجاهدون يخفون من جبهة الشيخ لنجدة اخوانهم ، بالنظر لقرب المسافة بين جسر الشغور والحفة •

وكثيرا ما هجمت كتائب من ثورة هنانو لنجدة اخوانهم حينما كان العدو يحاول التغلغل الى الجبل من جهة الشرق بغية تطويقه •

ومن الانصاف للحقيقة والتاريخ أن تقرر هنا حقيقة واقعة وهي : ان استمرار الثورة في الشمال ، واحتدامها ، وثباتها كل تلك الفترة الطويلة ، انما يعود فضل كبير فيه للمرحوم ابراهيم هنانو •

وهي حقيقة يجب ان تذكر وان تسجل •

الشيخ يوفد رسولا الى تركيا :

وأوفد الشيخ صالح رسولا الى تركيا يحمل رسالةالىمصطفى كمال ، ومعه كلمة السر •

---

(١) راجع كتاب الايضاحات السياسية ، واسرار الانتداب الفرنسي في سورية ، وملاحم من نضالنا القومي . وتاريخ الثورات السورية .

ولكن كلمة السر قد تبخرت بعد جلاء القوات الفرنسية عن تركيا ، وصفاء الجو فيها للحكومة الكمالية الجديدة !

ولم يستقبل مصطفى كمال رسول الشيخ •

ولم ير منظرا يسره ، ولا وجها يبشره •

وقفل الرسول عائدا بخفي حنين •

وثبت للشيخ أن موقف الاتراك السابق ، كان للضغط على الفرنسيين ليس الا ••

ولما تحققت مطامعهم ومطامحهم ، عادوا الى عدائهم القديم لكل ما هو عربي •• يؤثرون مصالح الاجنبي على مصالح جيرانهم! ويعملون على تهديم كيانهم ، وتمزيق بلادهم ، وتمكين الاستعمار فيها(١) •

ووقفوا نفس الموقف من المرحوم ابراهيم هنانو ، مع انهم كانوا قد شجعوه لاعلان الثورة ، ووعدوه بالمساعدة • وبعد اتفاقهم مع الفرنسيين كانو يلقون القبض على المجاهدين ويعيدونهم الى سورية ، او يسلمونهم الى السلطات الفرنسية على الحدود •

وهذا ليس بمستغرب من خلق الاتراك ، ولا بمستبعد عنهم • ولنعد الآن الى متابعة الاحداث •

---

(١) ما تزال تركيا حتى الآن تقف في جميع المجالات الدولية ضد القضايا العربية وموقفها من العرب في قضية فلسطين معروف • وسيذكره العرب في حاضرهم ومستقبلهم الى الابد •

معركة فتوح (١) :

في اوائل تشرين الثاني ، ١٩٢٠ ، دعا الشيخ وجوه القرى القريبة من « بشراغي » للاجتماع بهم على مقام « الشيخ حيدر الضهر » • والمذاكرة معهم بشأن الثورة ، ووجوب استمرارها حتى تخلص البلاد من نير الاحتلال •

---

(١) أبيات من قصيدة طويلة منسوبة للشيخ في وصف معركة فتوح :

ما كنت أحسب أن أرى بهوان يوما وأن يعدو علي زماني
حتى نزحت عن الديار وصاحبي عقل الكهول ، وهمة الشبان
وغدوت مطرود الزمان ولم أكن يوما على الوطن العزيز بجان
حتى نزلت من البلاد بفتية ... بيض الوجوه أعزة غران
شم الانوف يزين قوة باسهم جبل منيع راسخ الاركان
لما دعوتهم لنصرة دينهم قام الجهاد ، وباسهم لباني
واتى العدو يريدني في حيهم باشارة من غادر خوان
وغدت أيادي المارقين من العدى توحي الي مشيرة ببنان
حتى اذا وقع القتال وروعت أبطالنا الارواح في الابدان
أبصرت ذاك الحين نصري مشرقا في وجه كل مجاهد مطعان
يا يوم فتوح ، ويوم شبابه أفديك من يوم بكل زمان
يوم اغر ، وفتية عربية ترمي العدو بوابل النيران
فيه التقى المتحاربون ، فيومهم فرد . ولكن الرجال اثنان
رجل يذود عن البلاد ، وآخر مستعمر قد باء بالخسران
ضعفت قوى جيش العدو فأصبحوا متسربلين من النجيع القاني
صرعى على وجه الصعيد تنوشهم ضبع الفلا ، وكواسر العقبان
وتفرقوا متشتتين على الثرى بعد اجتماع الشمل في العمران
متخاذلين يرف فوق رؤوسهم شبح البلى ، ونواعق الغربان

وبلغ الفرنسيين أمر ذلك الاجتماع فسيَّروا خمسمائة جندي لاعتقال الشيخ ، على حد زعمهم ، ومنع الاجتماع • واتخـذ الجنود الفرنسيون طريقا لهم في « وادي فتوح » ، وهو واد تقع على جانبيه هضاب مرتفعة تشرف على مداخله ومخارجه اشرافـا تامـا •

وكان الجيش يسير سيرا وئيد الخطى ، بطيء الحركات ، كأنه واثق من نجاحه ، مطمئن الى سلامة الهدف الذي يسعى اليه •

وبلغ الشيخ أمر هذه القوة الزاحفة لقتاله • ولم يكن حوله آنئذ من الرجال المسلحين غير ثلاثـة : ابراهيم خليـل شعبان ، وابراهيم حبيب ، وعبدو مرشد ، وبعض العزل الذين لا يحملون سلاحا ، ولم يتمرنوا يوما على استعماله •

هيهات لم تغن المدافع عنهم ... شيئا ، ولا بلغوا بهن أماني

* * *

ياعصبة الصيد الغطاريف الاولى ... هاب البعيد لقاءكم والداني
هذي مواطنكم تئن حزينة ... تشكو العدو كثيرة الاشجان
ومن الكرامة أن تصونوا مجدها ... من كيد كل منافق ملسان
فلانتم جند الاله وحزبه ... وعدوكم من عنصر الشيطان
لا ترهبوه انكم في معقل ... تنحط عنه أعزة الاكوان
صونوا البلاد من الدخيل وشيدوا ... صرح العروبة ثابت الاركان
لا تفشلوا عند الصدام ولا تهوا ... كي لا نعود لذلة وهوان
ان التعاضد خير ما ترجونه ... حزم الرجال وعزمهم صنوان
فتمنطقوا بالحزم تبنوا معقلا ... يسمو برفعته على كيوان
ما زال (صالح) راجيا من ربه ... حسن الرضى والعفو والغفران

وأسرع « آل عيد » لاستنفار أهالي قرية «بشراغي» ،والقرى المجاورة لها وهي : « سنديانا » ، و « جيبول » ، و « الحمام » ، و « آل سيف الدين » من قرية « الكنيسة » الذين أبلوا في معارك الشمال أحسن بلاء • فهبوا يحملون بنادق الصيد من قديم وجديد • وبلغت الحماسة ببعضهم ان اسرعوا وهم يحملون العصي والفؤوس كأنهم ذاهبون لسوق قطيع من الغنم ، أو حفر خندق في الارض[1] • وكان لتجمهرهم ، ورباطة جأشهم ، وشدة بأسهم ، واقدامهم ، أثر كبير في القاء الرعب في نفوس افراد تلك القوة الزاحفة • مما سهل للشيخ ورجاله الثلاثة مهمة القضاء عليها ، وكسرها شر كسرة •

واستمرت المعركة طول النهار • وانتهت بانتهائه • وحينما خيم الظلام على الوادي السحيق ، خيَّم عليه سكون رهيب مخيف • ولم يستطع النجاة من رصاص الشيخ ورجاله الا واحد وسبعون رجلا تسللوا تحت جنح الظلام ، بعد أن تركوا معداتهم وأسلحتهم وظلوا معتصمين في سراي « عين الشرقية » حتى أرسلت القيادة العسكرية جيشا لانقاذهم • فعاد بهم الى هضبة « كلبو » قرب قرية « قصابين » • وقتل يومئذ اثنان من قرية « زاما فقط » •

---

(١) ومن الطرائف التي تروى عن هذه المعركة ان امراة عجوزا شوهدت وهي تركض وفي يدها منجل حصاد . فسئلت : ماذا ستعملين بهـذا ؟ فأجابت وهي راكضة : سأقطف راسا بكل ضربة فتأمل بسالة هـذا الشعب ، وقتاله وتصميمه على الجهاد .

ودوت اخبار النجاح في هذه المعركة حتى غمرت انحاء الجبل كله • ورددت أوديته وهضابه صدى « اللهأكبر • والنصر للعرب » حتى كان لها صدى هائل في قلوب المؤمنين ، ونفوس المخلصين • وبدا الناس يتقاطرون أفواجا للتطوع في الثورة ، والانخراط في صفوف المجاهدين •

وكان للسلاح الذي غنمه المجاهدون في هذه المعركة الضروس تأثير كبير في انجاح المعارك التي حصلت بعدئذ في تلك الجهات •
واجتمع ممثلو بعض العشائر في ناحية « البودي » ، وكان يرأس ذلك الاجتماع المقدم ابراهيم صالح ، وعاهدوا الشيخ على السير تحت لوائه حتى الموت •

معركة وادي جهنم :

وكانت معركة فتوح ايذانا باستمرار الثورة والتهابها ، فتحولت وجهة الجيش الفرنسي الى تلك الجهات • وسير حملة قوية كانت تستهدف تطويق قرية «شبراغي» ، وموقع الشيخ حيدر الضهر[1] واحتلالهما ، والقضاء على الثورة الجديدة في الناحية الشمالية ، قبل أن يتسع نطاقها ، ويكثر انصارها •

وفي الوادي القريب من قرية « أبي قبليس » الذي أطلق

(١) ورد ذكر موقع الشيخ حيدر الضهر ، والشيخ محمد جوفين مرات عديدة في الكتاب الذهبي الفرنسي •

عليه لقب « وادي جهنم » (٢) ، لكثرة الضحايا التي وقعت فيه من جيش العدو ، كانت أولى الاصطدامات الهائلة ، بعد أن تم تشكيل ثلاثة فيالق من المجاهدين •

---

(٢) من الشعر المنسوب الى الشيخ صالح العلي في وصف معركة وادي جهنم من قصيدة طويلة :

حول الطرف دون وادي جهنم … فالمنايا على ضواحيه حوم
وتصفح ذي قاره ما هو الا … خبر من حديثه قد تقدم
زحف الجند من فرنسا لحربي … بشظايا نار وجيش عرمرم
وجموع يضيق عن بعضها الرحب … أتت تبتغي بلادي مغنم
فتصديت للجهاد وحيدا … وانتضيت الايمان بالله لهدم
ودعوت الكماة للحرب ، والمدفع … عن نية العدى يتكلم
الجهاد الجهاد ، يا علويون … فلبى من بينهم كل ضيغم
وادرعنا من الثبات دروعا … واقيات لمن الى الله سلم
صرخة من فمي دوت في بني الغرب … بأن صرح مجدكم قد تهدم
حولوا طرفكم عن الوطن الحر … على الغاصبين فهو محرم
ورميناهم بوابل نار … فل جيش المستعمرين وحطم
واحطنا بهم على ذروات … كسوار اذا أحاط بمعصم
ما أراني في ذلك الحين الا … كقضاء من المهيمن مبرم
ان تراءيت يصعق القوم … والموت خيال بأفقهم يتجهم
ابعث الموت بالرصاص عليهم … فتسيل النفوس في النقع عندم
عظموا بالعتاد ، والجيش ، والكثرة ، … والطائرات ، والله أعظم
ما وقاهم صوت المدافع ، والنصر … من الله فوق رأسي خيم
لو رأيت الجموع في القاع صرعى … لوجدت الاشلاء لحما بلا دم
عصفت صرصر الهلاك عليهم … وتهاوت كواسر الطير حوم

وقد هزم الجيش الفرنسي في هذه المعركة أيضا شر هزيمة • وقتل من رجاله عدد كبير كما استشهد في تلك المعركة بعض المجاهدين، بعد أن قتل أحدهم خمسة عشر جنديا وحده •

معارك مختلفة :

وظل الفرنسيون في حملاتهم المتكررة على منطقة الثورة ، حتى يحولوا بين المجاهدين والتمركز هناك • ووقعت خلال هذه الفترة اصطدامات كثيرة بين الثائرين وجنود العدو ، كان أبرزها معركة « تل صارم » بالقرب من قرية « بسوطر » ، واستشهد في هذه المعركة بعض المجاهـــدين ، كما قتل عدد من الجنود ، ومعركة

وتبارى المجاهدون يسدون عليهم ... من حولهم .. كل مخرم
يا جلال التاريخ في صفحات المجد ... خلد عنا حديثا مترجم
من رأى مثلنا وللموت سلطان ... فناء على النفوس محكم
نتبارى الى الحروب ، ولا نرهب ... موتا حيالنا يتجهم
ونغذيه من نفوس الاعادي ... فوق ما يبتغي غذاء فيتخم
الف الموت حربنا وسباع البر ... والطير من فصيح وأعجم
حيث سرنا تظل موكبنا الطير ... وتقفو الوغى فرادى وتوأم
قد كفلنا أقواتها وأزلنا ... سغبا من اذاه كانت تألم
لو درى الاجنبي قوة بأسي ... ما تحرى أمر القتال وأبرم
لا وقى الله يا فرنسا سراياك ... من الموت لا حمى لا سلم
ذاك وادي جهنم فاصطليه ... وانهلي ما ظمئت صابا وعلقم
ها هو المجد باسمنا يهتف الدهر ... ويهدي التاريخ سفرا منمنم
والدنى السين تصوغ ثناء ... والاهازيج باسمنا تترنم

« جب عسعوس » الكائنة بالقرب من « نهر السن » • ولم تقع فيها ضحايا من الطرفين •

استئناف المعارك في الجنوب :

لما كان الفرنسيون ، قد حشدوا أكثر قواهم في منطقة الثورة الجديدة ، فقد قرر الشيخ أن يرسل كتيبة من المجاهدين الى الجنوب ، منطقة الثورة الاولى ، لاستئناف العمليات الحربية هناك ، واشغال الفرنسيين عن استعداد الشيخ للهجوم على مدينتي اللاذقية وجبلة ، واحتلالهما ، بالاشتراك مع قوات ابراهيم هنانو التي كانت تعسكر يومئذ في مدينة جسر الشغور المتاخمة لمحافظة اللاذقية • وقد دارت في الجنوب معارك كثيرة ، أهمها :

معركة الدويلية :

في ٢٣ كانون ثاني ٩٢١ نشبت معركة صغيرة في قرية الديلية الكائنة شمال غربي القدموس ، بين عشرة مجاهدين ، وكتيبة من الجيش الفرنسي كانت في طريقها من مصياف الى بانياس • وقد عسكرت بالقرب من القرية المذكورة • واستأسد المجاهدون ، رغم قلة عددهم ، ووفرة خصومهم • فاستطاعوا أن يجلوهم عن القرية ، بعد ان قتل مجاهد منهم ، وجرح آخر • وقد خسرت الكتيبة ستة جنود ، وعددا من الجرحى •

معركة الديميس :

وفي ذلك المساء جاءتهم الاخبار ان كتائب فرنسية ستمر في

طريقها من بانياس الى القدموس • فكمنوا لها عند قرية «بارمايا» الكائنة شرقي بانياس • وبينما هم يرابطون هناك بلغهم أن بعض اخوانهم محاصرون في « قلع الدربكية » الواقع بالقرب من قرية « الديميس » • فهرع المجاهدون الى ذلك المكان • واذ بالقلع هذا يقع على رابية تشرف على أرض منبسطة من جهة الشرق ، وسلسلة هضاب مرتفعةمكسوةبالاشجار • وكان لا بد للمجاهدين أن يلجوا تلك الارض المكشوفة قبل الوصول الى مكان القلع • فأقدموا على ذلك • وكانت مغامرة خطرة ، ومجازفة كبيرة • وصب الفرنسيون نار رشاشاتهم عليهم ، وقد أصبحوا أمامهم في الارض العراء • فاضطر المجاهدون للانكفاء والعودة الى مكانهم بين الصخور المنيعة التي تحيط بذلك الوادي الفسيح • وشجع ذلك اخوانهم المحاصرين ، فخرجوا من « القلع » ، وشقوا طريقهم وسط الرصاص الذي كان يتساقط عليهم ، وهم يزحفون على بطونهم ، حتى وصلوا الى مكان اخوانهم • وحينئذ أخلي «القلع» بعد أن استشهد سبعة من المجاهدين ، وجرح عدد آخر • ولولا البطولة النادرة التي أظهرها المجاهدون لأبيدوا عن بكرة أبيهم ،أو أخذوا أسرى •

وقتل من جنود العدو عدد لا يستهان به •

وقد أظهر عباس حبيب من قرية « الاندروشة » بطولة نادرة المثال في هذه المعركة •

معركة رأس ماسم :

أدرك الفرنسيون خطورة الموقف ، وان قوى المجاهدين بدأت تتكاثف وتتزايد • فبدأت قواتهم العسكرية تزحف وتتخذ لها مناطق سيهل منها الهجوم على منطقة الثورة • بعد تطويقها والاحاطة بها • وقد وجهوا عدة كتائب باتجاه (جبل الدرا ب) ، واحتلال جبل (رأس ماسم) ، وكان ذلك في ١٥ كانون الاول ، ١٩٢١ ، وعلم المجاهدون بخطة الفرنسيين الرامية الى تطويقهم ، فكانوا اسرع منهم بالوصول الى ذلك الجبل • حيث أقاموا فيه استحكامات قوية ، وسدوا المنافذ المؤدية له • ولما أطلت كتائب الفرنسيين أصلاها المجاهدون نيرانا حامية • فاضطرت للتراجع حتى قرية قصابين • وعسكرت في هضاب « كلبو » • وحفرت في جوانبها الاستحكامات مما ينم عن نواياها باستئناف الهجوم •

معارك البودي :

أسميناها « معارك » نظرا لكثرتها ، وحدتها ، وتشعبها ، ووقوعها في مناطق متعددة •

في النصف الاول من شهر كانون الثاني ، ١٩٢١ ، بعد أن فشل الفرنسيون باحتلال « رأس ماسم » ، والاستقرار فيه ، عمدوا الى الهجوم على القراحلة الشمالية ، بعد أن نقلوا قوات كبيرة الى تلك الجهات • وسيروا عدة كتائب الى قرية « عين شقاق » بقصد الالتفاف حولها • ولم يتح لهم التمركز في ذلك

المكان اذ فاجأهم العقيد ابراهيم صالح ، البودي ، بهجوم عنيف مع عبد الهادي عباس ومجاهدين كثيرين • وكان لهذه المفاجـأة أثر كبير في التغلب على تلك الحملة ، ومصادرة ما تحمله من عتاد وسلاح • وكان من بين الاسلحة المصادرة ثلاثة مدافع كبيرة صالحة للاستعمال • ولم يستطـع المجاهدون الانتفاع بهـذه المدافـع واستعمالها ، لانه كان يعوزهم الخبراء والفنيون • وهكذا بقيت مع المدافع التي صودرت في معارك مختلفة الى نهاية الثورة حيث صادرها الفرنسيون مع بقية الاسلحة التي غنمها المجاهدون فـي مختلف المعارك •

وريع الفرنسيون لهذه الهزيمة الجديدة ، يمنى بها جيشهـم وهم في مستهل حملة جديدة ، يهدفون من ورائها الى القضاء على الثورة • فسيروا قوات كبيرة تمكنت من احتلال قرية «عين شقاق» وتابعت سيرها الى قرية « البودي » مدار الحركات الثوريـة في تلك الجهات ، ومعقل الثوار الحصين •

وهناك بالقرب من الهضبة المسماة « ضهر المزرعة » ، والكائنة شرقي « عين شقاق » ، قابلهم العقيد ابراهيم صالح ، وعبد الهادي عباس وبرفقتهما كثير من المجاهدين • واستبسل الفريقان ،وتشبث كل منهما بمكانه لا يتزحزح عنه • ووصلت نجدات كبيرة مـن القرى المجاورة لمعونة الثوار • وقد استطاعت أن تحـدث ثغرة عميقة في صفوف الاعداء ، مما أرغـم هؤلاء على الانسحاب الى

مدينة جبله بعد أن تركوا وراءهم عددا من القتلى دفنوا في قرية « عين شقاق » بالقرب من بيت الفقيد المرحوم نصور الحسن .

وادرك الفرنسيون بعد هاتين الموقعتين ، والفشل الذريع الذي منوا به أنه من غير الممكن احتلال « البودي » من الامام فسيروا جحافلهم الى « القرداحة » ، بغية النفاذ منها الى « البودي » من الشرق والشمال . وقد لقيت هذه الحملة مقاومة عنيفة ، وعنيدة من ابطال « الكلبية » المغاوير الذين أقاموا في وجهها سدا منيعا من الرجولة ، والبطولة ، والاقدام . ولكن ضغط العدو المتواصل، وكثرة الجيش الزاحف ، ووفرة ما لديه من عتاد ، وسهولة المواصلات في تلك الجهات ، قد مكنت العدو من احتلال « القرداحة » ، والتنكيل بأحرارها الميامين .

وفوجىء أهالي قرية « البودي » باحتلال الجيش الفرنسي موقع « كتف البير » . ولم يشعروا الا والقنابل تتساقط عليهم من ذلك الموقع تساقط المطر . فهب « ابراهيم صالح » ورفاقه الابطال ، وتصدوا لتلك الحملة القوية ، بكل ما أوتوه من ضروب الشراسة والبطولة والعناد . وكانت كرتهم هذه من العنف بحيث أرغمت الفرنسيين على اتباع خطط ماكرة ، وأساليب خادعة ، فتظاهروا بالتراجع تاركين وراءهم بعض الجنود يختبئون وراء الصخور والادغال . وتريث المجاهدون قبل اللحاق بهم . وما طلع الفجر حتى وجدوا أنفسهم وقد ارتدت عليهم تلك الكتائب ،

وحاصرتهم من جميع الجهات ، ثم احتلت قرية « البودي »وأشعلت فيها النار •

وجن المجاهدون وهم يرون السنة اللهيب تتصاعد من مساقط رؤوسهم ، ودور سكناهم ، وفقدوا الصبروالاتزان ، فانقضوا على الفرنسيين الحائلين بينهم وبين « البودي » أنقضاض النسور • وهنا دارت معركة عنيفة رهيبة استعمل فيها السلاح الابيض • وتضاءلت قوة السلاح أمام قوة الرجال وبسالتهم واستماتتهم • ولم تغب شمس ذلك النهار حتى كان الفرنسيون قداندحروا أسوأ اندحار ، وكسروا شر انكسار تاركين وراءهم عددا كبيرا من القتلى والجرحى •

وقد استشهد في هذه المعركة الضارية كثيرون من المجاهدين منهم : محمد اسعد دوبا ، وحسن سليمان يوسف ، البودي ، وصالح عمران يوسف ، « العرقوب » •

معركة الاجرد وراس ملوخ :

بعد انخذال الفرنسيين في معارك « البودي » عمدوا الى حشد قوات كبيرة في مدينة جبله ، وتعزيز كتائبهم في بقية الجهات المحتلة، بعد ما ترامى اليهم عن تهيؤ الثوار للهجوم على جبله واحتلالها •

وسيرت القيادة الفرنسية جيشا عرمرما ضخما ، مجهزا بكل أسلحة الهجوم ، تخفره الطائرات ، وتحميه المدفعية والدبابات • وكان ذلك في ٢٠ كانون الثاني ، ١٩٢١ ، وكانت وجهته قرية

« بشراغي » مركز قيادة الثورة في الشمال . وقبل أن يصلوا الى التلال المرتفعة فوق تلك السهول المنبسطة عاجلهم الشيخ بالهجوم . وهنا بدأت أعنف معارك الشمال . وكان الى جانب الشيخ بعض الضباط الذين أوفدهم ابراهيم هنانو لمساعدته في قيادة الثورة . وقد بدا على تلك المعركة طابع نظامي دقيق ، من حيث الكر والفر ، والهجوم والدفاع ، ومحاولةالانكفاء والالتفاف و .. ما أشبه . واستبسل الفريقان أيما استبسال ، واستمات كل منهما بالدفاع والهجوم . وكان الشيخ ورجاله يحتلون مواقع أكثر استراتيجية وأهمية . ولكن ذلك لم يحل بينهم وبين فداحة الخسائر التي نكبوا بها . ولولا أن وفدت لنجدتهم كتائب من المجاهدين آخر النهار لحلت بالمجاهدين كارثة أدت بهم الى مصير وخيم ، ولتمكن العدو من محاصرتهم والاحاطة بالمواقع التي يحتلونها من سائر الجهات . ولكن كتائب المجاهدين المنجدة قضت على محاولة الحصار والتطويق . وكان لوصولها المفاجىء تأثير معنوي ومادي في سير المعركة . فاضطرت ميمنة الجيش الزاحفة للانكفاء تحت ضغط المجاهدين المستميتين ، وتبعتها بقية كتائب الجيش . وأرغم العدو على التراجع والانسحاب بعد أن مني بخسائر فادحة في الاموال والارواح .

واستشهد عدد من المجاهدين ، في طليعتهم العقيد احمد عبد الحميد . وكان من قادة الثورة البارزين والمحنكين ، وكان

لاستشهاده أثر عميق في نفوس الثائرين جميعا ، وفي طليعتهم الشيخ[1] كما استشهد ابن عمه خليل محمد ، وعلي وطيفة ، وسليم نيوف ، وحمود محيمود . وجرح مجاهدون كثيرون . واصطبغت تلك البطاح بلون الدم القاني حتى أصبحت وكأنها مطلية باللون الاحمر .

وغنم المجاهدون سلاحا كثيرا واعتدة حربية ضخمة .

مناورات العدو واحتشاداته :

بعد الخسائر الفادحة التي مني بها الفرنسيون ، والهزائم المتوالية التي نكبوا بها ، انسحبوا من المواقع التي كانوا يحتلونها في الجبال الشمالية . وعسكرت قواهم على طول الساحل الممتد بين مدينتي جبلة وبانياس . وكانت كثافة الجيش في قرية « البرجان » و « نبع السن » .

وكان الفرنسيون يرسلون بعض القطع الميكانيكية تترصد الناس على الطرقات ، وتتعقبهم ، وتقتل بعضهم ، وتنهب وتسلب وتخرب . وكان المجاهدون يشتبكون مع هذه القوات ، التي كانت تتبع سبل القرصنة ، ويلحقون بها خسائر ، ولا يسلمون هم من بعض الخسائر .

---

(١) في حفلة عيد الجلاء ، ١٧ نيسان ١٩٤٦ ، نوه الشيخ بخطابه عن بطولة المجاهد احمد عبد الهادي ، وعن أسفه العميق لانه لم يعش حتى يشهد بنفسه هذا المهرجان .

وكانت غاية الفرنسيين من ارسال هذه الدوريات اما جس النبض ، أو الهاء الثائرين واشغالهم دائما ، والاحتفاظ بالمبادرة أن تظل بأيديهم .

وكانت المدفعية البعيدة المدى ، والطائرات المتلصصة ما تفتأ تقذف حممها على مناطق الثوار ، دون أن تستطيع التسديد الى هدف معين [1] . والغاية من ذلك التدمير ، اشاعة الرعب والذعر والفوضى .

العدو يحتل جبل قرفيص :

وفي ١ آذار ، ٩٢١ ، زحفت كتائب فرنسية قوية عن طريق « عرب الملك » و « البرجان » لاحتلال جبل « قرفيص » والقرية التي تقع على سفوحه ، والمطل على « نهر السن » . ودارت رحى معركة عنيفة استمرت يومين كاملين انتهت بانتصار القوات الفرنسية بعد أن تكبدت خسائر فادحة ، واستشهد عدد من المجاهدين بينهم « احمد عليما » ، كما جرح عدد كبير منهم في طليعتهم العقيد يوسف عيد .

وقد كفل للفرنسيين احتلال جبل قرفيص نقطة ارتكاز هامة .

---

(١) كان أهالي بعض القرى مجتمعين ، كعادتهم ، في عرس حافل يرقصون ويهزجون . وقد شاهدت احدى طائرات الاستطلاع هذا التجمع . فتخيلته اجتماعا لشن هجوم ، وما هي الا فترة وجيزة حتى كان سرب من الطائرات يحوم فوق تلك المنطقة ويقذفها بقنابله المدمرة . وكان في ذلك العرس بعض المجاهدين الذين تمكنوا من اسقاط احدى تلك الطائرات . واصيب عدد من النسوة والاطفال بجراح مختلفة.

ومكنه من التحكم في الجبهة الجنوبية لمنطقة الثوار .

معركة جور البقر :

وفي ١٥ آذار ، ١٩٢١ ، زحف الفرنسيون على قرية « جور البقر » ، و « تل ايرس » من مركز « البرجان » . فقابلهم المجاهدون بنيران حامية ، وبسالة لا تضاهى . وسمروا أقدامهم في خنادقهم لا يبرحونها . ودافعوا عن مواقعهم دفاع المستميت واستمرت هذه المعركة حتى منتصف الليل ، ثم انجلت عن اندحار العدو بعد أن تكبد خسائر فادحة .

واستشهد في هذه المعركة بعض المجاهدين ، منهم المرحوم علي فضل صارم .

غزوات الثوار :

كان الثوار خلال هذه الفترة يشكلون العصابات حيث تكمن لدوريات العدو ، وقواته المتنقلة ، فتهاجمها ، وتوقع بينها الخسائر الفادحة ومن ثم تعود الى قاعدتها .

وكثيرا ما هاجمت هذه العصابات أماكن تمركز العدو ، بعد أن تكون قد شغلته بهجوم صوري ، يقوم به بعض المجاهدين في مكان آخر بعيد . وحينما يلعلع الرصاص ويتجه الجيش الى تلك الناحية كان الثائرون يباغتون العدو من المكان الذي أرادوه للهجوم ، وتهيأوا . وقد نجحت معهم هذه الخطط نجاحا هائلا وكانت تكبد العدو خسائر بالاموال والارواح .

هجوم الثوار على جبلة :

كان الشيخ كما قلنا يمهد السبيل ، ويتهيأ لاحتلال جبلة • وكانت المخابرات قد جرت بينه وبين ابراهيم هنانو على أن يكون الهجوم مشتركا ، حيث تقوم قوات هنانو المرابطة في جسر الشغر بالهجوم على اللاذقية يعاضدها المجاهدون في قضاء الحفة يقودهم عمر البيطار ، بنفس الوقت الذي يبدأ فيه هجوم قوات الشيخ صالح على مدينة جبلة ، والمعسكرات المحيطة بها •

وكان الشيخ دائب التنقل في مناطق الثورة ، لاعطاء توجيهاته، ولتفقد الاستحكامات ، وتعزيز جبهة الدفاع •

وفي احدى الفترات التي كان فيها الشيخ بعيدا عن مركز القيادة دفعت الحمية والعاطفة بعض العقداء للهجوم على ثكنات الجيش الفرنسي واحتلالها ، والهجوم على جبلة بنفس الوقت •

وكان هؤلاء العقداء يعتقدون انه لا بد من أن يحققوا أملهم وطموحهم باحتلال المواقع التي يتمركز فيها العدو ، ويتخذ منها تكأة قوية للهجوم عليهم ، واصلائهم نيرانا حامية بين وقت وآخر • واذا لم يتمكنوا من تحقيق أملهم كاملا فانه لابد من ان يغنموا قسما كبيرا من العتاد الحربي الذي أصبح نادر الوجود • وهم لا سبيل اليه الا عن طريق ما يستخلصونه من الجيش الفرنسي نفسه •

وجهز العقداء محمد عيسى ، وعلي مفلح ، ومرشد شيحا

حملة قوية من المجاهدين سارت تحت لواء « الشيخ علي عبد الحميد عيد » . وقسمت هذه الحملة الى خمس فرق : اتجهت اولاها الى مدينة جبلة ، وكان يرأسها عبود المرشد . والثانية الى البرجان وكان يرأسها محمد سلمان . والثالثة الى « عرب الملك »، وكان يرأسها محمد صالح عيد . والرابعة الى « قرفيص » ، وكان يرأسها علي حسن زينة . والخامسة الى « القاموع » وكان يرأسها جبور مفلح .

واختاروا منتصف الليل وقتا مناسبا للهجوم . ولكن العدو ، بواسطة جواسيسه ، كان وكأنه على موعد معهم . وما ان وصلوا الى قرب الاسلاك الشائكة ، وقد بدأوا ينشرون فوقها « بسطا » من الصوف [1] لاتنفذ منها الاسلاك الشائكة واذا بنيران العدو المترقب اليقظ تنهال عليهم من كل جانب وكان بعضهم قد تخطى الاسلاك ، وبعضهم ما يزال في محاولته ... وساد المجاهدين ذعر واضطراب وفوضى . وهنا كان لا بد لهم من الارتداد ، وكان بعضهم بين الاسلاك ، وبين العدو الذي هبت كل كتائبه لاطلاق النار .

واسر بعض المجاهدين ، واستشهد منهم خمسة عشر ، على

(١) هذا النوع من « البسط » ينجد في القرى . ويستعمله سكان الارياف وهو بانسجامه وتماسكه أشبه بلوح من الخشب لا تنفذ منه الابرة الا بصعوبة .

رأسهم المرحومان « عزيز حربا » قرية جيبول ، وسليمان محمد خليل •

ومني المجاهدون بهزيمة نكراء كان لها أسوأ الوقع في نفوسهم، وفي نفوس المواطنين المخلصين كافة •

ولما علم الشيخ بما حصل عاد مسرعا الى عرينه ، ففصل بعض العقداء نظرا لتهورهم قبل استشارته ، والرجوع اليه ، وهو القائد الذي لا يحب ان يصدر امر الا منه او بتوجيهه ، وأبعد عددا من المجاهدين عن حظيرة الجهاد •

وساد الجبهة شيء من الجمود ، ما عدا الدوريات من الطرفين، حيث تصطدم مع بعضها أحيانا ، وما عدا الهجمات التي تشنها العصابات التي كان يرسلها الشيخ لقطع الطريق على قوات العدو، او بعض الاغارات المحلية لاستخلاص بعض الذخيرة او ايقاع بلبلة وذعر في صفوف الفرنسيين •

وكان العدو من جانبه يقذف منطقة الثورة بمدفعيته ، ويرسل دورياته الميكانيكية على الطرقات ، والى منافذ الجبال •

الموقف العام :

أما موقف الثائرين المرابطين في الجبال فانه لم يطرأ عليه أي تغيير، أو تبديل أساسي • وظلت الجبهة الشمالية متماسكة العرى ، متحدة الخطى ، منيعة الجانب صعبة المنال •

وعجز الجيش الفرنسي رغم وسائله الكثيرة عن احتلال الجبال

ما عدا جبل قرفيص ، أو النفاذ اليها . وظلت قواته الكثيفة مرابطة في الساحل ، تحميها المصفحات ، وتخفرها الطائرات . والثائرون كامنون في أعلى الهضاب ، وعلى سفوح الجبال يترقبون ويتهيؤون

ولكن فكّي « الكماشة » ، كانا قد قاربا الالتقاء من الشمال والجنوب . وقد أصبح الثائرون في وضع اقتصادي وعسكري لا يحسدون عليه ، بعد أن أوشكت ذخيرتهم على النفاد ، ونضبت روافدها ، وقلت مواردها .

تموين الثورة :

لا غرو ان احتلال الفرنسيين البلاد السورية كان ضربة قاسية على الثورة ، وايذانا باخمادها ، والقضاء عليها . فبعد أن كان فيصل يمونها بكل ما تحتاج اليه من عتاد حربي ، ويمدها بمساعدات مادية متوالية ، أصبحت وهي أحوج ما تكون الى من يساعدها عن طريق البيع ، ولو بأثمان مرتفعة .

وقام ابراهيم هنانو بقسط وافر من هذه المهمة ، حينما نشبت ثورته في بعض أقضية حلب . ولكنه بعد أن اضطر لالقاء السلاح ، والخروج من البلاد ، أصبحت الثورة في جبل العلويين ، ولا مورد لها الا ما تستخلصه من أنياب العدو .

وكان العدو يعرف حاجة المجاهدين الملحة للذخيرة ، وان استمرار الثورة يتوقف على مدى ما ينتزعونه من جنوده حين الالتحام ، فعمّم على جنوده ألا يخلفوا وراءهم في ساح الوغى ، مهما تكن نتيجة المعركة ، أي قطعة سلاح صالحة ، أو أي طلقة

أو قذيفة نافعة . وكان من العسير جدا أن يستطيع المجاهدون الظفر بأي قطعة سلاح صالحة للاستعمال . وحتى في المعارك التي كان الفرنسيون يضطرون فيها للانسحاب والتخلي ، مرغمين ، عما يحملون من سلاح وعتاد كان الجنود يحرصون على اتلاف كل تلك المعدات قبل أن يجلوا عنها حتى لا يستفيد منها رجال الثورة، الذين كانوا يعتمدون الى حد بعيد على الاسلحة التي كانوا يغنمونها من العدو .

ولا ريب أن أكف المؤمنين بعروبتهم وقوميتهم ، وبحقها في الحياة الحرة الكريمة ، سواء في المهجر ، أو المدن السورية ، وفي الجبل العلوي نفسه ، كانت ما تزال تندى بالتبرعات الخيرة للمجاهدين . ولكن رغم الحاجة القصوى لهذه التبرعات كانت الفائدة منها في شراء السلاح معدومة ، بعد ان بث حول الثورة العيون والارصاد من كل جهة ، وفي كل مكان . وأصبحت قطعة السلاح لا توجد الا بشق الانفس مهما دفع في سبيلها ثمن باهظ .

وتطوع مجاهد معروف اسمه محمد الارناؤوط لاستيراد الاسلحة من فلسطين عن طريق لبنان . ووصلت الصفقة الاولى بأمان . وكانت الثورة بحاجة ماسة الى تغذية دائمة لا تنقطع ، حتى لا تنقطع بانقطاعها سبل الحياة .

وعاد محمد الارناؤوط مرة اخرى . ومرة اخرى تعاقد على صفقة كبيرة من السلاح يبلغ ثمنها عشرات الالوف من الليرات الذهبية . ورتب ارسالها بواسطة قوافل يتعهد بعض اللبنانيين

المستأجرين ايصالها الى حدود الجبل العلوي ، نهر الكبير •
ووصلت القافلة الاولى وهي محملة على أربعة عشر جملا •••
وتابعت سيرها حتى وصلت قرية « تل وعاوي » التي تقع جنوبي مدينة صافيتا على بعد بضعة عشر كيلو مترا • وهناك أدرك القافلة الصباح فاضطرت للتوقف • وكان للفرنسيين عيون في كل مكان ، وعرف الفرنسيون بالقافلة فأسرعوا لمصادرتها • وعلموا أن هناك قوافل اخرى ماتزال في الطريق • فنصبوا لها الكمائن ، وصادروها أيضا •

ووقع هذا النبأ وقوع الصاعقة على الثوار • وأدرك الشيخ أن الثورة قد اقتربت من نهايتها ، وانه أصبح يحارب بلا أمل • ولكنه أبى الاذعان للامر الواقع ، ورفض الاستسلام •

معسكرات الجيش الفرنسي :

في تلك الاثناء كان الجيش الفرنسي قد أكمل استعداداته وتأهبه للهجوم • وحشد قواته الميكانيكية الهائلة في الامكنة التي كانت تحيط بمناطق الثورة من جميع الجهات : من جسر الشغور ، الى اللاذقية ، الى جبلة ، فبانياس ، فطرطوس ، فصافيتا ، فتلكلخ ، فمصياف • اذ كانت تحتشد في تلك الانحاء كلها قوى فرنسية هائلة • وذلك عدا عن الاماكن التي كان يحتلها الجيش في قلب الجبل ، والتي كانت تشكل نقطة ارتكاز هامة في تلك المناطق الحصينة •

وحرص الفرنسيون على أن تحتشد قواتهم الرئيسية في الاماكن المؤدية الى منافذ الجبال ، ومسارب الاودية • وهم يرمون

من وراء ذلك كله الى ان تنطلق تلك القوى الكثيفة بأسرها فـي وقت واحد ، مستهدفة مناطق الثوار .

ولم يأل الفرنسيون جهدا باعتقال جميع الاشخاص الذين كان يشتبه بأن لهم علاقة مع الثورة ، أو اتصالا مباشرا ، أو غير مباشر ، مع الشيخ . وكانوا يحتفظون بأولئك المعتقلين في ثكناتهم العسكرية بمثابة «رهائن» يتخذونها وسيلة لتثبيط همم أنصارهم ، وأقربائهم ، ومؤيديهم . وكانوا حريصين على أن يظهر هـؤلاء المعتقلون في الامكنة التي يحتشدون بها ، أو يمرون منها . وكانوا يمكنونهم أيضا من الاتصال بالناس لتثبيط همم المؤيدين والاقرباء ، كما أسلفنا .

معنوية الاهلين :

ولابد لنا من وقفة قصيرة ندرس بها وضع الاهلين في الجبل العلوي ، وحالهم ، ومعنوياتهم . ونلم ولو المامة خاطفة بأحوالهم المعنوية والمادية بعد انقضاء هذه المدة الطويلـة على قيام هـذه الثورة في جبلهم المحدود .

وانه ما من ريب أن ثورة كبرى كثورة الشيخ صالح تستغرق هذه المدة الطويلة ، الطافحة بجسيم الاعمال ، وجسيم الخسائر ، في مثل تلك البيئة الساذجة ، والارض الضيقة الشحيحة .

أجل ، لا ريب أن ثورة كتلك الثورة الرهيبة ، قد اضطرمت نيرانها ، واشتعلت ، في بقعة من الارض تشكو من كثافة السكان ، وضيق الموارد ، وقلة الانتاج . وأهل الجبل مضطرون الى تدارك أسباب معيشتهم من خارجه ، نظرا لضيقه ، ولفقرهم ، ولقلة وسائل

العمل والانتاج . وكان ذلك الحصار الذي فرضه الفرنسيون على الجبل من شتى نواحيه عائقا قويا في سبيل الساعين وراء الرزق والباحثين عنه هنا وهناك ، لا ريب ان ذلك الحرمان الذي سببته ثورة دامية أدت الى حصار رهيب ـ لو تمكن لسد منافذ النور والهواء ـ كـان من شأنه أن يترك رواسب عميقة من الالـم المكبوت في قرارة النفوس .

ومع ذلك فقد تحمل أبناء الجبل تلك الضائقة التي ألمّت بهم من جراء ذلك الحصار ، وعنف تلك الثـورة ، بقلوب لا تعرف الوهن ، وعزائم لا تعرف الضعف . ورغم ان تلك الضائقة كانت تودي بحياة الكثيرين منهم ... فان أكثر الناس كانوا مجمعـين على الاستمرار بالنضال، حتى يكتب الله للمؤمنين النصر، أو الاستشهاد.

ولكن لمثل هذا الايمان ، ولمثل هذا الصبر حدا .

وبعد أن عرف الناس أن موارد الثورة من السلاح قد انقطعت، وانه لم يعد ثمة أمل بالاستمرار ، وجد بعض قالة السوء ، ودعاة الهزيمة منفذا لدعاياتهم ، ودسائسهم ، ونفاقهم .

وان ذلك لمما يعيب ويشين . ولكن التاريخ حافل بأمثال هذه الحوادث التي لا ينجو من حقيقتها الموجعة أي شعب متحضر ، مهما بلغت حضارته ، ومهما بلغ ايمانه بالحياة ، حينما يرى أنه لم يعد له أمل ، ولم تبق له بقية رجاء .

وان أكثر الشعوب جلدا وصبرا ، وتحملا في سبيل فكرتهـا القومية لا تستطيع أن تتحمل أكثر مما تحمله العلويون من أعبـاء

جسام ، ومصاعب عديدة ، في غضون تلك الفترة الرهيبة .

وما نريد أن نسجّل هنا على العلويين انهزام الروح قبل انهزام الجسد، ولا ان نصمهم بوصمة التقاعس ، والتخاذل ، والاستسلام، ولكننا ونحن نؤرخ للاجيال المقبلة لا نستطيع اغفال حقيقة وواقع، ولا التهرب من ذكرهما ، والاعتراف بهما ، وهو ان فقدان الامل، بعد فقدان السلاح ، قد كان له تأثير كبير في اضعاف المعنويات ، وتأثير كبير عند الهجوم الفرنسي الكبير ، في المرحلة الاخيرة .

الهجوم الاخير :

كان ذلك في ١٥ حزيران ، ١٩٢١ ، حينما هجم الجنرال «نيجر» بجيوشه الجرارة ، وقذف بها في مختلف الاتجاهات جاعلا هدفها جميعا معقل الشيخ في قرية بشراغي .

وتدفقت الجيوش الفرنسية من سائر المسارب والمنعطفات ، كما يتدفق السيل الجارف من أعالي الجبال .

وابتدأت هذه الكتائب بالتدفق من «قرفيص» الى «الدراب» الى « بشراغي » الى « بسمالخ » الى « عقبة الزرزار » الى « وادي جهنم » الى « الحيلونة » الى جبل « النبي صالح » الى جبل « النبي متى » على جبهة واسعة طولها عشرات الكيلومترات.

وفقدت قيادة الثورة اشرافها المباشر على سير المعارك ، وأفلت من يدها أمر الرقابة على الجبهة التي تدور فيها معارك القتال ، بل على الجبهات .. لان القتال كان في كل قرية ، ومنعطف ، وهضبة، يوجد فيها مخابىء للثوار ، ومعاقل لهم . واصبحت كل فئة من

هؤلاء تعمل مستقلة عن الاخرى ، وهي تستوحي طرق القتال من توجيهها وتفكيرها • واتخذ الانهزاميون من تفكك الجبهة مجالا رحبا للعمل على نشر الانباء المثبطة للهمم والعزائم • ونشطت حركة هؤلاء بين أوساط الثائرين نشاطا ملحوظا ، وكان لهم يد طولى بزرع الشك واليأس في نفوس المواطنين ، وحمل بعضهم على القاء السلاح •

حاجة المجاهدين الى السلاح :

ونضبت الذخيرة ، والمجاهدون في أمس الحاجةاليها •والمعركة دائرة الرحى ، رهيبة ، عنيفة ، فاصلة ، • وكـان لتسلل القوى الفرنسية الى مناطق الثورة المختلفة ، وفصل بعضها عن بعض ، والاحاطة به من كل جانب ، تأثير كبير في فقدان الذخيرة ، وندرة السلاح • اذ انه حينما تكون الجبهة متماسكة متساندة يشد بعضها ازر بعض ، ويدعم فريق أخاه •

وكان المجاهدون وهم في زحمة الاحداث ما يزالون يرجون وصول نجدات وامدادات سريعة • وأشاع الانهزاميون بينهم خبر الاستيلاء على الاسلحة التي كان ينقلها محمد الارناؤوط • ففتّ ذلك في عضدهم ، ودفع اليأس القاتم الى نفوسهم • ومع ذلك فلم يستسلم منهم الا قلة لم يعد بمكنتها متابعة النضال • وظلت الكثرة الكاثرة تناضل وتقاوم أياما طويلة حتى نفد كل ما تحمله من ذخيرة، ولم تنفد رغبتها الجارفة في حب الجهاد والاستشهاد •

انتهاء الثورة :

ان الثورة لم تنتــه دفعة واحدة في جميع الاماكن • بـل أن كتائب من المجاهدين موزعة هنا وهناك ظلت تقاتل لوحدها حتى آخر طلقة كانت تحملها • والمجاهدون الذين كان لديهم مقادير أكثر من الذخيرة ظلوا يحاربون ويقاومون حتى لم يعد مع أحدهم طلقة واحدة • فروح الثورة ، ومبدأ الجهاد كانا متأصلين في نفوس المجاهدين جميعا • حتى أن احدا منهم لم يستسلم الا بعـد أن نفدت منه الذخيرة ، ولم يعد له أمل بالحصول على المزيد منها • فاضطر الثائرون للتسليم •

وهكذا انتهت تلك الثورة الجبـارة • وانطوت بانطوائهـا صفحة مجيدة من صفحات المجد والنضال ، والكفاح والجهاد •

الانتقام من السكان :

ما عرف التاريخ القديم والحديث أمة أكثر همجية من الفرنسيين حين ينتصرون ، وحين ينتقمون • والانتقام بعد النصر من صفات الحيوان ، وليس من صفات الانسان • فالرجل الشريف يترفع عن الاساءة الى خصمه بعد أن يهزمه ، ويتغلب عليه • ولكن الفرنسيين يزدادون وحشية وهمجية بعد انتصارهم ، ويعمدون الى وسائل تحط من قيم البشر ، وتتدنى بهم الى أسفل درك الانحطاط •

والا فما ذنب المدافعين عن كرامتهم ، والذائدين عن حياض بلادهم ، والناذرين أنفسهم واموالهم لخدمة عقائدهم ومبادئهم ؟!

هل يعتبر الذين يدافعون عن بلادهم ، في بلادهم خونـة

مجرمين ، ولا يعتبر اولئك الذين يعتدون على الناس ، في بلاد الناس ، ويحاربون في عقر دورهم ، ويقاتلون الوطنيين للاستيلاء على وطنهم ؟ !

هؤلاء حقهم في الاعتداء مشروع ! واولئك حقهم في الدفاع غير مشروع !

واذا كانت فرنسة ترى في دفاع السوريين عن بلادهم جريمة منكرة ، وخيانة حمقاء ، وخروجا على قواعد العدل الدولي ، فلماذا لم تر في مقاومتها للمهاجمين الالمان ، جريمةوخيانة ، وخروجا على القواعد الدولية ؟! . أم أن للقوة منطقا يحل لها ما يحرمه على بقية الناس ؟

انه لمن سخط القدر أن يكون بين الناس ظالمون ومظلومون ، وحاكمون ومحكومون ، ومستعبِدون ومستعبَدون .

انه لمن سخط القدر ان تتولى امور بلادنا حقبة طويلة من الزمن دولة رعناءكفرنسة لا تعرف ضميرا ، ولا شرفا ، ولا كرامة.

رجال آمنون ابرياء ، ونساء آمنات بريئات ، استباح الجيش الفرنسي الدخيل ، بعد انتهاء الثورة وقبل انتهائها ، حرمة أمنهم ، وقداسة طهرهم ، فأعملوا بهم تنكيلا وتقتيلا .. وعاملوهم أسوأ معاملة ، يعامل بها انسان من حيوان ! فنهبوا قراهم ، ثمأحرقوها! وعذبوا أجسادهم ، ثم أعدموها ! وتفننوا في ضروب الاذى والانتقام ، ما لم يتح لغيرهم ان يقدم عليه ، أو يتفنن به ..!

انالوحشية والاستعمارصنوانمتلازمان ، وخلان لا يفترقان.

وخجل التاريخ ، وندي جبينه حياء ، من فظائع الفرنسيين ، في جبال العلويين . واما الشرف والكرامة فانهما لم يخجلا من فرنسة ، لانهما لم يعرفا فرنسة .

اين الشيخ ؟

ومنّى الفرنسيون أنفسهم بالقبض على الشيخ ، فأحاطوا بعرينه من جميع الجهات . وخيل اليهم أنهم قد سدوا عنه منافذ النور ، ومسارب الماء والهواء .

ودامت الحال أياما ، وهم يأملون أن ترتفع الراية البيضاء ، وان يعلن الشيخ الاستسلام . وراعهم أن الراية لم ترتفع ، وان العرين ما زال محكم الاغلاق في وجوههم .

وجاءتهم الانباء ان الشيخ في غير هذا العرين . وان للاسد في كل أرض يطؤها عرينا .

وكانت صدمة عنيفة استشاطت لها نفوسهم غيظا وغضبا . واضطربت لها ألما وحقدا .. وأيقنوا أن النهاية لن تكون الا بعد ان يتم القبض على القائد الاول ، والبطل الاول ، والمجاهد الاول.

ونشطت جواسيسهم هنا وهناك .. وأعلن عن جائزة كبيرة لمن يدل على مكان الشيخ ... وكثر الوعد والوعيد ، والرجاء والتهديد . ولكن ذلك لم يجدهم نفعا ، فالشيخ ما يزال في مكان عصي ومجهول ، يتهيأ للثورة ، ويتأهب للقتال . ولم يكن بالامكان اعادة الجيش الفرنسي الى ثكناته الاولى ، ما دام الشيخ حرا يتنقل هنا وهناك . وقد يعمد لاشعال ثورة جديدة كما فعل بعد

ان احتل الجيش منطقة الثورة في الجنوب ، فأشعلها الشيخ أكثر حدة وضراما في الشمال • وبقيت تلك الجيوش الجرارة تعسكر في الجبال، وهي تشق الطرقات،وتبني الثكنات ،وتقيم الاستحكامات•

وما دام الشيخ في مكان عصي مجهول ، لا يهتدي اليه الفكر ، ولا تناله الايدي ، فان الفرنسيين سيظلون في حركة دائبة، ونشاط مستمر ، وقلق جد عظيم •

الفرنسيون يحكمون على الشيخ بالاعدام :

لما فشل الفرنسيون بالقاء القبض على الشيخ ، ومحاكمته وجاهيا ، التأمت محكمتهم العسكرية ، وأصدرت حكمها باعدام الشيخ • ونشر هذا الحكم في بلاغ مطبوع وزعته الطائرات على سائر أنحاء الجبل • ومع هذا البلاغ تهديد باعدام كل من يؤوي الشيخ في بيته ، أو يراه ولا يخبر عنه السلطات الفرنسية ، ومعه أيضا وعد بجائزة مائةالف فرنك فرنسي لمن يرشد الى مكان الشيخ •

ولم تمض أيام قليلة ، حتى عمم هذا البلاغ على جميع الاهلين في الجبل العلوي كله • واستولى الهلع والقلق على نفوس الناس خوفا على حياة قائدهم ، وزعيمهم ، وشيخهم • وود كل مخلص أن يكون بيته ملاذا للشيخ ، يحميه من أعين الاعداء ، ولو أدى الامر الى تعذيبه ، وأفضى به الى الاعدام •

وضحك المخلصون من تهديد الفرنسيين ووعيدهم ، مثلما ضحكوا وسخروا من الجائزة التي وعدوا بها كل خائن يقبل على نفسه أن يكون « يهوذا » جديدا •• يتحمل لعنة الاجيال •

ورددت الهضاب والاودية كلمة : لا . اللهم : لا .

اختفاء الشيخ :

وكان الشيخ في اختفائه لا يستقر في مكان ، ولا يخلد الى الهدوء في مكان . وانما كان دائب التنقل والتجول من مكان الى مكان .. وقد أمعن في اخفاء مظهره حتى كان أقرب المقربين يلتبس أمره عليه .

وصدف مرات عديدة أن التقى به جنود فرنسيون ، في أمكنة مختلفة ، من مناطق الثورة ، فكانت صوره الموزعة عليهم تختلف عن هذا الفتى الوسيم ، ذي الهيئة التي تدل على الصلاح والبراءة، لا على القسوة والعنف . وكان كلما التقى به جنودفرنسيون تنقذه منهم رباطة جأشه ، وسرعة خاطره .

حدثنا الشيخ أنه أقام على جبل « الشيخ حيدر الضهر » أياما مختبئا بين صخوره المنيعة ، وأشجاره الكثيفة . وليس معه الا خادم أمين ، كان يصطحبه معه في غدواته وروحاته ، ولم يكونا يسيران معا على طريق واحدة ، الا ما ندر ، وانما يلتقيان معا في مكان معين ، حتى لا يستلفتا الانظار . ولما نضب الزاد من الشيخ حاول الانتقال الى مكان آخر ، واذا بكتائب فرنسية تحاصر ذلك المكان ، وتحيط بالجبل من جهاته الاربع . ولم يعد هناك أمل بالنجاة مهما تعددت المسالك ، وكثرت السبل ، لان الفرنسيين كانوا على علم بوجود الشيخ ، في ذلك المكان ، فأحاطوه بسياج كثيف من الجنود .

وتوضأ الشيخ ، ثم صلى • وسلك الطريق الرئيسية الى قرية قريبة من ذلك المكان • وهو هادىء الاعصاب ، ثابت الخطوات•

وبادر الجند بالسلام • وسألهم ماذا تعملون هنا يا اخوان ؟ فأجابوه : لقد بلغنا ان الشيخ مختبىء في هـذا الجبل ، فجئنـا للقبض عليه • فقال لهم : كلنا نبحث عنه • والذي يتوفق منا يكون أسعد حظا • ثم تركهم ومشى • فلم يعترضه أحد • والفضل في ذلك يعود الى رباطة جأشه ، وسرعة خاطره ، ومبادهتهم بالسلام والحديث • وهذا لعمري منتهى الاقدام •

وحدثنا الشيخ : انه كان يسـير مرة على طريق • وشاهـد حركة غير عادية في منعطف قريب منه • وكان هناك جنود فرنسيون ولم يكن ثمة مجال للرجوع ، لانه كان على مرأى منهم ، وكـان خادمه على مقربة منه ، فأومأ اليه أن يتقدمه ، وأن يتظاهر بالسذاجة والخوف ، والغباء • وتقدم الخادم ، فأوقفه الجنـد ، وتجمهروا حوله ، وتعرض المسكين ، لما يتعرض له المساكين عادة •• مـن اولئك الزبانية القساة ، من التحقير والاهانة ، والشتم ، والخادم يستغيث بينهم ، ويرتعش من الالم والخوف •

ووصل الشيخ فصاح بهم : لماذا تعذبون هذا الفقير ؟ فأجابوه: هذا من « بدوان » صالح • فضحك الشيخ بملء فيه ، وقال لهم : ما أشد جنونكم •• أمن المعقول أن ينتقي الشيخ صالح جنوده من أمثال هؤلاء المساكين ؟ وهل يتركهم يمشون في الطرقات منفردين؟!

واختلف الجنود فيما بينهم ، بين مصدق هذا الكلام ، ومكذب

له ، وازداد الخلاف بينهم • فاغتنم الشيخ هذه الفرصة ، وتابع المسير • ولحق به الخادم بعد ذلك بقليل •

وحدثنا أيضا : ان حضر صلاة الجمعة في مسجد بيت الشيخ يونس [1] وسمع الخطيب بعد الانتهاء من خطبة الجمعة يقول : « اللهم انصر عبدك ، وابن عبدك ، المعتز بعفوك وجندك ، المجاهد في سبيل الله والوطن ، الشيخ صالح العلي سلمان • واحمه من كيد الكائدين ، وبطش الظالمين ، يا رب العالمين » •

فبكى الشيخ حتى بلل لحيته الشابة • وغادر المسجد قبل أن يشعر بأمره أحد •

واستبد به الشوق يوما ، ولجّ به الحنين لزيارة قبر والده في قرية « مريقب » ، القريبة من الشيخ بدر ، فقرر القيام بهذه الزيارة مهما اعترضه من الصعاب والعقبات • وأقدم على تلك المغامرة الخطيرة دون خوف ولا وجل • وأمعن في التنكر امعانا شديدا ، واقترب من الضريح بصفته زائرا ، فلم يعترضه أحد ••• وهناك توضأ ثم صلى • ثم أشرف بعد الصلاة على بيوته التي احتلها الجنود ، وقد غدت خرائب وأنقاضا •• وراعه هذا المشهد المؤلم ، فالجيش موزع في كل مكان •• في المرتفعات ، والاودية ، والطرقات ، وفي القرى يطرد أبناءها لكي يحل محلهم في سكنى البيوت • ثم قلب البصر في مسالك تلك الجبال ، وقممها الشماء ، التي شهدت أعنف صراع بين قوى الايمان ، وقوى البغي والعدوان ،

---

(١) مسقط رأس المؤلف .

فاذا بها وكأنها ثكنة عسكرية متصلة الحلقات ، متساندة الجدران •

وآلم الشيخ ذلك المنظر الرهيب • وداخله شعور الخوف على حياة رجاله المخلصين ، وجنوده المشردين ، وأوشك أكثر من مرة أن يسلّم نفسه ، فيريح ، ويستريح •

ولكن النفوس التي فطرت على العزة والكرامة ، تأبى الخنوع والهوان • وما نفس الشيخ الا من تلك النفوس الكبيرة التي لا تسكت على ضيم ، ولا تسكن لذل ، ولا تعترف بهزيمة محيقة، ولا تذعن لجبروت طاغ • فنحّى فكرة التسليم ، وصمم على السير والاختفاء ••

وابتعد الشيخ ، ونفسه تقطر ألما وحزنا ، على تلك المعاقل التي استبيحت حرمتها ، والمواطنين الذين أهينت كرامتهم ، وأسيئت معاملهم ••• وقد أوشكت ذرات التراب اليابسة ، أن تتعرف على تلك الخطوات الرتيبة الوئيدة ، فتقفز الى عل وهي تردد أنشودة الجهاد ، وتهيب بالمجاهدين المؤمنين ، أن يتبعوا شيخهم وقائدهم المجاهد الصالح •

ما يزال الشيخ يذكر تلك اللحظات الرهيبة ، وقد أوشكت ذكراها أن تغطّي على كل الذكريات ، وتطغى عليها •

وسقطت دمعة من عين الشيخ ، أخصبت بها الارض،وأمرعت، وما تزال تخصب وتمرع ••

قلق الفرنسيين :

ودام اختفاء الشيخ سنة كاملة • والفرنسيون يجدون في

أثره ، ويتعقبون خطاه ، وهم في حيرة دائمة من هـذا الاختفاء ، الذي يبعث على القلق ، ويضاعف الخوف . وجنودهم يملأون الجبل العلوي من أدناه الى أقصاه . وتتحمل الحكومة الفرنسية نفقات ترهق موازنتها المرهقة ، وليس بمكنتها اعادة الجيش الى ثكناته الاولى ، وتسريح المتطوعين منه ، الا بعد أن يتـم الاستقرار . ولا يمكن أن يتم الاستقرار مادام الشيخ موجودا ، في الجبل نفسه، وفي كل يوم أكثر من شائعة ، عن التهيؤ لحركة جديدة ، وثورة عنيدة . وان الشيخ قد مد يده الى الانكليز ، وان رسلا من تركيا قد عبروا الحدود الشمالية ، ومعهم كمية كبيرة من السلاح . وان الامدادات ترسل عن طريق البحر ، وتدفن في الرمال ، حتى يتسنى لرجال الشيخ نقلها الى مخابىء حصينة و و ... الخ .

وكانت هذه الشوائع تترك آثارا عميقـة في نفوس القـادة الفرنسيين . وقلبوا الامر على جميع وجوهه . واستشاروا أنصارهم من أبناء البلاد ، واجمعت الكلمة على وجوب العفو عن الشيخ، حتى يسلّم نفسه ، وتسلم النفوس القلقة ، من القلق والهلع والاضطراب .

العفو عن الشيخ :

لما عجز الفرنسيون عن اعتقال الشيخ ، وعموا عن الاهتداء الى مقره ، رغم تأكدهم من وجوده في الجبل ، وان هناك من يعضده ويؤيده ، ويسنده ويحميه ، رغم التهديد والوعيـد ، والاغراء بالوظائف والمال ، وجدوا أنه لا مندوحة لهم ، كما ألمعنا في الفصل السابق، عن العفو عنه ، حتى تهدأ الحال ، وينعم الفرنسيون بالاستقرار

وصدر قرار «العفو» ، عن الشيخ . ومثلما أذيع قرار اعدامه بواسطة الطائرات ، أذيع قرار العفو عنه بواسطة الطائرات أيضا .

وانا اذ نذكر كلمة « العفو » ، تتنزّى نفوسنا ألما وحزنا . فالشيخ من غير الجناة ، وهذه الكلمة ، الآثمة ، لا تستعمل الا بحق المجرمين الجانين . ولكنه تعبير اصطلح عليه ، ونحن مضطرون لاستعماله كما ورد في تلك القرارات .

وكان قرار العفو يحمل توقيع الجنرال غورو ، ووعدا عسكريا أنه لن يلحق الشيخ اذى ، ولن يناله سوء .

وعمت اخبار العفو عن الشيخ أنحاء الجبل كله خلال فترة وجيزة .

موقف الشيخ :

واطلع الشيخ على قرار العفو الذي كانت توزعه الطائرات ، وهو يومئذ قريب من قرية « بشراغي » عاصمة الثورة في الشمال . وكان الشيخ على علم تام بكل ما يقوم به جيش العدو من تنكيل وتعذيب ، واضطهاد للاهلين ، ومن بطش وفتك وتخريب ، وانتقام لئيم . حتى ان الضابط الفرنسي « رساك » وكان يومئذ ، ليوتنان ، كان يقذف بمن يشتبه بهم من أعلى دار الحكومة ، دون شفقة ولا رحمة . وكانت تلك وسيلته في الاعدام . وقد أحرق الفرنسيون قرى كثيرة بمجرد الاشاعة ان الشيخ قد لجأ اليها ، واختبأ فيها .. ومن هذه القرى قرية « عين الذهب » و « المعمورة » ، صافيتا ، وقرى كثيرة غيرها في الشمال .

وادرك الشيخ ان لا خلاص للاهلين ، من تنكيل الفرنسيين

وبطشهم ، الا باستسلامه الى اعدائه الموتورين • وأيقن أن ذلك هو الوسيلة الوحيدة للتخفيف عن كاهل الشعب المرهق ، واراحته مما يلقى من مظالم الاحتلال ، وانتقام المحتلين •

وحينئذ •• قرر الشيخ الاستسلام •

استسلام الشيخ :

وكان قرار الاستسلام رهيبا جدا ليس على الفرنسيين فحسب، بل على كل من كانت له صلة بالثورة من قريب أو بعيد •

واوفد الشيخ من يخبر مستشار جبلة بقراره ، ويستقدمه الى قرية « بشراغي » حيث يلتقي واياه فيها •

واضطربت أسلاك الهاتف وهي تنقل النبأ • وأسرع المستشار بعد أن ابلغ القيادة الفرنسية ، ومعه المرحوم احمد الحامد متصرف جبلة في ذلك الحين ، وبعض الضباط الفرنسيين •

وأخذ المستشار ومرافقوه بمظهر الشيخ الوقور ، وبطلعته المهيبة الاخاذة •

ورفع الضابط الفرنسي يده بالتحية العسكرية عندما اقترب من الشيخ •• وأحنى رأسه عندما مد الشيخ يده لمصافحته •

وذهب الشيخ ، والمستشار معا ، لمقابلة الجنرال « بيلوت » في اللاذقية •

حديث الشيخ والجنرال :

واستقبل الجنرال « بيلوت » سماحة الشيخ بما يليق به من الحفاوة والترحاب ، وسأل الشيخ عن الدافع الى تلك الثورة ،

والباعث على تلك الحرب الضروس .
واختصر الجواب ، فقال : « انه حب الوطن » .
وسأله الجنرال عما أخره عن الاستسلام . فأجابه الشيخ :
« لم يكن ذلك خوفا من الاستشهاد في سبيل الله والوطن ، وانما صونا لكرامة الجهاد » .
ثم قال له :
« والله لو بقي معي عشرة رجال ، مجهزين بالسلاح والعتاد ، لما تركت ساحة القتال » .
وأعجب الجنرال بهذه الصراحة ، وأطراها على مسمع الشيخ . وعرض عليه آخر الامر أن يقيم الى جانبه في السراي ، يشاطره الحكم ، ويتحمل معه التبعات والمسؤوليات .
ورفض الشيخ هذا العرض .
واستغرب الجنرال هذا الرفض . وسأل الشيخ عن السبب . فأجابه في صراحته المعروفة :
ـ ان الله تعالى يقول في كتابه الكريم : « ولا تركنوا الى الذين ظلموا فتمسكم النار » .
ولما ترجمت هذه الآية الى الجنرال انتفض غيظا وغضبا ... وقال : هل نحن ظالمون ؟
فأجابه الشيخ بجرأة ، وشجاعة وقوة أعصاب :
« لولا أنكم ظالمون لما جئتم الى هذه البلاد ... وهذه فظائع جنودكم في القرى التي أحرقوها ، والبيوت التي هدموها ،

والجرائم التي ارتكبوها و ...

ووقف الجنرال مغضبا يقاطع الشيخ ويقول له :

اننا سنحترم قرارنا بالعفو عنـك ، فلا نمسك بأي أذى أو مكروه . ولكن عليك أن تقيم في بيتك فلا تغادره الا باذن من القيادة الفرنسية ، في المنطقة التي تقيم فيها .

ورافق الشيخ الى عرينه سكرتير خاص ، ظل مقيما الى جانبه مدة طويلة . وكان مكلفا باطلاع الفرنسيين ، على كل شاردة وواردة من حياة الشيخ ، وعلى أسماء من يزورونه ، وكل حركة يقوم بها .

عزلة الشيخ[1] :

وعاد الشيخ الى عرينه في الجبل ، وكان يستقبـل في المدن والقرى التي يمر فيها استقبال الفاتحين .

وانزوى في بيته . وفرض على نفسه عزلة تامة . وانصرف الى انسانيته المترفة ، يشبع نزعتها ، ويرضي طماحها . والى تدينـه العميق يعب من معينه الصافي ، ويغرق نفسه فيه .

ولم يخرج الشيخ من عزلته الهادئة الا في المواقف الوطنية التي

(1) اخبرني السيد حسني الاوسطه انه كان مديرا لناحية القدموس . وزار الشيخ مودعا بعد ان صدر قرار بنقله من تلك الناحية . واظهر للشيخ عدم رضاه عن هذا النقل . وتناول الشيخ قلما وورقة وكتب رسالة الى احد اصدقائه يخبره فيها ان مدير الناحية يناصبه العداء ، ويقف منه موقفا نابيا . ويبث حوله العيون والارصاد ، ويحاول تأليب الناس عليه . وأعطى مدير الناحية هذه الرسالة . وقال له : اجتهد ان تصل الى المستشار بأي طريقة كانت . ووصلت الى المستشار . ولما اطلع عليها صدر قرار بابقاء السيد حسني الاوسطه في مكانه لانه يناصب الشيخ العداء.
وهذه القصة تعطي صورة واضحة عن موقف الفرنسيين من الشيخ .

كانت تتطلب الجهر بمصالح البلاد .

وحينما احتدمت معركة الوحدة والانفصال سنة ١٩٣٦ كان الشيخ أول من لبّى نداء الواجب ، وأبرق الى المراجع المسؤولة مؤيدا وحدة البلاد السورية . وقد حضر بنفسه اكثر المؤتمرات الوطنية التي عقدت في سبيل وحدة الصف ، وتحقيق الآمال القومية .

وكان كلما دعا داعي الوطن ، يكون الشيخ أول من يلبي ، وأول من يهرع لنجدة البلاد . وحينما قام الفرنسيون باعتداءاتهم المنكرة على دمشق سنة ١٩٤٥ وهب الشعب غاضبا ثائرا كان الشيخ أول من سعى الى حشد الصفوف والتهيئة للقتال . وأبرق الى المراجع المسؤولة يومئذ تلك البرقية المدوية يقول فيها :

« سيوف المجاهدين تتململ بالاغماد . ونفوسهم في غليان واضطراب . لا تقبل أن تمتهن كرامة الامة ، وتخرق حرمة الاستقلال . اننا للمعتدين بالمرصاد . وسيرى الظالمون أي منقلب ينقلبون » .

وكان لهذه البرقية وللمواقف المشرفة الكريمة التي رافقتها ، صدى هائل ، ودوي عميق في سائر أنحاء البلاد . وقد انهالت البرقيات على الشيخ محبذة مؤيدة شاكرة . وابرق اليه المرحوم سعد الله الجابري رئيس مجلس النواب يومئذ يقول :

« ان برقيتكم قد هزت الضمير الوطني . وأيقظت الشعور القومي . وهيجت في نفوس المخلصين حب الجهاد ، والرغبة في الاستشهاد » .

وجمع الشيخ من حوله عددا كبيرا من بقايا السلاح ، ومن

المجاهدين الذين ما برحوا يحنون الى الجهاد ، ويتطلعون الى اليوم السعيد الذي يعودون فيه الى ساح النضال • وعزم على أن يزحف بانصاره على الثكنات العسكرية في بانياس وطرطوس ومصياف لاحتلالها • ولكن ظروف المحافظة يومئذ لم تكن تسمح بذلك • فأوفدت الحكومة السورية قائد سرية طرطوس السيد صبحي المحتشم ترجو الشيخ عدم القيام بأي عمل عسكري يزيد في حراجة الموقف وتعقيده • لان الوضع في محافظة اللاذقية يختلف عنه في بقية المحافظات • اذ ان بعض الاقطاعيين كانوا يتهيأون للوقوف الى جانب الفرنسيين عندما تنشب حركة ما ضدهم • وحينئذ ينقسم الشعب على نفسه ، وتقع الكارثة •

وهكذا اضطر الشيخ لارجاع السيف الى غمده من جديد • وهو في حال التوثب والانتظار •

تكريم الشيخ :

وتنادت الاوساط الوطنية ، في مختلف المحافظات السورية ، لاقامة حفلة تكريم ، للمجاهد الاول الشيخ صالح العلي ، في مدينة اللاذقية •

وألفت لجنة من كرام القوم كان يرأسها السيد أسعد هارون ، وكان لي شرف امانة سرها ، والاشراف على ترتيبها وتنسيقها ، وكل ما يتعلق بها من أمور •

وساهم الامير مصطفى الشهابي ، محافظ اللاذقية يومئذ ، مساهمة فعالة في انجاح تلك الحفلة ، واظهارها بذلك المظهر الرائع الفخم •

وتفضل فخامة السيد شكري القوتلي رئيس الجمهورية

السورية ، يومئذ ، فأهدى وسام الاستحقاق السوري الممتاز للمجاهد الكبير ، مع كلمة ثناء واطراء القيت في الحفلة الكبرى[1] .

ومثل المحافظات السورية ، كلها ، وفود كانت تضم مجاهدين ، وسياسيين ، وادباء ، ووجهاء . فكان وفد دمشق برئاسة السيد نجيب الريس نائب دمشق ، ووفد حلب برئاسة السيد احسان الجابري الشخصية العربية الكبرى ، ووفد حمص برئاسة السيد سليمان المعصراني ، نائب حمص الذي القى كلمة السيد هاشم الاتاسي . ووفد حماه برئاسة السيد نجيب البرازي ، نائب حماه . ووفد جبل الدروز برئاسة المجاهدين الكبيرين السيدين علي عبيد ، ومحمد عز الدين الحلبي . وساهمت الاوساط العربية في لبنان ، بهذا المهرجان القومي الكبير . فكان وفد جبل عامل برئاسة العلماء الاجلاء الشيخ احمد رضا ، والشيخ سليمان الظاهر ، والشيخ عارف الزين . ووفد بيروت برئاسة الاستاذ كامل مروة . ووفد طرابلس برئاسة الشاعر الاستاذ علي منصور الحايك . واشتركت محافظة اللاذقية كلها بتلك الحفلة الكبرى وأبناء الجبل ، بقايا السيوف العربية الماضية . كما اشتركت فيها فرق الكشاف السوري ، وموسيقى الميتم الاسلامي في حمص . وسهرت اللاذقية كلها مع فرق الكشاف ، التي كانت تطوف بمشاعلها وموسيقاها أحياء المدينة ، التي ارتدت في تلك الايام حلة قشيبة من الزهو والفخار .

---

(١) كان الشيخ صالح العلي ، طوال حياته ، موضع تقدير واحترام الرئيس القوتلي وموضع عنايته ، ورعايته . وكان فخامته في جميع المناسبات القومية يطري جهاد الشيخ صالح ونضاله ضد الاستعمار . كما يطري نزاهته وتصوفه واخلاصه الشديد .

وكانت ليلة بيضاء ، ويوما حافلا ، لم تر اللاذقية مثيلا لهما في تاريخها الحديث •

وتعاقب الشعراء والخطباء على المنبر يعددون مآثر الشيخ ، ويتحدثون عن صوفيته ، ومثاليته ، وجهاده الرائع [1] • ونصبت مكبرات الصوت في شوارع اللاذقية ، وساحاتها العامة ، وقدر عدد الذين احتشدوا داخل السينما وخارجها بعشرة آلاف شخص، عدا أهل المدينة الذين احتشدوا في الشوارع والساحات العامة •

والزعماء الذين قاوموا الثورة وناهضوها ، هبوا لمقاومة الحفلة التكريمية التي أقيمت للشيخ • ومثلما فشلوا في مقاومة الثورة ، باؤوا في مقاومة الحفلة بفشل ذريع •

وفاة الشيخ :

وتوفي الشيخ في ١٣ نيسان سنة ١٩٥٠ [٢] بعد أن قضى بضعة أشهر في المستشفيات ، وتوفر على الاشراف على معالجته ، الطبيب الالماني الشهير ، الدكتور كارل كورت ، الاخصائي بأمراض القلب، بتكليف من فخامة رئيس الجمهورية الاسبق السيد هاشم الاتاسي• ودفن الشيخ في قرية الرستن ، الشيخ بدر : طرطوس ، وسط قبة كبيرة ، الى جانب مسجد ، بناه الشيخ في حياته •

ووقف اعضاء مجلس النواب دقيقتين حدادا على الفقيد الكبير• وأبنه عدد كبير منهم • كما أقر المجلس اقتراحا تقدم به المؤلف ،

---

(١) سننشر في كتاب مستقل الخطب والقصائد التي القيت في حفلتي التكريم والتأبين.

(٢) توفي الشيخ في بيت الشيخ محمد الحامد في مدينة طرطوس .

وعدد من زملائه النواب ، بتسمية الثكنة العسكرية في طرطوس ، وشارع في دمشق ، واللاذقية ، وحمص ، وحماه ، وحلب باسم « الشيخ صالح العلي » تقديرا لاياديه البيضاء ، ومواقفه الكريمة ، وتخليدا لذكراه (١) .

وأقيمت للفقيد حفلة أربعين في مدينة اللاذقية ، كان للمؤلف أيضا شرف تنظيمها ، وتنسيقها ، والاشراف عليها . وقد اشترك فيها رئيس مجلس الوزراء ، وبعض الوزراء ، والنواب ، وكبار الموظفين ، والادباء ، والوجهاء وعدد كبير من المواطنين ، كما اشترك فيها بعض ادباء لبنان وعلمائه وسياسييه .

والقيت فيها كلمات رائعة ، وشعر خالد رفيع .

وكانت هذه الحفلة الرائعة برهانا على وفاء الناس ، وتقديرهم الفضل ، وعرفانهم الجميل ، الا تلك الفئة ، نفس الفئة ، التي خاصمت الشيخ في حياته ، فقد استمرت في خصومتها الى ما بعد وفاته !! غفر الله لها ، وهداها الى سواء السبيل .

وارتفع الشيخ على مناكب الخلود . وأشرف من قمة المجد المؤثل على مواكب البشر ، وهو في خلوده الدائم هازىء بالمغترين .

وصية الشيخ :

وتوفي الشيخ عن أربع زوجات ، وثلاث بنات . وما يزيد عن ثلاثين الف دونم وقفها كلها لاعمال الخير والبر والاحسان ، وبناء مسجد في قرية « الرستن » ومستوصف ، ومدرسة متوسطة ،

---

(١) تزمع وزارة الارشاد والثقافة اقامة نصب تذكاري للشيخ في منطقة الثورة .

في الشيخ بدر ، والاتفاق عليهما . كما انه خص زوجاته وبناته بما يكفل لهن حياة خيرة كريمة من بعده .

ونصب خمسة اشخاص كرام للاشراف على تنفيذ وصيته ، وهم : الشيخ احمد محمد رمضان ، الشيخ ابراهيم صالح عيد ، الشيخ صالح بدر ، الشيخ كامل العيسى ، الاستاذ سلمان محمد سليمان . والشيخ احمد محمد رمضان ، هو كبير الاوصياء ، ومعقد الامل والرجاء ، بعد الشيخ .

لقد كان الشيخ صالح العلي قدوة في حياته ، وظلت سيرته الخيرة الصالحة قدوة بعد وفاته ..

يرحمه الله ..

ملتزم
الطبع والنشر

دار اليقظة العربية
للتأليف والترجمة والنشر
بدمشق

ثمن النسخة ١٧٥ ق.س